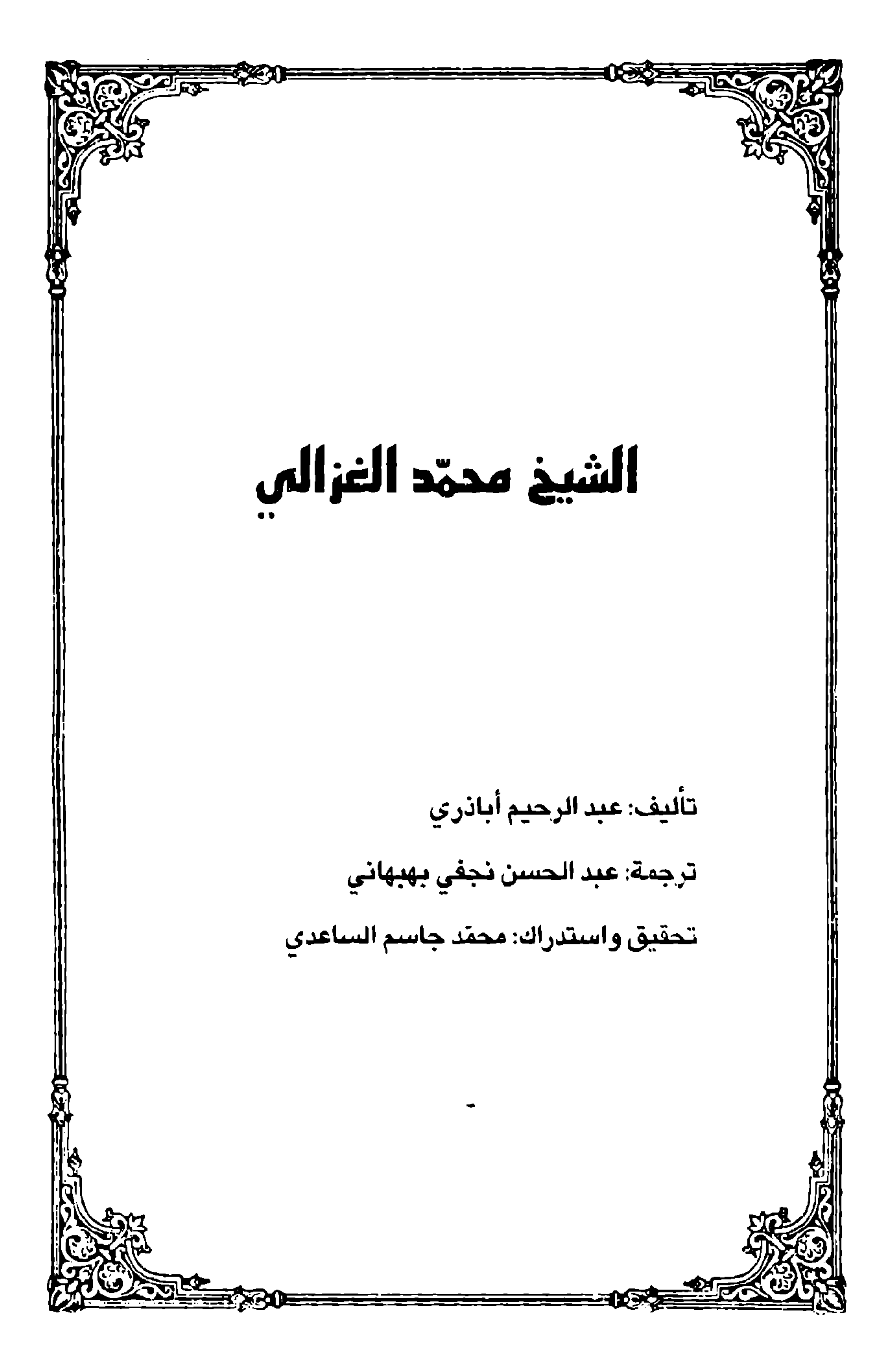
سلسلة رواد التقريب ٨



الشيخ محمد الغزالي

عبدالرحيم أباذري



الشيخ محمّد الغزالي

تأليف: عبد الرحيم أباذري

ترجمة: عبد الحسن نجفي بهبهاني

تحقيق واستدراك: محمّد جاسم الساعدي

سرشناسه	: اباذري، عبدالرحيم.
عنوان و پديدآور	: الشيخ محمد الغزالي رائد الاصلاح/ اعداد عبدالرحيم اباذري؛ تعريب عبدالحسن نجفي بهبهاني؛ تحقيق واستدراك محمد جاسم الساعدي
مشخصات نشر	: تهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونية الثقافية، ۱۳۸۶.
مشخصات ظاهرى	: ۲۱٦ص.
شابک	: 978-964-8889-80-2
وضعيت فهرست‌نويسى	: فيپا.
يادداشت	: كتابنامه: ص [۲۰۵]ـ ۲۱۰؛ همچنين به صورت زيرنويس.
موضوع	: غزالى، محمد بن محمد، ۱۹۱۷ ـ ۱۹۹۵ م. نقد و تفسير.
موضوع	: اصلاح طلبان ـ ـ مصر.
موضوع	: اسلام ـ ـ تجديد حيات فكرى.
شناسه افزوده	: نجفى، بهبهانى، عبدالحسن.
شناسه افزوده	: ساعدى، محمد جاسم، محقق.
شناسه افزوده	: مجمع جهانى تقريب مذاهب اسلامى. معاونت فرهنگى.
رده‌بندى كنگره	: BP ۲۳۳/۷/غ۴/۲الف.
رده‌بندى ديويى	: ۲۹۷/۹۹۴۴.
شماره كتابخانه ملى	: ۴۵۹۴۶-۸۵م.



المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

اسم الكتاب:	الشيخ محمد الغزالي رائد الاصلاح
تأليف:	عبدالرحيم أباذري
تعريب:	عبدالحسن نجفي بهبهاني
تحقيق و استدراك:	محمد جاسم الساعدي
الناشر:	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية – المعاونية الثقافية
الطبعة:	الاولى – ١٤٢٨ هـ.ق ٢٠٠٧ م
الكمية:	٢٠٠٠ نسخه
السعر:	١٥٠٠ تومان
المطبعة:	نيرو
ردمك:	٩٧٨- ٩٦٤ – ٨٨٨٩ – ٨٠ – ٢ ISBN: 978-964 – 8889 – 80– 2
العنوان:	الجمهورية الاسلامية في ايران _ طهران _ ص. ب: ٦٩٩٥ _ ١٥٨٧٥
	تلفكس: ١٤ – ٨٨٣٢١٤١١ – ٢١ – ٠٠٩٨

مقدّمة المجمع

بسم الله الرحمٰن الرحيم

لا يخفى على احد الدور القيادي والريادي للمفكرين وعباقرة التأريخ العلمي والأدبي ورواد الثقافة في ايجاد الحركات النهضوية وخلق التحولات الفكرية والفلسفية المتنوعة في العالم وأثرها الفاعل على المسيرة البشرية وتطورها على كافة نواحي الحياة ويفتحون صفحة جديدة في تأريخها وثمة ظروف وشروط موضوعية تعين هؤلاء العظماء في بسط تحركهم الاصلاحي والتغييري ودفع عجلة نشاطاتهم باتجاه اهدافهم. يضاف...ليس من قبيل الصدفة عدم خفاء دور القادة المفكّرين وعظماء التاريخ العلمي والأدبي في إيجاد الحركات النهضوية والتحوّلات الفكرية والفلسفية الكثيرة في العالم، وما تعكسه من آثار متعدّدة الجوانب على مسيرة البشرية، وتطوّرها على كافّة الأصعدة؛ إذ في غالب الأحوال ثمّة ظروف تعين هؤلاء العظماء على المدّ في تحرّكهم ودفع عجلة نشاطاتهم بالاتّجاه الذي يرغبون فيه، يضاف إليه الأوضاع المعقّدة التي قد تدعو الناس إلى محاولة التغيير ولو بصورة معيّنة وعلى نطاق محدود.

فكلّ تلك العوامل تزيد من مدى طواعية الجماهير باتّجاه هذا القائد الفكري، وتحثّ من خطاه نحو إكمال مسيرته. هذا إذا أضفنا إلى مجموع ما مرّ شخصية القائد الجذّابة، والخصائص الفذّة التي يتمتّع بها.

من الصعب أن تشهد رجالاً من هذا الطراز قادوا «انقلابات» فكرية وثقافية في مجتمعاتهم مع وجود المال والناصر.

لكن أن تجد رجالاً قاموا بنهضات وحدوية بمفردهم، وجمعوا شمل أُممهم العريضة بهمّة عالية أثارت إعجاب الآخرين، فهذا هو الصعب والعسير المنال؛ لأنّهم لم يسندوا تحرّكاتهم على الرجال والأنصار، ولم يجلسوا على كنوز الذهب التي تترى على البعض من جهات مختلفة.

إنّ المصلحين العظام لم يقودوا حملاتهم النهضوية ضمن فئات محدودة أو جماعات قليلة ليدرجها المصطّلعون في خانة المساعي الهيّنة، بل كانت دعوات بعضهم

تشمل أطراف الأُمّة الكبيرة التي يبلغ تعداد نفوسها أكثر من مليار نسمة ! هذا إذا أضفنا إلى ذلك الجماعات والجهات المخالفة التي لم تأن في استخدام كلّ ما لديها من الحيل لنزع فتيل حملتهم، واستحلال ساحتهم ولو بالتصفية الجسدية !

وهذا ما دعا التاريخ إلى تخليد أسماء هؤلاء العظماء بعدما رفعها عالياً، فكانت بمثابة معالم مضيئة أشرقت بنورها على البشرية، الذين لم يألوا جهداً في تسجيل مواقفهم وإبراز الاعجاب والاحترام تجاههم.

إنّ وصول جهد هؤلاء الرجال في ميدان الإصلاح الاجتماعي والتقريب بين المذاهب الإسلاميّة إلى هذا المستوى من التجرد والموضوعية والعالمية إنّما كان مبنياً على استراتيجية ثابتة مستمدة من الفكر والثقافة القرآنية والأدب النبوي الشريف وتربية أهل بيت النبوّة الطاهرين والسيرة التي تابع الصحابة عليها بإحسان، ولم تكن حركتهم حركة عشوائية ولم تكن بدوافع شخصية و مصلحية انانية، أو حاطب ليل، وأيضاً لم تكن على أُسس شخصية ومصلحية فردية أو أُسرية.

ففي الوقت الذي يجوب بعضهم العالم بأسره للقاء الزعماء السياسيّين ومسؤولي الدول، يطوف بعضهم الآخر بلدان العالم، قاطعاً المسافات البعيدة من أجل ترسيخ فكرة التقريب ووحدة الصفّ، ومحاولة إقناع النخب بصدق واخلاص بضرورة تبنى فكرة التقريب والحوار الهادئ، واحترام الغير في نفوس مؤيّديهم.

ولعلّ من أبرز هؤلاء الطليعة التي ترجمها المجمع بعنوان « روّاد التقريب »، الذين بذلوا جهوداً جبّارة في هذا السبيل، وأبدوا كثيراً من النشاطات العلمية على مستوى الرسائل والكتب من أجل معالجة المتطلّبات الملحّة التي تحتاجها حركة التقريب لنشرها واشاعتها بين أفراد الأُمّة الإسلاميّة.

ونود ان نسجل شكرنا لجهود الأُستاذ الفاضل الأخ محمّد الساعدي، وما أبداه من تعاون مثمر على صعيد تحقيق وتوثيق واستدراك هذا الكتاب، ونقدّر جهود كلّ من ساهم في نشر وإعداد هذا السفر الجليل. والحمد لله ربّ العالمين.

المعاونيّة الثقافيّة للمجمع العالمي
للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة

كلمة المحقّق

لا يخفى على المراقب الحصيف دور رجال التقريب وروّاده في نشـر وتـرويج الفكر الإصلاحي في الأوساط الثقافيّة والفكريّة الإسلاميّة وعلى أكثر من مستوى.

ولم يقف دورهم عند هذا الحدّ، بل تعدّاه إلى مستوى أكثر فاعلية، بعدما فتحوا الأبواب لدخول «الأفكار الأُخرى» وسلّطوا الأضواء على المباحث العلميّة الجادّة في سبيل رفعة الإسلام وعزته، بحيث يتسنّىٰ للأجيال اللاحقة متابعة الحقيقة بأبهى صورها.

إنّ هكذا رجال وأصحاب قلم وفكـر إصـلاحي وتـقريبي بـحاجة إلى بـرنامج للتعريف بهم لأجيالنا اللاحقة، والدفاع عن مبادئهم وشعاراتهم التي فدوا نفوسهم الزكية من اجلها امام رجال ادعو تمثيل الاسلام ورفض الغير ويدعون الاجماع امام مخالفيهم تمهيداً لتحكيم السيف فيهم.

ولعلّها أمانة هي في رقاب كلّ المصلحين والتقريبيّين. وهذا بالضبط ما دعاني إلى تلبية دعوة المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة إلى تحقيق مجموعة «طلايه داران تقريب» (روّاد التقريب) وتهذيبها والاستدراك عليها.

وقد كان منهجي في التحقيق كمايلي:

١ ـ متابعة الترجمة الذي تمّ على النصّ الفارسي للكـتاب، والإشـراف عـليها، وتهذيب بعض بنودها الّتي رأيتها مناسبة أكثر لموضوع الكـتاب، وصـياغة العـبارات بأُسلوب عصري حديث.

٢ ـ تقويم متنه، وتصحيح الأخطاء الواردة فيه، وإصلاح ما يلزم.

٣ ـ متابعة مراحل الطبع والمقابلة بكلّ تداعياتها.

٤ ـ ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في المتن ليتسنّىٰ للقارئ اللبيب الإحـاطة بأخبارهم، والاطّلاع على أحوالهم وما قدّموه من آثار.

٥ ـ توثيق الموارد التاريخيّة واللغويّة والحديثيّة والسياسيّة وغيرها الواردة في

الكتاب.

٦ ـ كتابة الاستدراكات التي تتعلّق بحياة وسيرة المترجم لهم والمراحل التي تتمحور حولها شخصياتهم، والتي لم يتسنّ للنصّ الفارسي الأصل استيفائها وإيرادها في هذا الكتاب، فلاح لي ضرورة الاهتمام بهذا الجانب الحيوي، ومتابعة المسألة بصورة جدّية في الهامش على أن لا تكون متجاوزة لحدود الكتاب، وبالتالي يمكن أن تساهم هذه الاستدراكات في زيادة اطّلاع القارئ على ملابسات حياة الشخصية المترجم لها. وقد رمزت للاستدراك بهذه العلامة (*).

هذا وأسأل المولى عزّ وجلّ التوفيق لخدمة التقريب والاصلاح بين مذاهب الأُمّة الإسلاميّة. ولا يفوتني أن أُعرب عن شكري وتقديري إلى المجمع العالمي للتقريب، وأخصّ بالذكر سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ علي أصغر الأوحدي (حفظه الله) على إتاحته الفرصة للمساهمة في إنجاز هذا العمل على أحسن ما يرام إن شاء الله، وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين.

محمّد الساعدي

٥ / ذو الحجّة / ١٤٢٧ هـ

تمهيد

لا شكّ في أنّ الوحدة من المطالب المقدسة الشعوب الإسلاميّة في العصر الحالي.. هذا العصر الذي تحالفت فيه كلّ قوى الكفر لمجابهة الإسلام بشكل مباشر وجدّي لأسقاطة وازالة من الوجود.

لقد أدركت أُوربا بأنّ الاختلافات والصراعات السياسيّة، لا تعود عليها بأيّة منفعة، لذلك شكّلت اتّحاداً أُوربياً، وأصدرت عملة أُوربيّة واحدة (اليورو)، وخطت خطوات أُخرى على هذا السبيل، وباتت اليوم بصدد تشكيل أُوربا موحّدة.

ولكن ومن جهة اخرى نرى إنّ زعماء البلدان الإسلاميّة يكرّسون اختلافاتهم يوماً بعد آخر أكثر وأكثر.

وممّا لا ريب فيه أنّ مؤامرات الاستكبار العالمي تخطط في الخفاء، ولا تترك الأُمّة الإسلاميّة تخطو خطوتها نحو الاتّحاد والتكاتف؛ لأنّها تدرك خطورة الوحدة الإسلاميّة على مصالحها لو تحقّقت لما بات بوسعها الهيمنة واستعمار البلدان الإسلاميّة ونهب ثرواتها.

وهناك حقيقة يجب ان يدركها كل المسلمين وهي: أنّ السبيل الوحيد للتغلّب على جبهة الاستكبار والاستعماري هو اتّحاد مسلمي العالم، وبكلّ

مكوّناتهم الإقليميّة والعرقيّة والمذهبيّة، ومواجهة تحدي النزعة العلمانيّة، والوقوف امام فكرة فصل الدين عن السياسة، وفضح خطط المبهورين بالغرب وعملائهم عن مراكز اتّخاذ القرار في البلدان الإسلاميّة.

هناك عوامل شتّى لها تأثيرها في تحقيق الوحدة، وهنا يمكن الاشارة الى دور علماء الدين ومثقّفي البلدان الإسلاميّة في توعية مسلمي العالم إزاء ما يبيته الأعداء من مؤامرات لشل قوى الأمة والعمل على حثّهم وتوجيههم نحو الاتّحاد وتبصيرهم بالأخطار التى تحيط بهم، وذلك بنشر التوعية من خلال المحاضرات وطبع الكتب والمقالات، وممارسة التبليغ فى اصقاع العالم الاسلامي.

وليس ثمّة شكّ في أنّ علماء الدين في جميع الفرق الإسلاميّة لو نهضوا بهذه المهمة الخطيرة -وهو دعوة المسلمين إلى الاتّحاد والأُخوّة ـ فمن المؤكّد أنّ الشعوب ستستجيب لندائهم وستذوق طعم الوحدة الذي يحفظ وجودهم من الفناء.

إنّ الشيخ محمّد الغزالي نموذجاً للعالم الذي أدى دوراً مهما في مجال التقريب بين المذاهب الإسلاميّة ودعوة الشعوب إلى الوحدة والتلاحم واليقظة.

يشيد السيّد جعفر شهيدي بشخصية الغزالى ذات التوجه الوحدوي معلقاً:

«كنت على مدى سنوات طويلة أتمَنّى رؤية الأُستاذ الغزالي، وقُدِّر لي أن تتحقّق أُمنيتي في الجزائر؛ اذ كانت تعقد في كلّ عام في هذا البلد ـ وذلك من بعد استقلاله[١] ـ ندوة بعنوان: «ملتقى الفكر الإسلامي»، وقد سافرت في عام ١٩٧٠م إلى الجزائر لحضور هذه الندوة، وهناك رأيت الأُستاذ الغزالي. وبعد التعرّف عليه خطر في ذهني هذا البيت:

---

(١) وذلك في سنة ١٩٦٢ م. راجع موسوعة السياسة ٢: ٦٠.

واستكبر الأخبار قبل لقـائه فلمّا التقينا صغّر الخبر الخبر

ومرادي من الإتيان بهذا البيت هو القول: بأنّني وجدت الأُستاذ الغـزالي أعظم ممّا كنت أسمع به؛ إذ أنّني وجدته وحيد عصره، فقد هيمن إيمانه بالإسلام والقرآن وسنّة رسول الله ﷺ على كلّ كيانه، بحيث إنّه ما كان يتسرّب إلى قلبي أدنى شكّ في قداسته. وأمّا التواضع ـ وهو صفة العلماء المسلمين ـ فقد كـان له وقعه الخاصّ به. وإلى جانب هاتين الخصلتين كان يتّسم أيضاً بـالمحبّة الفـائقة لأهل بيت الرسول ﷺ، رحمه الله، وطيّب ثراه»[1].

لقد كُتبت باللغة العربيّة كتب قيّمة في وصف ورسم شخصيّة الغزالي وآثاره وأفكاره.

نورد في ما يلي سرداً بأسمائها:

١ـ **رفع الشبهات عن الشيخ محمّد الغزالي**، لأحمد حجازي السقّا.

٢ـ **الشيخ محمّد الغزالي، صور من حياة مجاهد عظيم**.

٣ـ **الشيخ محمّد الغزالي، الموقع الفكري والمعارف الفكرية**، لمحمّد عمارة.

٤ـ **الشيخ الغزالي ومعركة الصحف**، لمحمّد شلبي.

٥ـ **الشيخ محمّد الغزالي كما عرفته في نصف قرن**، ليوسف القرضاوي.

---

(١) مقدّمة الترجمة الفارسية لكتاب: «نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكـريم». وعنوان الكتاب باللغة الفارسية هو: «گامي به سوي تفسير موضوعي سـوره‌هاي قـرآن كـريم»، ترجمة: علي أصغر محمّدي، نشر: مكتب نشر الثقافة الإسلاميّة، الطبعة الأُولى، ١٣٧٧هـ.ش.

٦ـ **نظرات في فكر الغزالي**، لعامر النجّار.

٧ـ **العطاء الفكري للشيخ محمّد الغزالي**، لفتحي حسن ملكاوي.

٨ـ **خطب الشيخ محمّد الغزالي**.

ولم يكتب عنه حتّى الآن باللغة الفارسية كتاب مستقلّ.

ونحن نحاول في هذا الكتاب ان نسلط المزيد من الضوء على شخصيّة الشيخ محمّد الغزالي بصفته عالماً ومجاهداً ومفكّراً، كتب ما يربو على خمسين كتاباً قيّماً، ودعا المسلمين إلى اليقظة بوجه مؤامرات الاستكبار العالمي، ونادى بوحدة المسلمين، ورفع راية المواجهة ضدّ الغرب وفضح اساليبه، ولم يهادن القيم والثقافة الغربية المنحطة لحظة واحدة.

واودّ ان انوه للقارئ العزيز ان ماورد فى هذاالكتاب لا يعني بالضرورة الاعتقاد بجميع آرائه؛ فالعصمة لله وحده.

وفي الختام أودّ أن أُعبّر عن جميل شكري وثنائي لأُستاذي سماحة حجّة الإسلام والمسلمين محمود مهدي پور الذي شجعنى وأعانني على تأليف هذا الكتاب.

ومن الله التوفيق

علي أحمدي

الفصل الأوّل :

من الولادة إلى التدريس

مسقط الرأس

لقد كانت بلاد مصر منذ القدم أرضاً معطاء، جادت بالكثير من المفكّرين العظام. وفي القرون الأخيرة تفتقت هذه البلاد عن شخصيات كبرى، من أمثال: الشيخ محمّد عبده، والأُستاذ حسن البنّا، والشيخ محمود شلتوت، وسيّد قطب، وغيرهم ممّن قدّموا خدمات جليلة للإسلام وللمسلمين.

في عام ١٣٣٤ هـ / ١٩١٧م[١] ولد في أُسرة بسيطة ومتديّنة ـ وذلك في قرية «نكلا العنب» الواقعة في محافظة البحيرة[٢] ـ طفل عُرف لاحقاً باعتباره أحد المفكّرين الكبار في العالم الإسلامي.

كان والده الشيخ أحمد السقّا أحد تجّار تلك القرية، وقد رأى ذلك التاجر البسيط في الرؤيا من يبشّره بغلام اسمه: «محمّد الغزالي». وكم فرح الرجل بتلك الرؤيا وعاش أملاً في تحقّقها. لقد كان رجلاً محبّاً لله ورسوله وآل بيته، وعاشقاً للعالم الصوفي المعروف أبي حامد الغزّالي المتوفّى عام ٥٠٥هـ[٣].

---

(١) مجلّة آينه پژوهش (مجلّة مرآة التحقيق) / العدد: ٣٧ / صفحة: ١٠٢.

(٢) البُحَيرة: محافظة في مصر، مركزها دمنهور. تشتهر بصناعة المنسوجات القطنية. (المنجد في الأعلام: ١١٩).

(٣) زين الدين أبو حامد محمّد بن محمّد بن محمّد بن أحمد الغزّالي الطوسي الشافعي المعروف بحجّة الإسلام: أحد أعلام الفكر والدين. ولد في طوس سنة ٤٥٠ هـ، وتفقّه أوّلاً ببلده، ثمّ ارتحل إلى نيسابور، واختلف إلى دروس الجويني إمام الحرمين، وتخرّج عليه، ←

ولمّا تحقّقت تلك الرؤيا ورزق بطفل، أطلق عليه اسم: «محمّد الغزالي»[(١)].

ذكر الشيخ الغزالي في إحدى محاضراته السبب في تسميته بذلك الاسم قائلاً:

«كان والدي الشيخ أحمد السقّا صوفياً مولعاً بمحبّة أهل بيت الرسول ﷺ، ويكنّ احتراماً فائقاً لكبار رجال الصوفيّة، ويبجّل حجّة الإسلام أبا حامد الغزالي صاحب كتاب: «إحياء علوم الدين». ولذلك فعندما ولدت سمّاني باسمه، وهو في الحقيقة اسم مركّب، ولقبنا هو السقّا. والحقيقة هي أنّ والدي سمّاني بهذا الاسم تيمّناً في أن أكون شخصية في عصري مثلما كان الغزالي شخصية في عصره»[(٢)].

في أعقاب تصرّم فترة الطفولة دخل محمّد الغزالي كُتّاب القرية؛ لتعلّم آداب اللغة العربيّة ومقدّمات العلوم الإسلاميّة، وشرع منذ أوّل دخوله إلى الكتّاب بحفظ القرآن الكريم، كما هي عادة أترابه وأقرانه في ذلك الزمان. وبالفعل منّ الله عليه بحفظ القرآن وهو في العاشرة من عمره.

ويحكي الشيخ محمّد الغزالي عن نفسه وقتئذ، فيقول:

«كنت أتدرّب على إجادة الحفظ في غدوّي ورواحي، وأختم القرآن في

← ولازمه إلى حين وفاته. ثمّ درّس في المدرسة النظامية ببغداد، ثمّ سلك طريق التصوّف وترك التدريس. وانتقل إلى دمشق ودرّس في زاوية الجامع، ثمّ عاد إلى بلده، وأقبل على التصنيف والعبادة حتّى وفاته عام ٥٠٥ هـ. من مصنّفاته: إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، مقاصد الفلاسفة، جواهر القرآن، الوجيز في فقه الشافعية. (البداية والنهاية ١٢: ١٧٣ ـ ١٧٤، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١: ٢٩٣ ـ ٢٩٤، شذرات الذهب ٤: ١٠ ـ ١٣).

(١) العطاء الفكري للشيخ محمّد الغزالي: ١٨٣.

(٢) گامي به سوي تفسير موضوعي سورههاي قرآن كريم (نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم) ٢: ١٢.

تتابع صلواتي، وأثناء سيري في الطريق وقبل نومي وفي وحدتي. وأذكر أنّني ختمته أثناء اعتقالي؛ فقد كان القرآن مؤنساً لي في تلك الوحدة الموحشة»[١].

ولما كان الرزق محدوداً؛ لوجود ستّة من الأبناء في تلك العائلة، فقد سكن محمّد الغزالي في حجرة ضيّقة خشنة الجدران، ينام على فراش رقيق على أرض الغرفة، ولم يكن هدفه ـ وهو صغير ـ سوى حفظ كلام الله تعالى[٢].

دراسة الغزالي، وأساتذته

إنّ أهالي محافظة البحيرة ممّن شغفوا حب الدين الإسلامي وعلومه بشدّة، فكانوا يرسلون أبناءهم إلى الأزهر، ويقولون: «إنّنا نقدّم أبناءنا لله»[٣].

وكان والد محمّد يرغب كثيراً في أن يتّجه ابنه نحو دراسة العلوم الدينيّة، فأرسله إلى الإسكندرية[٤]، وبدأ بدراسة العلوم الدينيّة هناك في معهد تابع إلى جامعة الأزهر.

وكان من صفاته التي برزت أثناء وجوده هناك هو أنه كان يناقش شيوخه

(١) العطاء الفكري للشيخ محمّد الغزالي: ١٨٣.

(٢) المصدر السابق: ١٨٤.

(٣) مجلّة نامه فرهنگ (مجلّة رسالة الثقافة) / العدد: ٢ / صفحة: ٢١.

(٤) الإسكندرية: مدينة مصرية على المتوسّط غربي فرع رشيد وفوق شريط ضيّق يفصل بحيرة مريوط عن المتوسّط، وتعدّ أهمّ مرفأ في مصر. أسسّها الإسكندر المقدوني عام ٣٣٢ق.م. فغدت عاصمة البطالسة ومركزاً للثقافة العالمية. اشتهرت بمكتبتها الغنية وبمدرستها اللاهوتية والفلسفية في القرنين الثاني والثالث الميلاديين. وفي عام ٦٤٢م فتحها العرب، وبعد ٩٠٠ سنة من حكم العرب خضعت عام ١٥١٦م لحكم الأتراك وغدت ضمن أقاليم الإمبراطورية العثمانية. (المنجد في الأعلام: ٤٣ ـ ٤٤).

ومعلّميه بالحجّة البالغة وبالأُسلوب الرضي، فشهدوا له بالنبوغ المبكّر.

لم يكن الشيخ محمّد الغزالي أثناء دراسته بالمعهد يرضى بوقوع الظلم والحيف على أحد من زملائه، وكان المدافع عنهم والصوت المعبّر عن رغباتهم والناصح الرشيد لشكواهم. فلا يلوذ بالصمت إذا ضاع حقّ زميل له أو تعرّض لظلم ما.

وقد تخرج من معهد الإسكندرية سنة ١٩٣٨، والتحق بكلّية أُصول الدين بجامعة الأزهر.

درس محمّد الغزالي أثناء مدّة وجوده في المعهد الأزهري في الإسكندرية على يد أساتذة كثيرين. ولكن كان لقسم من هؤلاء الأساتذة تأثير كبير في حياته، فاكتسب منهم العلوم والأخلاق.

وقد سُئل الغزالي عن الشخصيات التي تأثّر بها في حياته العلمية والدعوتية، فكان جوابه:

١ـ الشيخ إبراهيم الغرباوي.

من أساتذة الشيخ الغزالي في معهد الإسكندرية.

٢ـ الشيخ عبد العزيز بلال.

وهو أُستاذ التربية النفسيّة وتهذيب الأخلاق.

وقد أثنى الغزالي على أُستاذيه هذين مرّات عديدة، وقال عنهما:

«كان الشيخ إبراهيم الغرباوي والشيخ عبد العزيز بلال على درجة عالية من العبادة والتقوى. وكان يمزجان الدرس برقابة الله وطلب الآخرة وعدم الفتنة بنيل الإجازات العلميّة؛ لأنّ للألقاب العلميّة طنيناً، ربّما ذهب معه الإخلاص المنشود

في الدين»[١].

٣ـ الشيخ العناني[٢].

٤ـ الإمام محمّد أبو زهرة[٣].

وقد وصفه الغزالي بالجرأة وعمق البصيرة[٤].

٥ـ الشيخ عبد العظيم الزرقاني.

وكان أُستاذاً في كلّية أُصول الدين، وهو مؤلّف كتاب: «مناهل العرفان في علوم القرآن».

٦ـ الشيخ محمود شلتوت.

ذكر الغزالي: بأنّه قد تأثّر فكرياً وعقائدياً بالشيخ محمود شلتوت، رغم أنّه لم يدرس على يده.

---

(١) الشيخ الغزالي كما عرفته: ٣٢.

(٢) مصطفى العِناني: فاضل مصري، إقامته في حلوان، كان مدرّساً بمدرسة المعلّمين، فمفتشاً بوزارة المعارف، فكبير مفتشي العلوم العربية في المعاهد الدينية، توفّي بالجيزة، ودفن بحلوان سنة ١٩٤٣ م. من كتبه: إظهار المكنون من الرسالة الجدّية لابن زيدون، الوسيط، مذكّرات تاريخ آداب اللغة العربية. (الأعلام للزركلي ٧: ٢٣٨).

(٣) محمّد أحمد مصطفىٰ أبو زهرة: عالم مصري معروف. ولد في مدينة المحلّة سنة ١٨٩٨ م، وتربّى بالجامع الأحمدي بطنطا، وتعلّم بمدرسة القضاء الشرعي، وتولّى التدريس في المدارس الثانوية، ثمّ اتّجه للبحث العلمي في كلّية أُصول الدين، وتسنّم عدّة مناصب، منها: أُستاذ محاضر للدراسات العليا في جامعة القاهرة، وعضو المجلس الأعلى للبحوث العلمية، ووكيل كلّية الحقوق بجامعة القاهرة، ووكيل معهد الدراسات الإسلامية. كان رجلاً عالماً شجاعاً فاضلاً مجتهداً. له مؤلّفات كثيرة، منها: الخطابة، أُصول الفقه، الوحدة الإسلامية، تنظيم الإسلام للمجتمع. توفّي بالقاهرة سنة ١٩٧٤ م. (عظماء الإسلام: ٣٧٥ ـ ٣٧٦).

(٤) العطاء الفكري للشيخ محمّد الغزالي: ١٨٧.

وقد أثنى الغزالي على الشيخ شلتوت، والذي أصبح في ما بعد شيخاً للأزهر، بقوله:

«كان مدرّساً للتفسير، ولديه قدرة ملحوظة في هذا المجال، إلى جانب رسوخ قدمه في مجال الفقه وعلوم الشريعة إجمالاً. وقد كان شخصيّة عالميّة بارزة يلتفّ حولها الكثيرون»(١).

٧ـ الشيخ حسن البنّا(٢).

لا ريب في أنّ حسن البنّا قد ترك أعمق تأثير في ذهن وفكر الغزالي. وكان أوّل لقاء جمعهما عندما كان الغزالي يدرس في معهد الإسكندرية، وقد وصف ذلك اللقاء بقوله:

«كنت طالباً بمعهد الإسكندرية عندما اتّصلت بحسن البنّا... بيد أنّ الأُمسية

---

(١) الشيخ الغزالي كما عرفته: ٣٢.

(٢) حسن أحمد عبدالرحمان البنّا الساعاتي: المرشد العامّ لجماعة الإخوان المسلمين ومؤسّسها في مصر. ولد عام ١٩٠٦ م ببلدة المحموديّة بمحافظة البحيرة، وبدأ بحفظ القرآن، ثمّ التحق بمدرسة المعلّمين بدمنهور،وانضمّ لبعض الجمعيات الدينيّة، كجمعية الأخلاق الأدبيّة وجمعية منع المحرّمات، ثمّ انضمّ إلى طريقة صوفيّة (الإخوان الحصافيّة)، وساهم في تأسيس الجمعيّة الحصافيّة الخيريّة لمقاومة المحرّمات والنشاط التبشيري المسيحي، والتحق عام ١٩٢٣ م بدار العلوم في القاهرة، وساهم في تحرير صحيفة «الفتح» الإسلاميّة. تخرّج مدرّساً بمدينة الإسماعيليّة، وأسّس جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٢٨ م، ونقل مدرّساً بالقاهرة عام ١٩٣٢ م، فانتقل مركز نشاط الجماعة إليها، وأصدر صحيفة «الإخوان المسلمين»، واتّجه صراحة نحو ميدان السياسة سنة ١٩٣٨م، وأصدر صحيفة «النذير». وقعت أعمال وأحداث اغتيال سياسي وعمليات نسف نسبت للجماعة، فحلّتها وزارة النقراشي سنة ١٩٤٨م، فاغتيل الأخير في نفس السنة، وردّت الحكومة باغتيال الشيخ البنّا سنة ١٩٤٩م. (موسوعة السياسة ٢: ٥٣٢).

الرفّافة العذبة التي وصلتني به لاتزال محفورة في ذاكرتي»[١].

وصف الغزالي البنّا بمجدّد الإسلام في القرن الرابع عشر للهجرة[٢]، ويرى أنّ التربية الروحية التي اتّبعها البنّا تركت أثرها الخالد في المجتمع الإسلامي المصري، وأدّت إلى تربية جيل ثوري وإسلامي في أرض الكنانة.

كرسي التدريس

وبفضل الجهود الحثيثة والمثابرة الجادة تخرّج الشيخ الغزالي من كلّية أُصول الدين بجامعة الأزهر عام ١٩٤١ م. وأكمل الدراسات العليا، فحصل على العالمية مع إجازة الدعوة والإرشاد، ثمّ العالمية مع إجازة التدريس، وكان عمره لا يتجاوز حينها الستّ والعشرين سنة[٣].

ومارس الغزالي نشاطه في التدريس والبحث العلمي في كلّية أُصول الدين ومعهد الدراسات العربية والإسلامية في جامعة الأزهر. وكذلك عمل لعدّة سنوات رئيساً لهيئة المعارف الإسلامية في جامعة عبد القادر الجزائري[٤].

---

(١) الشيخ الغزالي كما عرفته: ٢٧.

(٢) المصدر السابق: ٢٩.

(٣) العطاء الفكري للشيخ محمّد الغزالي: ١٨٥.

(٤) عبدالقادر بن محيي‌الدين بن مصطفى‌الحسني الجزائري: أمير مجاهد، وعالم شاعر باسل. ولد في وهران عام ١٨٠٧ م، وتعلّم في مسقط رأسه، وحجّ مع أبيه، فزار المدينة ودمشق وبغداد، ولمّا دخل الفرنسيّون بلاد الجزائر عام ١٨٤٣ م بايعه الجزائريّون وولّوه القيام بأمر الجهاد، فنهض بهم وقاتل الفرنسيّين خمسة عشر عاماً، كبّدهم فيها خسائر فادحة، وأنشأ في تلك الفترة معامل للأسلحة والأدوات الحربيّة وملابس الجند، إلّا أنّه استسلم لهم عام ١٨٤٧ م على أثر مهادنة سلطان المغرب الأقصى عبدالرحمان بن هشام معهم، فنفاه

←

ويرى بعض المفكّرين أنّ الفضل يعود إلى الصفوف التي شكّلها الشيخ الغزالي، والتي ألقت على هذه الجامعة جلباب الاعتبار العلمي في دراسات الماجستير والدكتوراه في فروع الثقافة الإسلامية وأُصول الدين وعلم الشريعة وما شابه ذلك[١].

تلاميذه

درس على يد الشيخ الغزالي تلاميذ كثيرون. نستعرض في ما يلي مشخّصات اثنين من متقدّميهم:

١ـ يوسف القرضاوي.

وهو من كبار مفكّري وفقهاء أهل السنّة. ولد في عام ١٩٢٦م / ١٣٤٤هـ في قرية «صفط تراب» التابعة لمحافظة الغربية بمصر. وبعد أن بلغ الخامسة من عمره أُلحق بأحد كتاتيب القرية، وحفظ القرآن وهو في التاسعة من عمره. ثمّ دخل جامعة الأزهر لمواصلة الدراسة.

اعتقل مرّتين: إحداهما في عام ١٩٤٨م / ١٣٦٧هـ، والأُخرى في عام ١٩٥٤م / ١٣٧٣ هـ بتهمة التعاون مع حركة الإخوان المسلمين، وسجن حينذاك.

وفي أعقاب إطلاق سراحه عمل بالتدريس في جامعة الأزهر، وانكبّ على التأليف.

← الفرنسيّون إلى طولون، ومنها إلى أنبواز، وزاره نابليون الثالث، فسرّحه مشترطاً عليه أن لايعود إلى الجزائر، فاستقرّ في دمشق سنة ١٨٥٥ م، وتوفّي فيها سنة ١٨٨٣ م. من آثاره العلمية: ذكرى العاقل، المواقف في التصوّف، ديوان شعر. (الأعلام للزركلي ٤: ٤٥ ـ ٤٦).

(١) مجلّة آينه پژوهش (مجلّة مرآة التحقيق) / العدد: ٣٧ / صفحة: ١٠٢.

وفي عام ١٩٦١م / ١٣٨٠ هـ هاجر إلى قطر، وأسّس هناك مركز بحوث السنّة والسيرة النبويّة، وكان هو نفسه يتولّى إدارته. ولازال يمارس نشاطه الثقافي في هذا البلد[١].

كان الشيخ الغزالي معجباً بتلميذه، وقال مفصحاً عن شخصيّته العلمية:

«إنّ القرضاوي من كبار رجال عصرنا، وهو ممّن جمعوا بين العلوم النقلية والعقلية. وقد فاز القرضاوي بقصب السبق بين أترابه في اكتساب العلم. فأنا مدرّس القرضاوي وهو أُستاذي. لقد كان الشيخ يوسف من تلاميذي، أمّا الآن فأنا من تلاميذه»[٢].

كتب القرضاوي حتّى الآن ١٢٨ كتاباً في موضوعات مختلفة، كالعقيدة، والقرآن، والسُنّة، والفقه، والأُصول، والاقتصاد الإسلامي، والتربية الإسلاميّة، والدعوة الإسلاميّة، والوحدة، والأدب، والشعر[٣].

٢ـ الشيخ حسين حسن الطويل.

وهو واحد من علماء الأزهر[٤].

إدارة الأوقاف

انتدبت وزارة الأوقاف والشؤون الخيرية في مصر ـ وذلك في عام ١٩٤٣م المصادف لسنة ١٣٦٢هـ ـ الشيخ الغزالي إماماً وخطيباً لجامع العتبة الخضراء في القاهرة.

---

(١) يوسف القرضاوي: ١٢.

(٢) المصدر السابق: ٤٩.

(٣) المصدر السابق: ١٢٨.

(٤) العطاء الفكري للشيخ محمّد الغزالي: ١٨٨.

وبعد مدّة من الزمن عمل في منصب وكيل وزارة الأوقاف لشؤون الدعوة الإسلاميّة. وكان من وظائف الغزالي في هذا المنصب الإشراف على شؤون المساجد في مصر، وكان يؤدّي واجباته الإسلاميّة في هذا المنصب من غير خشية من المسؤولين الأعلى منه رتبةً.

وقد عرض محمّد عبدالله واحدة من ذكرياته التي تدلّ على هذا المعنى قائلاً:

«في أعقاب وفاة نكروما[1] رئيس غانا، كنت في المكتبة انتظر قدوم الأُستاذ الغزالي. وكانت وزارة الخارجية قد اتّصلت به بصفته مديراً للمساجد لإعداد مسجد عمر مكرم[2] لإقامة مجلس تأبين وتكريم لنكروما؛ لأنّهم رأوا أنّ

---

(١) كوامي نكروما: سياسي غاني، ومناضل ضدّ الاستعمار، وأوّل رئيس لغانا المستقلّة، وأبرز دعاة الوحدة الأفريقية. ولد في عام ١٩٠٩م في أكرا عاصمة غانا، والتحق عام ١٩٣٥ م بجامعة لنكولن وبنسلفانيا في الولايات المتّحدة، حيث درس الاقتصاد وعلم الاجتماع واللاهوت والتربية والفلسفة. وفي عام ١٩٤٨ م قاد نضال الشعب الغاني ضدّ الاستعمار الهولندي، وتحقّق بكفاحه ومساندة الشعب له استقلال غانا في عام ١٩٥٧ م. أقام نكروما نظاماً جمهورياً في غانا سنة ١٩٦٠ م، وتولّى زمام الأُمور فيها كأوّل رئيس للجمهورية. كان نكروما يحمل ميولاً اشتراكية، وأقام علاقات مع الدول الاشتراكية في العالم، لكنّه كان على الصعيد الاقتصادي تابعاً للغرب. انتهى عهد حكمه بانقلاب عسكري دبّره الرائد كوازي في عام ١٩٦٧ م، توفّي في رومانيا عام ١٩٧٢ م، ودفن بغانا. من مؤلّفاته: أتكلّم عن الحرّية، الاستعمار الجديد، غانا. (موسوعة السياسة ٦: ٦٠٩ ـ ٦١٠).

(٢) عمر مَكرَم بن حسين السيوطي: زعيم شعبي مصري. ولد بأسيوط، وتعلّم بالأزهر، وولّي نقابة الأشراف سنة ١٢٠٨ هـ، ولمّا احتلّ الفرنسيّون الإسكندرية عام ١٢١٣ هـ وزحفوا على القاهرة، تقدّم على رأس جمهور من أهالي القاهرة لمقاومتهم، فلم ينجح، وخرج إلى يافا، فأكرمه نابليون هناك. ثمّ استولى العثمانيّون على مصر بعد الفرنسيّين، فأُعيدت إليه نقابة

←

هذا المسجد مناسب لإقامة مجلس التأبين فيه. وقد ردّ الأُستاذ السيّد سابق هاتفياً بأنّ الأُستاذ الغزالي غير موجود في المكتبة. فشكرت الله على ذلك؛ لأنّ الأُستاذ لو كان في المكتبة ورفض طلب وزارة الخارجية، لهبّت عليه عاصفة من النـقد! وبعدما جاء إلى المكتبة واطّلع على مجريات الأُمور أقسم بأنّه ما كان ليستجيب لذلك الطلب مهما كانت النتائج المترتّبة عليه. فـاضطرّ ذوو نكـروما إلى إقـامة المجلس التأبيني في كنيسة شيرا»[١].

وعلى المجال الدولي عـمل فـضيلته أُسـتاذاً فـي جـامعات: السـعودية، والأزهر، وقطر، ومحاضراً وأُستاذاً مدعوّاً فـي مـعظم جـامعات الدول العـربيّة والإسلاميّة[٢].

من مفاخر الغزالي

حظي الغزالي طيلة نصف قرن من حياته الفكـرية فـي العـالم الإسـلامي بالحصول على كثير من التقدير والتكريم الذي نوجزه في ما يلي:

حصل على جائزة الملك فيصل[٣] في مجال خدمة الإسلام، وعندما تسلّم

← الأشراف. وكانت له مشاكل مع محمّد علي باشا الذي أبعده إلى عدّة مناطق، حتّى توفّي عام ١٨٢٢ م في طنطا. (الأعلام للزركلي ٥: ٦٧ ـ ٦٨، الأزهر في ألف عام ٢: ٣٢٠ ـ ٣٢٢).

(١) مجلّة ميقات حجّ (مجلّة ميقات الحجّ) / العدد: ٢٣ / صفحة: ٢٠٥.

(٢) العطاء الفكري للشيخ محمّد الغزالي: ١٨٤.

(٣) فيصل بن عبدالعزيز بن عبدالرحمان الفيصل آل سعود، ملك السعودية. ولد في الريـاض عام ١٩٠٦ م، وشارك في سنّ مبكرة في المعارك التي واكبت نشوء المملكة، وكان نائباً عن والده في المباحثات مع بريطانيا، والتي انتهت بالتوقيع على الاعتراف بحكومة أبيه. نصّب ←

الجائزة ردّد قوله تعالى: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[١].

وحصل على أرفع الأوسمة من موريتانيا، وأرفع وسام في الجزائر.

كما كرّمته بعض الدول العربيّة، كالسعودية، وقطر، والسودان.

وتقديراً لجهوده في مجال الدعوة الإسلاميّة حصل في عام ١٩٩٠م على جائزة دولية من الباكستان.

كما منحته ماليزيا وسامها الأوّل عام ١٩٩٦م[٢].

← عام ١٩٦٤ م ملكاً على السعودية. اغتيل من قبل أحد أفراد عائلته عام ١٩٧٥م؛ لدوافع لم يكشف النقاب عنها بعد. (موسوعة السياسة ٤: ٦٨٠ ـ ٦٨١).

(١) سورة القصص ٢٨: ١٧.

(٢) العطاء الفكري للشيخ محمّد الغزالي: ١٨٥.

الفصل الثاني:

في خندق الخطابة والكتابة

الخطابة والدعوة

سجّل الشيخ محمّد الغزالي اسمه كواحد من الكتّاب المهمّين على صـعيد مصر والعالم الإسلامي برمّته، وذلك من خلال مؤلّفاته المفيدة والنافعة التي زادت على الخمسين كتاباً، ولكنّه في الوقت ذاته لم يُغفل أمر التـبليغ والخـطابة. فـقد استطاع هذا الرجل المخلص أن يدعو الناس إلى تعاليم الإسلام بقلمه ولسانه*.

(*) لأهمية هذا الموضوع «الغزالي داعيةً» أوردت فيما يلي ما يتعلّق بهذا الموضوع المهمّ في حياة الشيخ والذي جاء مبتوراً في المتن بما يتناسب وأهميته، فأقول ـ نـقلاً عـن كـتاب: «الشيخ الغزالي كما عرفته» ـ: **الغزالي.. رجل الدعوة**

عرفت في الشيخ الغزالي أنّه رجل دعوة قبل كلّ شيء، الإسلام لحمته وسداه، وشغل نهاره، وحلم ليله، ومحور حياته كلّها. الإسلام ماضيه، والإسلام حاضره، والإسلام مستقبله، فيه يفكّر، وعنه يتحدّث، وعليه يعوّل، وإليه يدعو، ومنه يستمدّ.

والدعوة إلى الإسلام لها كلّ عقله وقلبه، ولسانه وقلمه، وجهده وجهاده، لا يستطيع الابتعاد عنها إلّا كما يستطيع الحوت أن يبتعد عن الماء. يعيش به، وله، وفيه. له يسالم، وله يحارب، وفيه يحبّ، وفيه يبغض، وله يغضب، وبه يرضى، ومن أجله يصل، ومن أجله يقطع، وله يحيا، وعليه يموت. أخلص دينه لله، فأخلصه الله لدينه.

ولهذا حين يتحدّث عن الإسلام، فإنّما يتحدّث قلبه قبل لسانه، ويعبّر قلمه عمّا جاش بـه صدره، وانفعلت به حناياه. فهو رجل ظاهره كباطنه، وعلانيته كسرّه، أكره شيء إليه نفاق الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، فهم أشبه بمقابر مزوّقة، في جوفها جيف منتنة!

لايحبّ الرياء الديني، ولا الرياء الاجتماعي، ولا الرياء السياسـي. ويرفض كـلّ المـظاهر الكاذبة التي تقوم عليها الحياة الدينية أو الاجتماعية. ويندّد بأُولئك الدجّالين الذين يأكلون

←

← بالدين ولا يعملون به، ولا يعملون له. ويلعن أُولئك الحكّام الذين يشاركون في المناسبات الدينية، وأفئدتهم خراب من احترام شريعة الله، وآخرين يحتفلون بالمولد النبوي أو الإسراء أو الهجرة، ولم تزل أفواههم رطبة من الخمر.

الغزالي رجل دعوة مخلص لدعوته متجرّد لها، ولهذا ينفذ كلامه إلى القلوب، فيلهبها بمشاعر اليقين والحبّ ومعاني الإيمان والإحسان.

وأشهد أنّي ما سمعت الغزالي إلّا تأثّرت به وتجاوبت معه، وذلك لما لمست فيه طوال معايشتي له من صدق وتجرّد، جعل صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله، أحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا أزكّيه على الله عزّ وجلّ.

عاش الشيخ للدعوة عمره، وكانت هي أكبر همّه و محور فكره وعمله، ولم يلهث وراء مال أو جاه، فجاءه المال والجاه بفضل من الله تعالى وبركة الدعوة، وهو دائماً يذكر ذلك، ويذكّر به.

لم يركض وراء المناصب التي يتهافت عليها كثيرون ممّن يلبسون لبوس أهل الدين، وأحقّ ما يوصفون به ما جاء عن بعض السلف: ذباب طمع، وفَراش نار!

ولقد عرض على الشيخ أكثر من مرّة أن ينضمّ إلى الحزب الحاكم، وأن يرشّح على قائمته، ونثرت أمامه الوعود، ولوّح له بالمناصب التي ارتقى إليها من دونه علماً وعملاً ودعوةً وجهاداً وشهرةً، وزاره أكثر من كبير من المسؤولين، يحاولون أن يلينوا عريكته، ويجرّوا رجله إلى القيد الذهبي البرّاق.

ولكن الله سدّد الشيخ وثبّته أمام كيدهم، فلم تلن له قناة، ولم يسل له لعاب، وظلّ بعيداً عن مواكب الطبل والزمر، فما يطيق الشيخ أن يسكت عن حقّ، فكيف يراد له أن ينطق بالباطل؟!

إنّ لسان الشيخ لم يخلق ليهتف باسم مخلوق، بل ليهتف باسم الله وحده، ذاكراً له، وتالياً لكتابه، وداعياً إلى دينه.. ويد الشيخ لم تخلق لتصفّق لزيد أو عمرو من الناس، بل لتمسك بالقلم سلاحاً تشهره في وجوه الطواغيت، وتنير بكلماته السبيل أمام طلّاب الهداية في تيه الضلالات، وملتمسي النور في دنيا الظلمات.

وقد أهّل الشيخَ للدعوة ـ بعد دراسته الأزهرية المتعمّقة ـ حفظه لكتاب الله من الصبا، وشغفه بالقراءة من الصغر، حتّى إنّه ذكر عن طفولته أنّها كانت عادية، وليس فيها شيء مثير، وإن كان يميّزها حبّ القراءة. يقول: «فقد كنت أقرأ في كلّ شيء، ولم يكن هناك علم معيّن يغلب ←

← عليّ، بل كنت أقرأ وأنا أتحرّك، وأقرأ وأنا أتناول الطعام.
وللقراءة أهمية خاصّة ـ يقول الشيخ ـ لكلّ من يدعو إلى الله، بل هي الخلفية القوية التي يجب أن تكون وراء الفقيه والداعية. وضحالة القراءة أو نضوب الثقافة تهمة خطيرة للمتحدّثين في شؤون الدين، وإذا صحّت تزيل الثقة منهم.
إنّ القراءة ـ أي: الثقافة ـ هي الشيء الوحيد الذي يعطي فكرة صحيحة عن العالم وأوضاعه وشؤونه، وهي التي تضع حدوداً صحيحة لشتّى المفاهيم. وكثيراً ما يكون قصور الفقهاء والدعاة راجعاً إلى فقرهم الثقافي. والفقر الثقافي للعالم الديني أشدّ في خطورته من فقر الدم عند المريض وضعاف الأجسام. ولابدّ للداعية إلى الله أن يقرأ في كلّ شيء: يقرأ كتب الإيمان، ويقرأ الإلحاد، يقرأ في كتب السنّة، كما يقرأ في الفلسفة. وباختصار يقرأ كلّ منازع الفكر البشري المتفاوتة؛ ليعرف الحياة والمؤثّرات في جوانبها المتعدّدة».

شروط الداعية في نظر الغزالي:

سئل الشيخ الغزالي عن شروط الداعية المنشود كما يراها، فأجاب بقوله:
«الدعوة إلى الله لا يصلح لها بداهة أيّ شخص.. إنّ الداعية المسلم في عصرنا هذا يجب أن يكون ذا ثروة طائلة من الثقافة الإسلامية والإنسانية، بمعنى: أن يكون عارفاً للكتاب والسنّة والفقه الإسلامي والحضارة الإسلامية، وفي الوقت نفسه يجب أن يكون ملمّاً بالتاريخ الإنساني وعلوم الكون والحياة والثقافات الإنسانية المعاصرة التي تتّصل بشتّى المذاهب والفلسفات.
ويجب على من يدعو إلى الله أن يتجرّد لرسالته التي يؤدّيها، فتكون شغله الشاغل. وعليه أن يعامل الناس بقلب مفتوح، فلا يكون أنانياً ولا حاقداً، ولا تحرّكه النزوات العابرة، ولا ينحصر داخل تفكيره الخاصّ، فهو يخاطب الآخرين، وينبغي أن يلتمس الأعذار للمخطئين، وألاّ يتربّص بهم، بل يأخذ بأيديهم إذا تعثّروا.
ويحتاج الداعية المسلم في هذا العصر إلى بصر بأساليب أعداء الإسلام على اختلاف منازعهم، سواء كانوا ملحدين ينكرون الألوهية أو كتابيّين ينكرون الإسلام.
وقد لاحظت أنّ هناك أصنافاً من الناس في ميدان الدعوة تسيء إلى الإسلام أشدّ الإساءة، ←

← منهم الذي يشتغل بالتحريم المستمرّ فلا تسمع منه إلّا أنّ الدين يرفض كذا وكذا، دون أن يكلّف نفسه أيّ عناء لتقديم البديل الذي يحتاج إليه الناس.. وكأنّ مهمّته اعتراض السائرين في الطريق ليقفوا مكانهم، دون أن يوجّههم إلى طريق آخر أرشد وأصوب.

وهناك دعاة يعيشون في الماضي البعيد، وكأنّ الإسلام دين تاريخي، وليس حاضراً ومستقبلاً. الغريب أنّك قد تراه يتحامل على المعتزلة والجهمية مثلاً، وهو محقّ في ذلك، ولكنّه ينسى أنّ الخصومات التي تواجه الإسلام قد تغيّرت وحملت حقائق وعناوين أُخرى.

وهناك دعاة آخرون لا يفرّقون بين الشكل والموضوع، أو بين الأصل والفرع، أو بين الجزء والكلّ. فهم يستميتون في الإنكار بأيّ شكل من الأشكال، ويبدّدون قواهم كلّها في محاربة هذا الشكل، أمّا الموضوع فهم لا يدرون ماذا يصنعون إزاءه، ولهؤلاء عقلية لا تتماسك فيها صور الأشياء بنسب مضبوطة، ولذلك قد يهجمون شرقاً على عدوّ موهوم، ويتركون غرباً عدوّاً ظاهراً، بل ربّما حاربوا في غير عدوّ..

وهؤلاء وأُولئك عبء على الدعوة الإسلامية يجب إصلاحهم، كما يجب إصلاح الذين يدخلون ميدان الدعوة بنيّة العمل لأنفسهم لا لمبادئهم، فإنّ العمل الذي يستهدف القيم الإسلامية غير العمل الذي يدور حول المآرب الشخصية.

تبيّن لي بعد أربعين سنة من العمل في الدعوة الإسلامية أنّ أخطر ما يواجه العمل الإسلامي هو التديّن الفاسد، أي: استناد النفس إلى قوّة غيبية، وهي تعمل للخرافات والأوهام، أو هي تعمل للأغراض والمآرب..

الدين مثلاً يقظة عقلية، وهؤلاء يعانون تنويماً عقليّاً متّصلاً، والدين قلب سليم، وهؤلاء استولت على قلوبهم علل رديئة.

والأمر في كشف التديّن الفاسد يحتاج إلى تفاصيل للتعامل مع الآفات النفسية والعقلية التي تسبّب هذا البلاء. وقد خصّص أبو حامد الغزالي جزءاً ضخماً من كتابه: «الإحياء» في علاج هذه الآفات والتحذير منها، كما وضع ابن الجوزي كتاب: «تلبيس إبليس» للكشف عن صور التديّن الفاسد، وإبعاد العامّة والخاصّة عنه.

وقد ألّفت بعض كتبي وأنا مستغرق في محاربة هذا الجانب من التديّن المعلول، سواء كان رسمياً أو شعبياً، مثل كتاب: «تأمّلات في الدين والحياة»، وكتاب: «ليس من الإسلام»، ←

← وكتاب: «ركائز الإيمان بين العقل والقلب»، وأخيراً كتابي: «الدعوة الإسلامية تستقبل القرن الخامس عشر».
والحقيقة أنّ التديّن الفاسد سرّ انحراف كثير من العقلاء؛ لأنّهم ينظرون إلى الدين من خلال مسالك بعض رجاله وآثارهم في الحياة العامّة. والواقع أنّ بعض المتديّنين كانوا في القديم والحديث بلاءً على الدين».

خطب الغزالي من أدوات الدعوة:
الغزالي داعية موهوب، وقد آتاه الله أدوات عدّة للدعوة، في مقدّمتها: الخطابة.
ولقد استمعت إلى الشيخ الغزالي خطيباً، منذ معتقل الطور في فبراير عام ١٩٤٩م إلى اليوم، فما تغيّرت طريقته.
إنّ خطبه دائماً تخدم موضوعاً علمياً محدّداً، يوضّح معالمه و عناصره، ويستدلّ من القرآن الكريم الذي يستحضر آياته في كلّ موضوع كأنّها مصنّفة بين يديه، ومن السنّة المطهّرة التي قرأ الكثير منها فأحسن قراءته، والفهم له، والاحتجاج به. وربّما استدلّ بالضعيف منها ـ في بعض الأحيان ـ أخذاً برأي جمهور العلماء في الاستدلال بالضعيف في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال.
وهي دائماً مرتبطة بالواقع، تقوّم عوجه، وتعالج أمراضه، وتسدّد مسيرته في ضوء تعاليم الإسلام.
والشيخ داعية وناقد اجتماعي بصير، ينفذ ببصيرته إلى ما وراء الظواهر والأعراض: ليكشف عن حقائق العلل والأمراض، ولا يغيّره الزيف ولا التهويل الذي يغطّي العيوب بتمويهات لا تخفى على اللبيب، كما لا تخفى حقيقة الداء على الطبيب.
وهو في خطبه معلّم موجّه، أكثر منه خطيباً محرّضاً.
وهو يخطب كما يكتب عذوبة ورشاقة وأناقة. فخطبه كلّها قطع أدبية، لا تجد فيها حوشيّ الكلام، ولا سوقيه، كما لا تجد فيها التقعّر والإغراب الذي يحوجك إلى المعاجم لتبحث عن معاني ما سمعت.
وقارئ هذه الخطب يجد فيها أثر الثقافة المتنوّعة، والتمكنّ الأزهري، وأصالة الدراسة ←

← اللغوية والأدبية.
وهو متمكّن من اللغة، واع لقواعد النحو والصرف، لا يلحن ولا يخطئ، كأنّما يقرأ صحيفة مضبوطة بالشكل.
وهو حريص على أن يكون أداؤه صحيحاً مائة في المائة، ولا يسامح نفسه في زلّة يسبق بها لسانه. وقد رأيته مرّة تحمّس في خطبة، فسبقت إلى لسانه هفوة نحوية يسيرة، فأسف لذلك أسفاً شديداً، وقال: «هذا نتيجة الانفعال، وسأحاول ألاّ أُكرّر ذلك ما استطعت!».
ويلحظ المهتمّ بالعربية أنّ الشيخ يراعي الدقائق النحوية التي يغفل عنها الكثيرون، مثل: اجتماع الشرط والقسم، وتقديم القسم أو ما يدلّ عليه، فلا يقع فيما يقع فيه من لا يعرف القواعد، ويقرن الجواب بالفاء، كقول بعضهم: لئن فعلتم كذا فسيعاقبكم الله، والصواب: لئن فعلتم كذا ليعاقبنكم الله. وفي هذا يقول ابن مالك:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم   جواب ما أخّرت فهو ملتزم

ولقد حدّث الشيخ عن نفسه: أنّه بعد تخرّجه عيّن إماماً وخطيباً بمسجد عزبان بالعتبة، وأنّه بعد عدّة أسابيع نفدت بضاعته ولم يجد ما يقوله للناس، فبدأ تكوين نفسه من جديد، يقرأ في علوم الدين و معارف الدنيا، في الكتب القديمة والكتب الحديثة، في مصادر الشرق وما ترجم عن الغرب، حتّى أمكنه أن يرضى عن نفسه، وأن يجد عندها ما يستطيع أن يمنحه لغيره. فالشهادة ليست هي نهاية العلم، بل مفتاحه، والداعية يجب أن يظلّ قارناً ما عاش، فالقراءة هي حياته، والله تعالى يقول لرسوله: ﴿وَقُل رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه: ١١٤]، والسلف يقولون: لايزال المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظنّ أنّه علم فقد جهل. ومن مأثوراتهم: «اطلب العلم من المهد إلى اللحد».
وقد شدّت خطب الغزالي جماهير المثقّفين والشباب إليه، فكانوا يفدون إليه من أنحاء شتّى مستمعين ومستفيدين، وخصوصاً في المساجد التي كان يخطب فيها بانتظام، مثل: مسجد الزمالك، وجامع الأزهر، وجامع عمرو بن العاص، الذي أحيته خطب الشيخ بعد أن كان شبه مهجور، وهو أوّل مسجد أُسس للإسلام في أفريقيا.
أنشأت هذه الخطب مدرسة إسلامية في فهم الإسلام وإفهامه، وهي مدرسة تقدّم الدين من ينابيعه الصافية، موثّقاً بالأدلّة، خالصاً من الزوائد والشوائب، بعيداً عن التحريف والتزييف، ←

← لا تسكت عن حقّ، ولا تتكلّم بباطل، ولا تبيع ديناً بدنيا. ولكنّها لا تعرض لأشخاص بأسمائهم على المنبر، ولا تعتمد الإثارة والتهييج في الموضوعات الحسّاسة، بل تعالج أدقّ القضايا بمبضع الجرّاح، متّبعاً ما أمر الدين به من الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ومستأنساً بما قاله السلف: «من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف».

وبالرغم من أنّ الغزالي الخطيب كان هو المسؤول عن الدعوة وشؤون المساجد في وزارة الأوقاف المصرية، نراه يقول الحقّ وإن كان مرّاً، لا يخشى في الله لومة لائم، وهذا ما أزعج السلطات التي تتوجّس من هذا النوع من الخطب التي تنير العقول بالحقائق، قبل أن تثير المشاعر بالمبالغات. وانتهى الأمر بمنع الشيخ من الخطابة بمسجد عمرو.

الدعوة بالقلم:

على أنّ الشيخ الغزالي ليس داعية بلسانه فحسب، بل هو داعية بقلمه كذلك، حتّى إنّ أكثر الذين عرفوه ـ وأنا منهم ـ عرفوه أوّلاً من نتاج قلمه الذي بلغ إنتاجه اليوم نحو ستّين كتاباً.

وهو صاحب قلم متميّز ببلاغته وروعة أسلوبه وقوّة منطقه، جنّده للدعوة من أوّل يوم؛ لتوضيح معالم الإسلام، وبيان حقائقه، والردّ على أباطيل خصومه في الداخل، وأعدائه في الخارج، وإضاءة طريق البعث لأُمّته؛ حتّى تعرف غايتها، وتستبين طريقها، بين أضاليل المضلّلين وشبهات المبطلين.

ومن قرأ للغزالي أدرك أنّه أمام كاتب مقالة من الطراز الأوّل، وأنّ القلم في يده أشبه بالسيف في يد ابن الوليد أو صلاح الدين، فهو سيف الله المسلول على أعدائه، به يدافع، وبه يهاجم، وهو قوي في دفاعه، قوي في هجومه، دون أن يعتدي على أحد، فإنّ الله لا يحبّ المعتدين.

ربّما كان عيب الشيخ الغزالي لدى بعض المتعالين والمتعالمين أنّه في غاية الوضوح، وأنّه مفهوم لمن يقرؤه، لا يجد قارئه معاناة في فهمه والنفوذ إلى فكره، كما يجد ذلك فيما يقرأ لبعض المتفلسفين والمتكلّفين الذين يعمدون إلى الإغراب والرمز والغمز وتكثيف المصطلحات إلى حد الإلغاز والإخفاء والتجهيل، ربّما ليخفوا أفكارهم المسمومة وراء هذه الأكنّة من التعابير الغامضة التي تحتاج أبداً إلى حواش لشرحها، ويعدّون ذلك مزية لهم يباهون بها، في مقابل الوضوح البيّن والبيان الواضح عند الغزالي وأمثاله، ممّا يَعُدّونه عيباً، ←

→ ينزل بمرتبة أصحابه الفكرية والأدبية. فإن كان هذا عيباً فالأمر كما قال الشاعر:

وإذا تكون المكرمات معايباً فالعجز أن تحيا ولست معيبا!

إنّ الغزالي يخاطب بكتاباته الفطرة، ويجتهد أن يقنع العقل ويحرّك القلب؛ لهذا لا يتقعّر ولا يتكلّف ولا يتعسّف، وقلّما يستخدم المصطلحات والكلمات التي بين قوسين، بل يحاول أن ينفذ إلى قارئه بنصاعة الأديب المبدع، ووضوح الداعية المشبع، وله في بيان الله ورسوله أسوة حسنة.

منبر الإذاعة والتلفزة:

ومن منابر الدعوة لدى شيخنا الغزالي: الإذاعة والتلفاز، وقد أُذيعت له أحاديث كثيرة في أقطار شتّى، في الإذاعة المسموعة، والإذاعة المرئية، عملت في تنوير العقول بالمفاهيم الإسلامية الصحيحة، وفي ترقيق القلوب وتزكية الأنفس بالمعاني الربّانية والمثل الأخلاقية الرفيعة، ما يعمله الغيث في الأرض العطشىٰ، يحييها بعد موتها.

وقد ظلّت أحاديثه تذاع من إذاعة الصباح في السعودية لسنوات، وكذلك كانت له أحاديث مذاعة ومتلفزة في قطر والكويت والإمارات من بلاد الخليج.

وفي الجزائر كان له حديث أسبوعي مساء كلّ اثنين يبثّه التلفاز، كان الناس في أنحاء الجزائر يترقّبونه، وينصتون إليه، ويجدون فيه معاني جديدة في فهم الإسلام والحياة، تكمّل ما بدأته المدرسة الإصلاحية التجديدية في الجزائر، مدرسة عبدالحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي التي جعلت شعارها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] وجعلت نشيد أبنائها:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب

من قال: حاد عن أصله أو قال: مات؛ فقد كذب

وأحسب أنّ أحاديث الشيخ هذه كان لها أثرها في امتداد الصحوة ونموّها، ورسوخ جذورها، وعلوّ فروعها، بجوار الكتب والمحاضرات والأشرطة وملتقيات الفكر الإسلامي، وعمل الدعاة والمربّين أفراداً وجماعات.

←

← **مصارعة القوى المعادية للإسلام:**

وهناك جانب أساسي من جوانب الدعوة عند الغزالي، وهو: مصارعة القوى المعادية للإسلام، والتصدّي لتيّاراتها، والعمل على كشف عملائها، وهدم أوكارها، وهتك أستارها، والوقوف في وجه أخطارها وآثارها. والغزالي هنا مقاتل عنيد، لايستسلم ولا يطأطئ ولا يلين، ولا يقبل اللقاء في منتصف الطريق، أو الرضا بأنصاف الحلول، بل صبر ومصابرة ومرابطة حتّى النصر أو الشهادة.

في وجه الاستعمار:

لذا وقف في وجه الاستعمار، وكشف عن حقيقته ودوافعه، وأنّها «أحقاد وأطماع». فليس الاستعمار مجرّد طامع في أرض المسلمين ونهب ثرواتهم وخيراتهم، ولكنّه ـ إلى جوار ذلك ـ حاقد صليبي، يحمل ضغائن قديمة لم ينسها بعد الحروب الصليبية المعروفة، بل منذ احتلّ الأرض التي كانت مسيحية، بالشام ومصر وشمالي إفريقيا والأناضول، وحوّلها إلى قلاع إسلامية. وقد ظهر هذا في موقف الغرب من قضايا الإسلام، وآخرها: قضية البوسنة والهرسك.

في وجه الصهيونية:

وقف في وجه الصهيونية العالمية التي احتلّت أرض النبوّات، وانتهكت حرمة المقدّسات الإسلامية، وشرّدت أبناء الأرض من ديارهم بغير حقّ. صنعت ذلك كلّه باسم التوراة، وتحت راية العقيدة اليهودية التي جمعت اليهود المتفرّقين في الأوطان، ويراد للعرب وللفلسطينيّين أن يقاتلوهم بغير دين، فيدخل اليهود المعركة ومعهم التوراة، ويدخلها العرب وليس معهم القرآن. وكان للشيخ في ذلك كتابات كثيرة لا تحصى، من أبرزها ما أصدره بعد النكبة أو النكسة، وهو كتاب: «حصاد الغرور».

في وجه التنصير:

ووقف في وجه «التنصير» الذي يريد أن يسلخ المسلمين من عقيدتهم، فإن لم يقدر على

←

← إدخالهم في النصرانية اكتفى بزعزعة إسلامهم، وتشكيكهم في دينهم.
وللشيخ في ذلك كتابات شتّى، بأساليب متنوّعة، لعلّ آخرها كتابه: «صيحة تحذير من دعاة التنصير»، وقد كتبه بعد أن قرأ ما صدر عن مؤتمر «كلورادو» سنة ١٩٧٨ م من تقرير ضخم ضمّ أربعين دراسة عن الإسلام والنصرانية، وهو المؤتمر الذي اجتمع بهدف تنصير المسلمين في العالم، ورصد لذلك ألف مليون دولار، وأنشأ لهذه الغاية «معهد زويمر» لتخريج متخصّصين في تنصير أُمّة الإسلام.

في وجه الشيوعية:

ووقف في وجه الشيوعية ومحاولاتها لغزو ديار الإسلام، وما صنعته بالمسلمين وراء الستار الحديدي من تصفيات جسدية، وحملات قمعية، وحمّامات دموية.
وللشيخ في ذلك كتابات كثيرة، أبرزها: «الإسلام في وجه الزحف الأحمر».

في وجه الحضارة المادّية:

ووقف الشيخ في وجه مادّية الحضارة الغربية، وإباحيتها الجنسية، وعصبيتها العنصرية، ومحاولات سيطرتها على حضارات العالم الأُخرى، وإن لم ينكر ما فيها من عناصر إيجابية، مثل العلم والتكنولوجيا وحسن الإدارة واحترام حقوق الإنسان، وخصوصاً في داخل أوطانها، وله في ذلك كتابات قديمة وحديثة، من أبرزها كتاب: «ظلام من الغرب».

في وجه العلمانية:

ولعلّ أبرز المعارك التي خاضها الشيخ، وأطولها نَفَساً، وأشرسها هجوماً، هي معركته مع «العلمانية» اللادينية، التي تعارض حاكمية الله لخلقه، وسيادة الشريعة على الناس، وتعزل الدين عن الحياة وعن المجتمع، وتحارب الذين يدعون إلى الإسلام الشامل، وتَعُدّهم دعاة الرجعية وأعداء التطوّر.
وقد بدأ هذا في كتابات الشيخ منذ وقت مبكّر، حينما ردّ على صديقه الشيخ خالد في فصل «قومية الحكم» من كتابه: «من هنا نبدأ»، حين كتب فصل «إسلامية الحكم لا قوميته» في
←

← كتابه: «من هنا نعلم».
ولكن الشيخ كان رفيقاً بالأُستاذ خالد، وكان حسن الظنّ به، وقد صدّقت الأيّام ظنّه، كما ذكرنا ذلك من قبل، وعاد خالد يدعو إلى الإسلام عقيدة وشريعة، وديناً ودولة.
بيد أنّ الشيخ وقف بقوّة وحرارة في وجه العلمانيّين الأُصلاء في العلمانية، المبغضين علانية لشريعة الإسلام، المجاهرين بتحقير حكم الله ورسوله، الداعين إلى تغريب المجتمعات الإسلامية.
كانت معارك الشيخ مع هؤلاء تتّسم بشيء من الشدّة والحدّة بقدر نفور هؤلاء من الإسلام، وتنفيرهم منه، ومعاداتهم للدعاة إليه. وكلّما أوغل هؤلاء في عداوة الدين والشريعة كان قلم الشيخ كأنّما هو شعلة من نار، نار تكوي وتحرق، ولا يخبو لها لهيب، كما نرى ذلك واضحاً في تعقّب الشيخ لسقطات محمّد سعيد العشماوي، ونصر أبو زيد، وفرج فودة، الذين أظهرت كتاباتهم مبلغ كراهيتهم لدعوة الإسلام وتحكيم شريعته.
والشيخ يقول عن هذا النوع من العلمانيّين: «لماذا لا نسمّي هؤلاء بأسمائهم الحقيقية؟ والاسم الحقيقي لهؤلاء: المرتدّون. فهؤلاء قد مرقوا من الدين مروق السهم من الرمية، ولم يعد في قلوبهم توقير لله تعالى، ولا تعظيم لكتابه، ولا احترام لرسوله، ولا انقياد لشريعته».
ويعجب الشيخ من موقف هؤلاء المرتدّين في حقيقة أمرهم، لماذا يحرصون على أن يحتفظوا باسم الإسلام، وأن يظلّوا محسوبين على المسلمين، والإسلام منهم براء، وهؤلاء هم الذين ينطبق عليهم قول المثقّب العبدي:

فإمّا أن تكون أخي بصدق ... فأعرف منك غثّي من سميني!
وإلّا فاطرحني واتّخذني ... عدوّاً أتّقيك وتتقيني!

كان هؤلاء العلمانيّون يظهرون في أثواب متباينة الأشكال. فقد يلبسون لبوس اليسار الثوري، وقد يلبسون لبوس اليمين الليبرالي، وقد يتحلّون بعباءة القومية العربية، وقد يبدون في أثواب أُخر، ولكنّهم جميعاً شركاء في الجرأة على الله تباركت أسماؤه، وفي التعالُم عليه جلّ علاه، والاستدراك على شرعه! فهم يزعمون أنّهم أعلم من الله بخلقه، وأبرّ منه بعباده، وأنّه تعالى حين شرّع لهم ما شرّع لم يكن يدري ما يحدث لهم من تطوّرات، وما يجري عليهم من أحداث، فهم لذلك يرفضون حكمه وحكم رسوله، ولا يرتضون مرجعية الإسلام
←

← فيما شجر بينهم.

وأكثر ما يغيظ الشيخ من هؤلاء العلمانيّين الذين لا دين لهم هو دجلهم وكذبهم على الله عزّ وجلّ! وذلك حين أقحموا أنفسهم على دين الله، وليسوا من الله في كثير ولا قليل، وهم الذين يَعُدّهم الشيخ «نباتات سامّة في حقول الإصلاح»!

إنّهم ورثة مسيلمة الكذّاب الذي زعم أنّه نبي يوحى إليه، ولم يوح إليه شيء، وظنّ المغفّل أنّه يدرك المجد بهذا الدجل المكشوف، فلم يدرك إلاّ القاع، وبقى اسمه إلى الأبد رمزاً للكذب.

وتتابع الكذّابون في عصور مضت، فإذا أناس لا أثر لهم في ميادين الفلسفة، ولا أثر لهم في مجالات العلم، ولا ثقة بعقولهم في شيء طائل يقتحمون ميدان الدين، ثمّ يزعم هذا أنّه نبي بعد محمّد! ويزعم أنّ الله قد حلّ فيه، وأنّه مجلي لبهائه!!

وظاهر أنّ الاستعمار العالمي أراد الكيد للإسلام والنيل من تعاليمه، فاستغلّ هذه «الماليخوليا» عند أصحابها، وروّج لها، وعَدّ أصحابها مؤسّسي أديان ومحدِّثين عن الله، وساندهم بدهاء وإلحاح، فكان له ما أراد أو بعض ما أراد.

وعندما شرع المسلمون يفيقون من غفوتهم، ويثوبون إلى رشدهم، ويدمغون الكهّان الجدد، لاحقهم الاستعمار بنفر آخرين، هم امتداد للنبوّات الكاذبة في العصور السابقة، بفرض هؤلاء أنفسهم على الإسلام، بغية الإجهاز عليه من داخله، ولا شيء لديهم من علم أو فلسفة إلّا ما ورثوه عن مسيلمة وغلام أحمد وبهاء الله، مزيج من الماليخوليا، والجرأة والكهانة والادّعاء.

هذا دجّال ظهر في السودان يأخذ القرآن المكّي ويرفض القرآن المدني، ويوفّر له الأمن سنين عدداً!! وهذا دجّال ظهر في مصر يقبل الكتاب ولا يقبل السنّة.

وبديه أنّ كلا الشخصين لا يعتمد في مزاعمه على إسناد علمي، ولا ينجح في مقارعة حجّة بحجّة. ماذا تقول لمسيلمة أو لسجاح أو لطواغيت القاديانية والبهائية، أو لطلائع الغزو الثقافي الذين يقسمون الوحي قسمين، فيمسكون قسماً، ويطرحون قسماً؟!

هناك منطق عقلي أو تجريبي يحكّم المقولات الفلسفية والقضايا المادّية، أمّا هؤلاء فمنزع آخر تسيِّره أمراض نفسية، واضطرابات ذهنية، ونوع من الجنون المقدّس أو عبادة الذات، وعلى الدهماء أن تسمع وتطيع.

←

← وتعاليم الإسلام في هذه الأيّام تهبّ عليها رياح صفراء من مصادر جديدة بالتفرُّس والحذر.. وغايتها لا تخفى علينا. إنّها الإطاحة برسالة محمّد كلّها تحت عناوين مفتعلة: الاعتماد على القرآن واطّراح السنّة! الاعتماد على القرآن المكّي وترك القرآن المدني! تعطيل نصوص قائمة قد تكون عبادية كشريعة الصيام، فيقال: الصيام يضرّ الإنتاج فلنلغ رمضان! وقد تكون معاملات اجتماعية كأنواع الحدود والقصاص، فيقال: إقامة هذه العقوبات تكثّر العاهات وتشيع البطالة، فلنتجاوزها إلى ما هو أعدل منها وأرعى للصحّة العامّة!!

فضح عملاء الغرب:

وممّا أخذه الشيخ على نفسه: أن يفضح عملاء الغرب الصليبي والشرق الشيوعي في ديارنا، ويهتك أستارهم التي يتخفّون وراءها ويتّخذون لها عناوين شتّى، من الحرّية والتقدّمية والتطوّر والتحرّر والتنوير وما شابهها.

لابدّ من تعرية هؤلاء الذين لا همّ لهم إلّا ترويج سلع الغرب الفكرية في أرضنا وبين أهلنا، وإن كان فيها السمّ القاتل لأُمّتنا؛ فهذا السمّ يوضع في الدسم أو في الحلوى، حتّى يقبل ويشتهى.

من أجل ذلك هاجم سلامة موسى، ولويس عوض، وميشيل عفلق، وقسطنطين زريق، وجورج حبش، وغيرهم من النصارى. كما هاجم لطفي السيد، وساطع الحصري، وطه حسين، ونزار قبّاني، وعبدالرحمٰن الشرقاوي، وصلاح شاهين، وحسين أمين، وغيرهم من المسلمين، سواء منهم من تسربل برداء القومية أو الاشتراكية أو التحرّرية، أو أيّ رداء كان.

ونأخذ هنا مثالاً لموقفه من طه حسين ومحاولات أنصاره العمل على تخليد ذكراه، باعتباره الرائد الأوّل في الأدب، والقائد الأوّل للفكر!

يقول الشيخ في كتابه: «علل وأدوية»:

«قرأت للدكتور طه حسين، واستمعت له، ودار بيني وبينه حوار قصير مرّة أو مرّتين، فصدّ عنّي وصددت عنه!

أُسلوب الرجل منساب رائق، وأداؤه جيّد معجب، وهو بين أقرانه قد يدانيهم أو يساويهم، ويستحيل أن يتقدّم عليهم.. بل عندما أُوازن بينه وبين العقّاد من الناحية العلمية أجد العقّاد أعمق فكراً، وأغزر مادّةً، وأقوم قيلاً. وأكاد أقول: إنّ الموازنة المجرّدة تخدش قدر العقّاد..

←

← وأُسلوب زكي مبارك أرشق عبارة وأنصع بياناً من أُسلوب الدكتور طـه حسـين، ولولا أنّ الرجل قتله الإدمان لكان له شأن أفضل.

ودون غمط لمكانة الدكتور الأدبية نقول: إنّه واحد من الأُدباء المشهورين في القرن الماضي، له وعليه.. وحسبه هذا.

بيد أنّني لاحظت أنّ هناك إصراراً على جعل الرجل عميد الأدب العربي وإمام الفكر الجديد وأنّه زعيم النهضة الأدبيّة الحديثة، ولم أبذل جهداً مذكوراً لإدراك السبب.. إنّ السبب لا يعود إلى الوزن الفنّي أو التقدير الشخصي.. السبب يعود إلى دعم المبادئ التي حملها الرجـل، وكلّف بخدمتها طول عمره. إنّه مات، بيد أنّ ما قاله يجب أن يبقى، وأن يدرس، وأن يكون معيار التقديم.

تدبّر هذه العبارة للدكتور «العميد»: «إنّ الدين الإسلامي يجب أن يعلم فـقط كـجزء مـن التاريخ القومي، لاكدين إلهي نزل يبيّن الشرائع للبشر، فالقوانين الدينية لم تعد تصلح في الحضارة الحديثة كأساس للأخلاق والأحكام، ولذلك لا يجوز أن يبقى الإسلام في صميم الحياة السياسية! أو يتّخذ كمنطلق لتجديد الأُمّة، فالأُمّة تتجدّد بمعزل عن الدين!».

ويمكن الرجوع لمثل كتابه: «مستقبل الثقافة في مصر» لتجد أشباهاً لهذه العبارات السامّة.

ويشاء القدر أن تقع عيني على هذه العبارة: وقد قرّرت «إسرائيل» وقف الطيران في «شركة العال» يوم السبت احتراماً لتعاليم اليهودية!

إنّ الإسلام وحده هو الذي يجب إبعاده عن الحياة العامّة، أمّا الأديان الأُخرى فلتقم باسمها دول، ولترسم على هداها سياسات.

وظاهر أنّ الدكتور طه حسين كان ترجماناً أميناً لأهداف لم تعد خافية على أحـد عـندما طالب بإقصاء الإسلام وأخلاقه وأحكامه، وعدم قبوله أساساً تنطلق الأُمّة منه، وتحيا وفق شرائعه وشعائره.

قائل هذا الكلام يجب أن يكون عميد الأدب العربي في حياته وبعد مماته، وأن تشـتغل الصحافة والمسارح بحديث طويل عن عبقريته، ليكون علماً في رأسه نار، كما قال العرب قديماً.

أمّا العقاد وإسلامياته الكثيرة، فيجب دفنه ودفنها معه. ومع أنّ الرجل حـارب الشـيوعية ←

← والنازية وسائر النظم المستبدّة، وساند «الديمقراطية» مساندة مخلصة جبّارة، فإنّ العالم «الحرّ» ينبغي أن يهيل على ذكراه التراب، ليكون عبرة لكلّ من يتحدّث في الإسلام ولو بالقلم! فكيف إذا كان حديثاً بالفكر والشعور، والدعوة والسلوك، والمخاصمة والكفاح؟! هذا هو الخصم الجدير بالفناء والازدراء.

والقوى التي تعمل دائبة على تخليد ذكرى الدكتور طه حسين وتجديد فكره وإعلاء شأنه معروفة لدينا، ونريد أن نكشف عنها؛ إذ لا معنى لبقائها في جحورها تلدغ ثمّ تستخفي، وتنال منّا باسم حرّية العلم، وهي لا تعرف من الحرّية إلّا لوناً وحيداً: كيف تضرب الإسلام وتطفئ جذوته وتميت صحوته؟!

ذلك، إلى أنّ الريح تعصف اليوم ضدّنا أكثر ممّا كانت تعصف يوم ألّف الدكتور طه ضدّ ديننا وتراثنا. لقد أقامت اليهودية على أنقاضنا دولة تريد اجتياح حاضرنا ومستقبلنا، وهي تربّي النساء والأطفال لتحقيق هذه الغاية، وتَعُدّ المدرسة ثكنة عسكرية، والثكنة معبداً دينياً، والتوراة ديناً ودولةً».

علماء الأزهر وحملة نابليون:

وكما فضح الغزالي العلماء، دافع بقوّة عن الشرفاء، ومنهم علماء الأزهر الذين اتّهمهم بعض الشيوعيّين أنّهم استسلموا لنابليون!

يقول الشيخ:

«لقد تابعت بعض العروض الروائية والسير التاريخية لرجالنا وأحوالنا الأُولى، فوجدت العجب من تزوير التاريخ والكذب على الأحياء والأموات. زعم بعضهم أنّ علماء الأزهر لاذوا بالتقية عند مجيء نابليون بونابرت ولم يؤدّوا واجبهم الوطني. وضربت كفّاً على كفٍّ لهذه الصفاقة الغريبة!

إنّ جثث العلماء المسلمين بعثرت حول القلعة وهم يقاومون الفرنسيّين، وضرب الأزهر بالمدافع، ودخله الجيش الفرنسي بخيله، وقتل أحدُ الأزهريّين القائد «كليبر»، وانتقم الفرنسيّون منه، فقتلوه شرّ قتلة. فكيف يطوى ذلك كلّه، ويذكر أنّ النسوة المعلّمات هنّ اللائي قاومن الفرنسيّين؟!

←

← فقبّحك الله من مؤلّف كذوب! ولكن التهجّم على الإسلام هدف يشترك فيه الرعاع وبعض الرؤساء عمداً؛ لينالوا من الإسلام نفسه، ولتعيش الأُمّة بلا عقيدة، ولتجد الصهيونية الطريق أمامها مفتوحاً إلى ما تريد.

وإلى القارئ هذا الشاهد الآخر من شواهد تزوير التاريخ والحملة على الإسلام وعلمائه:

كتب السيّد صلاح شاهين شيئاً من الشعر العامّي عن مصر وتاريخها الطويل، جاءت فيه هذه الكلمات:

زحف الفرنسيس وزحفت قبلهم جواسيس
غايصين لقاعها وعارفين باعها من باريس
وإيش يعمل القاع قصير الباع.. في القمة؟
وإيش تعمل العمّة في البرنيطة يا أئمّة؟
العمّة ما إتكلّمت (!!!) وتن صوتها حبيس!
غير مرّة لمّا البوليس قال: نوّروا الفوانيس!
وده كفر طبعاً. ولا يدخل لنا في ذمّة
اطّمّن الغرب أنّ في بلدنا ناس رمّة
وانهش يا ديب فينا واقضي بمنتهى الهمّة
على اسم مصر

وأنا أعتذر أوّلاً عن تدوين هذه التعابير السوقية في صحيفة محترمة، لا يجوز أن تنشر على بغام العامّة، ولكنّي مضطرّ لتفنيد ما حوت من إفك خسيس على تاريخ الجهاد العلمي لأُمّتنا..

يرى هذا الكاتب أنّ علماء الأزهر قابلوا الغزو الفرنسي لمصر بصوت محبوس وهمّة مشلولة، وأنّهم ما تحرّكوا محتجّين، إلّا عندما أنار الفرنسيّون القاهرة؛ لأن إبقاء المصابيح كفر، وإشاعة الظلام بالليل هو ما يعمل له علماء الدين (الرمم)..!!!

ولست أستغرب من منكر الله أن يفتري على خلقه! ولكن الافتراء يوم يعلن على أنّه علم، وعهد الناس قريب بالحقيقة، فإنّ الأمر يستدعي الكي لا التكذيب المعتاد..

ولقد علم الغرب والمشرق أنّ الحملة الفرنسية لما وطئت أرض مصر قاد الإسلام وحده ←

← حركة المقاومة، وقاتل الفرنسيّين شبراً شبراً في هذا الوطن المحروب، وأنّ علماء الدين كانوا قادة هذه المقاومة الباسلة ووقودها المتوهّج.

ولما انتفضت القاهرة ضدّ الغزاة، وكان الجامع الأزهر مصدر الثورة، اقتحمت الخيل الفرنسية حرمه. ويقول الجبرتي: «إنهم تفرّقوا بصحنه ومقصورته، وربطوا خيولهم بقبلته، ودشّتوا المصاحف والكتب على الأرض، وبأرجلهم ونعالهم داسوها، وأحدثوا فيه ـ أي: بالوا داخله ـ وشربوا الشراب ـ أي: الخمر ـ وكسروا الأواني وألقوها بجوانبه».

ويحكي التاريخ العدل الصدوق أنّ الشيخ الشهيد سليمان الحلبي كان ـ قبل أن يقتل بأشنع الطرق ـ رابط الجأش، وصرّح في التحقيق الذي أُجري معه أنّه قتل الجنرال «كليبر» في سبيل الله، وكان ينظر إلى من حوله «بعين رفيعة».

ولقد قبض الفرنسيّون على الشيخ أحمد الجوسقي، والشيخ أحمد الشرقاوي، والشيخ عبدالله الشبراوي، والشيخ يوسف المصيلحي، وعروهم من ثيابهم، وصعدوا بهم إلى القلعة، فسجنوهم إلى الصباح، ثمّ أنزلوهم وقتلوهم بالبنادق، وألقوهم من السور خلف القلعة، ولم تعرف لهم قبور». هكذا يذكر الجبرتي في تاريخه، ويجيء رجل شيوعي وغد ليقول في علماء الأزهر كلّهم:

وأنا لو «نابليون» لكنت عدمتهم تقتيل
ما دمت أقدر أسيح دمهم في النيل
واخلع ذقونهم وأبيّن أنّها تضليل
على اسم مصر

أهكذا يكون تزوير الوقائع، وتشييع شهداء المقاومة الشريفة؟! ولم هذا كلّه؟!

لنثبت بطريق الخداع والكذب أنّ الدين «أُفيون الشعوب»، مع أنّ كلّ شيء يصرخ هنا بأنّه محرّر الشعوب ونافخ نارها ومعلّي منارها؟

ونجيء أخيراً للقصّة السمجة، قصّة: أنّ علماء الإسلام قاوموا تعليق المصابيح على البيوت؛ لأنّ الظلمة طاعة، والضوء معصية! كما يذكر رجال الأهرام الأغرّ!

إنّه أضاف بهذه القصّة منقبة لنابليون لم تعرف له. ألم يكتشف أنّه جاء من فرنسا بجيشه كي ينير القاهرة؟! واتّهم الإسلام بمثلبة لم يوردها أشدّ أعدائه صغاراً. ألم يقف علماؤه ضدّ إنارة ←

← الشوارع والحارات؟!
وقصّة تكليف الأهالي بإنارة الطريق أمام بيوتهم أوردها الجبرتي، وذكر حولها بعض وقائع السلب والنهب التي تبعتها.
ورأينا أنّ هذا التصرّف الفرنسي كان إجراءً عسكرياً، ليحكم الغزاة وثاق القاهرة الجريح، وتشتدّ قبضتهم عليها، حتّى لا يستخفي القنّاصة والفدائيّون في جنح الليل.
لكن سدنة القومية العربية الذين يقودون صحافتنا المعاصرة، يريدون تشويه كلّ شيء لتحقيق مآربهم وفرض مبادئهم.
وباسم القومية العربية يحارب البيان العربي الصريح، ويتمّ التمهيد للعامية الهابطة. وباسم القومية العربية ينقم العرب على أضوأ اسم في تاريخهم وأشرف إنسان مشى على الثرى في الأوّلين والآخرين.. ينقمون على محمّد بن عبدالله وينالون من رسالته!
إنّ هؤلاء الناس بداهة ليسوا مسلمين، فهل هم عرب كما يوصفون أو يتّصفون؟!
كلّا، إنّ هؤلاء ـ سواء كانوا أُجراء أو مخلصين ـ أفضل لإسرائيل من كلّ أسلحة الدنيا التي ترد إليها».

دعاة فتّانون

يضيق الشيخ في ميدان الدعوة بمن سمّاهم (الدعاة الفتّانين)، يعني: الذين يفتنون الناس عن دين الله. وقال النبي ﷺ لمعاذ حين طوّل بالناس، وهو يؤمّهم في الصلاة: «أفتّان أنت يا معاذ؟» وكرّرها ثلاثاً. فهؤلاء الدعاء المنفّرون أشدّ فتنة.
يعلم الشيخ أنّ أعداء الإسلام في هذا العصر أقوياء، ومع استمتاعهم بمقادير كبيرة من العلم والدهاء، ومع أنّهم أحرزوا ضدّ الإسلام انتصارات كبيرة في أكثر من ميدان، مع هذا كلّه يقول الشيخ: «فلست أخافهم على ديننا قدر ما أخاف على هذا الدين من متحدّث جاهل، أو منافق عليم اللسان، أو سياسي يتّخذ إلهه هواه».

المتحدّثون الجهّال بحقائق الإسلام وحقائق العصر:

أمّا المتحدّثون الجهّال: فإنّ قصورهم فتح علينا أبواب شرور كثيرة.

←

← إنّ قصّة «الغرانيق» لم يخترعها مبشّر كذوب، وإنّما روّجها متحدّث أحمق من جلدتنا، يتكلّم بلغتنا.

وفرية «عشق الرسول لزينب بنت جحش» لم يختلقها عدوّ كاشح، وإنّما ألّفها متعالم من عندنا، خفيف العقل والحكم.

وقد اضطرب السلوك الإسلامي في بناء الأُسرة؛ لأنّ حديثاً موضوعاً ينهى عن تعليم النساء الكتابة وعن إسكانهنّ الغرف شاع بين الناس..

وآفة بعض المتحدّثين في الإسلام أنّهم يستقبلون المرويات التافهة وأذهانهم خالية أو فقيرة من الوعي بتوجيهات القرآن الكريم، وهو دستور الإسلام الأوّل.

ولا يجوز لفقيه أن يتناول السنن الصحاح، وهو جاهل بالقرآن نفسه، فكيف بما هو دون الصحيح من تلك المرويات؟!

إنّ الصورة المكتملة والجميلة للإسلام تؤخذ من الكتاب والسنّة، الكتاب أوّلاً، ثمّ السنّة بعد ذلك.

والسنّة أساسها ما تواتر ثمّ ما صحّ، أمّا المرويات الضعيفة ـ وما أكثرها ـ فلها شأن آخر، يعرفه الراسخون في العلم.

وقد وقع في يدي كتاب يوزّع في بعض العواصم الإسلامية، ويتأثّر به الكثيرون، وجدت على غلافه ثلاثة أسماء (لعلماء) لهم مناصب مهمّة، وطالعت الكتاب، فاستغربت ما حوى من صور رديئة للإسلام وتعاليمه في قضية اجتماعية كبيرة الشأن.

هل صحيح أنّ البيت المسلم سجن، وأنّ الزوجة داخله متّهمة إلى الأبد، وأنّ أنواع الحيطة تتّخذ لمنعها من الإثم؟!

كذلك يقول الكتاب. فقد جاء به تحت عنوان «نظام سليم لحياة المرأة يتجلّى في الحجاب» هذه العبارات:

«قال عليّ (ﷺ): ألا تستحون؟! ألا تغارون؟ يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم وينظرون إليها!! وكان الصحابة (رضي الله عنهم) يسدّون النوافذ وثقوب الجدران؛ لئلّا تطلع منها النساء على الرجال أو الرجال على النساء! وقد رأى معاذ بن جبل زوجته تطّلع في كوّة فضربها، وأقرّه النبي ﷺ. وكان علي ﷺ يقول: اكفف أبصارهنّ بالحجاب، فإنّ ←

← شدّة الحجاب عليهنّ خير من الارتياب.. فإن استطعت ألّا يعرفن غيرك فافعل! فالحجاب حصن حصين للمرأة يمنع عنها الشكوك والأوهام، ولزومها بيتها خير وأسلم عاقبة!...».

نقول: هذا الكلام كلّه هراء، ولا تصحّ نسبته لا إلى رسول الله ولا إلى أصحابه. والمرويات التي يعتمد عليها هذا الكتاب ظاهرة المخالفة لما تواتر من خروج النساء إلى المسجد النبوي من الفجر إلى العشاء، يرين الرجال ويراهنّ الرجال، ولكن مع غضّ البصر، كما أمر الله ورسوله. إنّ الإسلام لم يأمر بعدم النظر، وإنّما أمر بغضّ البصر.

وقد تصوّرت المشرفين على هذا الكتاب في مواقف تستحقّ الدراسة. لقد روى البخاري أنّ صحابية أحبّت أن تكون مع المجاهدين في البحر، تركب الأُسطول، وتقاتل في سبيل الله، وطلبت من الرسول أن يدعو الله لها بذلك، فأجابها وطمأنها وبشّرها..

لو كان مؤلّف الكتاب حاضراً لقال لها: مالك يا امرأة وهذا العمل؟ وما تكلّفك أمراً لا تحسنينه؟ امكثي في بيتك، ولا تكوني من العصاة!

وتصورّت أنّ المؤلّف مع بنت شعيب وهي تقول لأبيها في شأن موسى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ ٱسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَأْجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] أنّه سيضربها على فمها ويقول لها: اخرسي! ما أدراك أنّه قوي؟! لعلّك نظرت إليه وفكّرت فيه يا...!.

إنّ هذا النوع من الدعاة هو الذي يبرّر الأوضاع الجائرة، ويسند الأنظمة المنحرفة بفتاواه التي يضعها في غير موضعها، وهو الذي يشيع الثقافة الرديئة في الأُمّة التي جعلت الماركسيّين يقولون: إنّ الدين أفيون الشعوب!

إنّ الظلوم الطاغية يقبض على زمام الحكم بالقوّة أو بالحيلة، فيقول هؤلاء في تسويغ وجوده: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

أمّا أنّ المنصب أمانة ومسؤولية، ويجب أن يتمّ بالاختيار الحرّ والبيعة والرضا، فلا يذكر في هذا المقام.

ومن انتهب ثروة ضخمة أخذها سرّاً أو علانية، بمقتضى امتيازات منحت له أو لأُسرته دون خلق الله جميعاً، فلا يقول أحد له: من أين لك هذا؟ بل يقولون: ﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۞ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آل عمران: ←

← ٧٣ـ ٧٤]. وقد ينشدون هنا قول الشاعر:

مــلك المـلوك إذا وهب ... لا تسألنّ عــن الســبب
اللـــه يــعطى مــن يشــا ... ء فقف على حــدّ الأدب!

هؤلاء الدعاة يقولون للشعوب: إنّ السلطان ظلّ الله في أرضه، إن عدل فله الأجر، وعليكم الشكر، وإن ظلم فعليه الوزر، وعليكم الصبر. وفي الحالتين عليكم أن تسمعوا له وتطيعوا، وإن فكّرتم في نصيحته ففي السرّ لا في الجهر، فإنّ النصيحة على الملأ فضيحة. وإيّاكم أن تكتبوا كتاباً أو تنشروا مقالاً أو تلقوا محاضرةً تنتقدون بها الأوضاع العوج، فإنّ هذه دعوة إلى فتنة، والفتنة أكبر من القتل، فاحذروا أن تخسروا فيها رقابكم!

وهم يقولون للسلطان: إنّ لك أن تستشير، وليس عليك أن تأخذ برأي المشيرين، وإن كانوا جمهور الأُمّة أو أكثرية أهل الحلّ والعقد، فالشورى معلّمة لا ملزمة. فالسلطان هو الراعي المسؤول عن رعيته، وعليه أن يتصرّف كما يشاء بمقتضى مسؤوليته.

أمّا ما ورد عن أبي بكر: «إن رأيتموني على حـقّ فأعـينوني، وإن رأيـتموني عـلى بـاطل فسدّدوني. أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم»، وما جاء عن عمر ـ في قوله لمن قال له على الملأ: اتّق الله يا عمر ـ: «لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها»، وقوله: «من رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقومني»، فكلّ هذا ينسى إذا ذكرت حقوق الشعوب على حكّامها، ويقول هؤلاء: احذروا من الديمقراطية ووسائلها، فإنّها مـن المنكرات، وربّما كانت من الكفر!

هذه هي الثقافة الدينية التي يروّجها هؤلاء (الدعاء الفتّانون) كما سمّاهم الشيخ، وهي ثقافة يقاومها ويندّد بها؛ لأنّها تعرض وجه الإسلام دميماً أمام الإنسان المعاصر، وتصدّ عن سبيل الدعوة إلى الله.

المنافق العليم اللسان:

وكما شنّ الشيخ غارته على المتنطّعين المتزمّتين من أهل العلم الذين يحجّرون على الناس ما وسّع الله ويأخذون الناس بأشدّ الأقوال حرجاً في القضايا الاجتماعية التي تهمّ جماهير الناس، نجده كذلك يشدّد الحملة على كلّ «منافق عليم اللسان»، ممّن يبيعون دينهم بعرض

←

← يسير من الدنيا. إنّهم هؤلاء العلماء المنحلّون الذين يرون الموبقات تقترف فيصادقون أصحابها، ويرون أحكام الإسلام ميّتة فلا يحاولون إحياءها، ويرون أنصار الحقّ مستوحشين ضعافاً فلا يؤنسون وحشتهم ولا يدعمون جانبهم.

وما ظنّك بعالم دين يقف ليصفّق مع المصفّقين، ويهتف باسم واحد من أُولئك الذين يحيون على أنقاض الإسلام ورفات المكافحين؟! إنّ هذا الصنف المنحلّ الملق لا يصلح لشيء، بل ما يصلح الدين إلّا بزواله.

والدعوة الإسلامية منكوبة بالمتزمّتين البله والمتملّقين اللئام.

ولا تزيدني الأيّام إلّا إحساساً بهذه الحقيقة: أنّ حاجة الإسلام إلى الذكاء لا تقلّ عن حاجته إلى الإخلاص، أو بتعبير القدامىٰ: لا بدّ من الفقه الواسع إلى جوار النيّة الخالصة.

لو كان الأمر بيد المتزمّتين لبقيت أسواق النخاسة في أرجاء الدنيا تبيع الأحرار على أنّهم رقيق، ولو كان الأمر بيدهم ما فتحت مدرسة لتعليم البنات أبداً.

أمّا حزب المنافق العليم اللسان فهو وراء فساد المجتمع، وجور الحكّام، وضياع الجماهير.

مرتكزات الفكر الدعوي عند الغزالي:

يستند الفكر الدعوي عند الغزالي إلى مرتكزات أساسية، يلمسها كلّ من سمعه، خطيباً أو محاضراً، أو قرأه كاتباً ومؤلّفاً.

أوّل هذه المرتكزات وأعظمها: القرآن الكريم.

فالقرآن هو مصدر الشيخ الأوّل الذي يغترف منه صباحه ومساءه، فلا يشبع ولا يفتر، وهو جنّته الدانية القطوف التي يتفيّأ أبداً ظلالها، ويقتطف من ثمارها، وهو الصاحب الدائم الذي يعايشه تالياً متدبّراً وشارحاً مفسّراً.

ومن سمع الشيخ أو قرأ كتبه ومقالاته منذ فجر شبابه علم علم اليقين مدىٰ حفاوته بالقرآن، وتذوّقه لأسرار بيانه، وتفهّمه لأغوار معانيه، وحسن استشهاده به، ووجد له نظرات ووقفات مع الآيات والسور تدلّ على أنّه ابن القرآن حقّاً.

وسنعود لبيان هذا في فصل خاصٍّ به.

والسنّة النبوية المشرّفة هي: المصدر الثاني للشيخ، وهي مرتكزه بعد القرآن، يقتبس من ←

← مشكاة النبوّة، وينهل من معين الرسالة. بها يوضّح معاني القرآن، ويعمّق مدلولاتها، ويفصّل ما أجمله، ويعطي الأمثلة والصور التطبيقية التي حفلت بها السنّة لشرح القرآن وبيانه نظراً وعملاً، كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ولا نجد خطبة أو محاضرة أو درساً للشيخ أو مقالاً أو بحثاً إلّا رأيته يحسن سياق الأحاديث الصحاح والحسان محتجّاً بها، أو الضعاف مستأنساً بها. وهذه كتبه أمامنا حافلة بهذه الأحاديث.

وسنرجع لتفصيل موقف الشيخ من السنّة في فصل مستقلّ.

ومرتكزه الثالث: التاريخ الإنساني العامّ، والإسلامي الخاصّ، وقمّته السيرة النبوية، فهي بداية تاريخ الإسلام ونقطة انطلاقه.

والشيخ قارئ جيّد للتاريخ، مدرك لوقائعه الحاسمة، وأحداثه الكبرى، ومراحله المتلاحقة وبخاصّة التاريخ الإسلامي، وأسرار انتصار أُمّته وتفوّق حضارته، ثمّ تراجع هذه الحضارة، وتخلّف الأُمّة وتمزّقها، وغلبة أعدائها عليها، وأسباب ذلك.

والداعية الموفّق هو الذي يحسن توظيف التاريخ ووقائعه ومواقف أبطاله في خدمة دعوته وتبليغ رسالته. والأُمّة الموفّقة هي التي تستفيد من التاريخ؛ فهو ذاكرتها التي يختزن فيها ماضيها. وكثيراً ما استشهد الشيخ بشعر أمير الشعراء أحمد شوقي:

مثل القوم نسوا تاريخهم ... كلقيط عيّ في الحي انتسابا
أو كمغلوب على ذاكرة ... يشتكي من صلة الماضي انقضابا

ومرتكزه الرابع: الثقافة العامّة: الثقافة الدينية، والثقافة الإنسانية. فقد تخرّج الشيخ في كلّية أُصول الدين، وهي كلّية الثقافة الإسلامية المتنوّعة: التفسير، والحديث، والعقيدة، والملل، والنحل، والمنطق، والفلسفة، والتصوّف، وعلم النفس، والتاريخ، وأُصول الفقه. وكان الشيخ أزهرياً متمكّناً متفوّقاً، وأكّد ذلك بدراسته في تخصّص الدعوة والإرشاد، ثمّ أضاف إلى ذلك قراءته الخاصّة طوال حياته في مختلف حقول المعارف.

وإلى جوار هذه الثقافة الدينية والإنسانية الأصيلة نجد ثقافة أدبية ولغوية عميقة، أساسها دراسة الشيخ الأزهرية، ثمّ قراءاته الحرّة المستمرّة.

←

→ ومرتكزه الخامس: الواقع، وفقهه، عن طريق المعايشة والاطّلاع، سواء كان واقع المسلمين أو واقع القوى المعادية لهم، الواقع المحلّي (المصري)، والواقع الإقليمي (العربي)، والواقع الإسلامي (واقع البلاد الإسلامية)، والواقع الدولي (خارج عالم الإسلام).

هذا الواقع كتاب مفتوح لدى الشيخ، يقرأ سطوره وما بين سطوره، ويتدبّر أحداثه، ويتعلّم منها ويعلّم، ويوظّفها في نصرة دعوته وتحقيق مقاصدها.

لا يهتمّ في الواقع بالجانب المادّي أو الحسّي فيه، مغفلاً الجوانب الأُخرى، بل اهتمامه ـ مع ذلك ـ مركوز على ما وراء المادّي والحسّي، من الأفكار والأخلاق والعقائد والتقاليد، فهي التي تصنع الإنسان والمجتمعات، وتميّز بعضها عن بعض.

موقف الغزالي من السلف والسلفية:

وهنا قد يسأل سائلون: ما موقف الغزالي من السلف والفكرة السلفية، وبخاصّة أنّه قد اشتبك مع بعض دعاة السلف في كثير ممّا كتبه في السنين الأخيرة، ووقف في الصفّ المقابل لهم في أغلب ما يثيرونه، ويجعلونه من ركائز دعوتهم؟

والواقع أنّ الشيخ الغزالي ـ مثل شيخه حسن البنّا ـ رجل سلفي، فالسلفية من خصائص الدعوة أو المدرسة التي آمن بها، وانتمى إليها، ووظّف جهده في نصرتها. وقد قال حسن البنّا في وصف هذه المدرسة: «إنّها دعوة سلفية، وطريقة سنّية، وحقيقة صوفية، وجماعة ثقافية، وهيئة سياسية...» إلخ، وهذا ما يؤمن به مفكّرنا الغزالي.

ولقد كتب الشيخ في وقت مبكّر ـ أوائل الخمسينيات ـ كتابه: «عقيدة المسلم»، فرجّح فيه مذهب السلف، وقاوم الشرك كلّه أكبره وأصغره، وجليه وخفيه، وانتصر للتوحيد الحقّ، وإن كان في الكتاب نَفَس أشعري، وخصوصاً في التقسيم والتبويب، وهذا لا يخلو منه أزهري، فالأزهر مثل الزيتونة والقرويين وديوبند (أزهر الهند) وغيرها من الجامعات الدينية في العالم الإسلامي، كلّها أشعرية أو ماتريدية. وقد قلت في أحد المؤتمرات يوماً لمن سألني عن الأشاعرة: إنّ الأُمّة الإسلامية منذ قرون في جملتها أشعرية!

فما يضير الشيخ أن يتأثّر بالأشعري أو الماتريدي، أو حتّى بالمعتزلة، أو بالفلاسفة! المهمّ ألاّ يعبّد نفسه لطائفة منهم، تحكم فكره، وتسلبه حرّيته. فالمرجع الأعلى عنده القرآن والسنّة. ←

← وقد استفاد إمام السلفيّين ابن تيمية وتلميذه المحقّق ابن القيّم من تراث المعتزلة، واقتبسا منه ما كان حقّاً في قضايا أفعال العباد، والحسن والقبح، والحكمة والتعليل، وذكر ابن القيّم: أنّ منهجه أن يأخذ الحقّ حيث وجده مع أيّ طائفة، ويدع الباطل من أيّ طائفة، وأن يجمع الحقّ كلّه بعضه إلى بعض، ويكون من مجموعه مقولته.
على أنّ الغزالي نقد منهج علم الكلام الأشعري الذي يدرّس في الأزهر نقداً شديداً؛ لأنّه خاض في مسائل ميتافيزيقية لا طاقة للعقل البشري بها، ولا طائل من وراء بحثها، ممّا يتّصل بالذات والصفات، وهل هي عين الذات أو غيرها أو لا عين ولا غير.
وهو يفضّل أن يتمّ تعليم العقائد على دعامتين:
الأُولى: القرآن الكريم الذي يخاطب الفطرة السليمة والعقل الرشيد، ويلفت النظر إلى الكون والإنسان والتاريخ، لتكون مسرحاً للتفكّر، ويبتعد عن الإلغاز والتعقيد. وهو يتّفق هنا مع الإمام ابن الوزير في ترجيح «أساليب القرآن على أساليب اليونان».
والثانية: العلم الحديث، وما كشف من آيات الله في كونه، ومن بدائع صنع الله في خلقه: في عالم الأفلاك، وفي عالم الجمادات، وفي عالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الإنسان، وفي العوالم كلّها من الذرّة إلى المجرّة.
وبذلك يلتقي كلام الله في كتابه، مع فعل الله في كونه، وكلاهما يدلّ عليه، ويهدي العقول والقلوب إليه.
الغزالي يؤمن بالسلفية التي كان عليها الصحابة والتابعون، فَهْماً متكاملاً للإسلام، وإيماناً حيّاً وصادقاً بمنزِّله وبمبلِّغه، وعملاً بما جاء به من أحكام، والتزاماً بما هدى إليه من أخلاق، ودعوة إليه على بصيرة وبالحكمة والموعظة الحسنة، وجهاداً في سبيله بالنفس والمال واللسان.
يقول الشيخ: «إنّ السلفية ليست فرقة من الناس تسكن بقاعاً من جزيرة العرب، وتحيا على نحو اجتماعي معيّن.
إنّنا نرفض هذا الفهم ونأبى الانتماء إليه.
إنّ السلفية نزعة عقلية وعاطفية ترتبط بخير القرون، وتعمّق ولاءها لكتاب الله وسنّة رسوله، وتحشد جهود المسلمين الماديّة والأدبية لإعلاء كلمة الله دون نظر إلى عرق أو لون.

←

← وفهمها للإسلام وعملها له يرتفع إلى مستوى عمومه وخلوده وتجاوبه مع الفطرة وقيامه على العقل.

وقد رأيت أُناساً يفهمون السلفية على أنّها فقه أحمد بن حنبل (رضي الله عنه).

وهذا خطأ؛ ففقه أحمد أحد الخطوط الفكرية في الثقافة الإسلامية التي تسع أئمّة الأمصار وغيرهم مهما كثروا.

ورأيت ناساً يفهمون السلفية على أنّها مدرسة النصّ.

وهذا خطأ؛ فإنّ مدرسة الرأي كمدرسة الأثر في أخذها من الإسلام واعتمادها عليه.

وقد كان من هؤلاء من تسمّوا أخيراً بأهل الحديث، وسيطرت عليهم أفكار قاصرة في فهم الأخبار المروية، وأحدثوا في الحرم فتنة منكورة.

والحديث النبوي ليس حكراً على طائفة بعينها من المسلمين، بل إنّه مصدر رئيسي للفقه المذهبي كلّه.

ورأيت ناساً تغلب عليهم البداوة أو البدائية، يكرهون المكتشفات العلمية الحديثة، ولا يحسنون الانتفاع بها في دعم الرسالة الإسلامية وحماية تعاليمها. يرفضون الحديث في التلفزيون مثلاً؛ لأنّ ظهور الصورة على الشاشة حرام! ويتناولون المقرّرات الفلكية والجغرافية وغيرها بالهزء والإنكار! وهؤلاء في الحقيقة لا سلف ولا خلف، وأدمغتهم تحتاج إلى تشكيل جديد!

ورأيت ناساً يتبعون الأعنت الأعنت، والأغلظ الأغلظ، من كلّ رأي قيل، فما يفتون الناس إلّا بما يشقّ عليهم، وينغّص معايشهم، ويؤخّر مسيرة المؤمنين في الدنيا، ويأوي بهم إلى كهوفها المظلمة!

وهؤلاء أيضاً لا سلف ولا خلف، إنّهم أُناس في انتسابهم إلى علوم الدين نظر، وأغلبهم معتلّ الضمير والتفكير.

ورأيت ناساً يتبعون إلغاء الرقيق بعيون كئيبة! قلت لهم: ألا تعرفون أنّ هؤلاء العبيد هم أحرار أولاد أحرار، اختطفتهم عصابات النخاسة من أقطارهم، وباعتهم كفراناً وعدواناً ليكونوا لكم خدماً، وهم في الحقيقة سادة؟

ما السلفية التي تقرّ هذا البلاء؟! وما هؤلاء العلماء الذين ضاقوا بسياسة الملك فيصل في ←

← تحريرهم وإلغاء بيعهم وشرائهم؟! إنّ الرجل الشهيد أولى بالله منهم.
ورأيت ناساً يقولون: إنّ آية: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٩٠] مرحلية، فإذا أمكنتنا اليد، لم نُبق على أحد من الكافرين!

قلت: ما هذه سلفية، هذا فكر قطّاع طرق لا أصحاب دعوة شريفة حصيفة، وأُولئك لا يؤمّنون على تدريس الإسلام لجماعة من التلامذة، بَلْه أن يقدّموا في المحافل الدولية والمجامع الدولية.

إنّ العالم الإسلامي الآن متخلّف حضارياً، ومضطرب أخلاقياً واجتماعياً وسياسياً، وبينه وبين الأُمم القائدة الصاعدة أمد بعيد.

هذه الأُمم تعلم ظاهراً من الحياة الدنيا، وتفتقر إلى جيل من البشر يذكّرها بالله ولقائه.

والإسلام وحده هو المالك لهذه الحقائق الهادية، ولكي تؤدّي أُمّته رسالتها يجب عليها أمران:

الأول: أن تطوي مسافة التخلّف الحضاري والاضطراب الإنساني الذي يشينها ولا يزينها.

والثاني: أن تتقدّم بشرف وكياسة لتقول للناس كلّهم: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِن رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾ [النساء: ١٧٤].

ولكي ننجح في عملنا يجب أن نقتفي آثار سلفنا.

والسلفية هنا عنوان كبير لحقيقة كبيرة، أساسها العقل الحرّ المكتشف الدؤوب.

إنّ هذا العقل عندما رغب عن «البحث في الذات العليا وحقيقة الصفات» كان يحترم نفسه عندما توقّف... والعلم المعاصر نجح أيّما نجاح عندما بحث في المادّة التي بين يديه، ولم يبحث في ربّها سبحانه، فأنّى له البحث فيما لا يملك ولا يقدر؟!

من أجل ذلك نرفض النظريات الكلامية، ونقبل المذاهب الفقهية، ونضع الشبكة القانونية التي يتطلّبها انتقال الحياة من طور إلى طور.

من أجل ذلك نهشّ للتقدّم العلمي، ونطوّعه لنصرة مبادئنا ومثلنا.

ومن أجل ذلك نرى ضرورة إزاحة البُلْه وذوي العقد النفسية من قيادة الفكر الديني، فإنّهم غشاوات على البصائر وحجب على الضمائر.

إنّنا محتاجون إلى فقهاء يستطيعون النظر في سياسة المال والحكم، ويرفضون أن يسبقهم ←

← الإلحاد إلى اجتذاب الشعوب الفقيرة في هذه الميادين الخطيرة، ومحتاجون إلى فقهاء يهيمنون على شؤون التربية والإعلام برحابة الإسلام وبشاشته لا بالتزمت والتكلّف.
إنّ الفقه الإسلامي كما قدّمه سلفنا حضارة معجزة، أمّا الفقه الإسلامي كما يقدّمه البعض الآن فهو يميت ولا يحيي».

خصائص الداعية ومؤهّلاته عند الغزالي:
ليس كلّ إنسان يصلح لأن يكون داعية، فقد يكون المرء عالماً كبيراً، ولا يكون داعية كذلك. فالداعية له مؤهّلات أو خصائص قد لا تتوافر لغيره من العلماء الباحثين (الأكاديميّين). والدعاة متفاوتون في حظّهم من هذه الخصائص، وللشيخ الغزالي من هذه الخصائص القدح المعلّى.

١ـ العقل العلمي المبصر.
وأوّل هذه الأدوات المطلوبة: العقل الواعي البصير يستطيع أن يدعو بالحكمة: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩]، فقد قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].
وهذا العقل هو الذي يمكّن صاحبه من الدعوة على بصيرة، كما أمر الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].
هذا العقل هو الذي يستطيع أن يوظّف ما يقرؤه في خدمة الدعوة التي يؤمن بها، سواء كانت قراءة في الدين، أم قراءة في الأدب، أم قراءة في العلم.
وهذا العقل هو الذي يستطيع أن يوظّف التاريخ ويوظّف الواقع ويوظّف الثقافة كلّها في سبيل الدعوة والرسالة.
وقد أُوتي الشيخ هذا العقل البصير الناقد الذي يرفض التقليد الأعمى، سواء كان تقليداً للشرق القديم أم للغرب الجديد، ولا يلقَى زمامه لأحد ليقوده كما يشاء دون أن يدري إلى أيّ وجه هو ذاهب، بل هو عقل حرّ متفتّح، يقبل ما يقبل من الأفكار، ويدع ما يدع منها، وفق ما يلوح له من الأدلّة والبراهين، وما يرجع إليه من القيم والموازين، ولا تهوله الأسماء ولا
←

← الألقاب، بل هو بحّاثة عن الحقّ حيثما كان ومع أيّ كان.

وربّما كان هذا العقل الناقد الثائر هو الذي جلب على الشيخ كثيراً من المتاعب في رفضه لآراء وأقوال يقدّسها بعض الناس، ويضفون عليها ما يشبه العصمة، وفي نقده إلحاد لبعض الأفكار التي يراها ضارّة بدعوة الإسلام، سواء من داخل الساحة الإسلامية أم من خارجها.

ومن العبث الذي لا يقبل شرعاً ولا عقلاً ولا عرفاً أن يطالب الشيخ بأن يتنازل عن عقله لعقل غيره، وأن يدع ما يقتنع به من أجل اقتناع فلان وعلّان، وأن يترك اجتهاده ليعمل باجتهاد الآخرين، فهذا ما لا يسيغه العقل، ولا يجيزه الدين.

قيمة العقل في الدين:

في بواكير ما كتب الشيخ في: «الإسلام والأوضاع الاقتصادية» نقرأ من هذه الفقرة تحت عنوان «قيمة العقل فى الدين»:

«إنّ حدّة الذكاء ويقظة الفكر واستنارة الرأي عناصر لابدّ منها في تكوين الإيمان الصحيح. فإنّ الإيمان معرفة بلغت حدّ اليقين وانتفت معها الريبة، وحيث لا يوجد الإدراك الواضح والفهم الناضج يصبح اليقين غير ذي موضوع!

ولا يحسب أحد أنّنا بذلك نظلم البلهاء، أو نغمط الحمقى حقّهم ـ إن صحّت لهم حقوق ـ بل إنّنا نستوحي هذا الحكم من نصوص القرآن الكريم نفسه. فالعقول الذكية وحدها هي التي تستطيع اختراق أسرار الكون ومعرفة آيات الله في شتّى الأمكنة والأزمنة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

والعقول الذكية وحدها هي التي تميّز الحقّ من الباطل، وتعرف حقائق الوحي من نزغات الهوى وتلفيق الضلال: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩].

والعقول الذكية وحدها هي التي تستفيد من عبر الماضي، وتنتفع بتاريخ الإنسانية الطويل وقصص الأبطال أو الأنذال من المصلحين أو من المفسدين: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

ولا تكون الحكمة في معالجة الأمور والدقّة في الحكم على الأشخاص والمسائل والبصر ←

← بالمقدّمات والنتائج، إلّا لأصحاب العقول الواسعة والمواهب الرائعة: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وتربية العقول وإذكاء المواهب وتفتيق الملكات الإنسانية ليست أمراً هيّناً. فمراحل التعليم في المدرسة، ومراحل التجريب في الحياة، واستيراد الأفكار البعيدة، وضمّ ما لا نعرف إلى ما نعرف، والنظر في الجديد نظرة تلطّف وإيلاف، لا نظرة جمود واعتساف، والتطويف في آفاق العوامل المادّية والأدبية ـ هذه جميعاً وسائل لترقية العقل الإنساني، ثمّ هي بعد وسائل العقل السليم لمعرفة الله وحسن الإيمان به والإفادة من دينه».

عقل يردّ على الشبهات:

هذا العقل البصير هو الذي استطاع به الغزالي أن يفنّد الشبهات ويدفع المفتريات التي يثيرها أعداء الإسلام على اختلاف مللهم ونحلهم وخصوم الفكر الإسلامي على اختلاف توجّهاتهم.

بهذا العقل ردّ الشيخ على الذين أثاروا شبهاً على العقيدة الإسلامية من الشيوعيّين والمنصّرين، والذين أثاروا شبهاً على الشريعة الإسلامية من العلمانيّين والمتغرّبين، والذين أثاروا شبهاً على الحضارة الإسلامية من المستشرقين والكتّاب الغربيّين.

أكتب هذه السطور وبين يديّ كتاب قديم للشيخ ظهر منذ أكثر من ربع قرن، هو كتاب: «قذائف الحقّ» في طبعته الرابعة، التي قدّم لها الأخ عبدالله العقيل.

وفي هذا الكتاب ناقش الشيخ بعقله البصير طوائف شتّى، وكرّ على شبهاتهم شبهة شبهة بحجج الإسلام وبراهين القرآن.

الردّ على أباطيل العهد القديم:

ناقش الشيخ اليهود وما ذكروه عن الخالق جلّ شأنه في أسفار (العهد القديم)، وكيف وصفوا الله سبحانه بالعجز بعد أن خلق الكون في ستّة أيّام، فتعب، واستراح في اليوم السابع، وهو يوم السبت، ولهذا يحرّم اليهود العمل والكدح في هذا اليوم! حتّى جاء في التوراة: أنّ موسى عليه السلام أمر بأن يقتل رجماً أحد الحطّابين الذين أبوا إلّا الكدح في هذا اليوم! والقرآن ←

← الكريم يقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].
ثمّ تبع هذا الحديث عن عجز الله تعالى حديث آخر عن جهله! فقد كان الربّ الإله يتمشّى في الجنّة عند هبوب ريح النهار، فسمع آدم وزوجه صوت الربّ، فاختبآ منه. فنادى الربّ آدم: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك، فخشيت لأنّي عريان، فاختبأت! فقال: من أعلمك أنّك عريان؟ هل أكلت من الشجرة؟!
أين هذا ممّا ذكره القرآن: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]؟! وتبع هذا الجهل حزن وقلق غريب. فإنّ الربّ الإله، يبدو وكأنّ ملكه أصبح مهدّداً بهذا التمرّد الآدمي. فقد ارتكب آدم الجريمة الأُولى وأكل من شجرة المعرفة، وارتفع بهذه المعصية إلى مصافّ الآلهة، فقد غدا يدرك الخير والشرّ. وكان الربّ عندما خلقه حريصاً على بقائه جاهلاً بها. ومن يدري، فقد يزداد عصيانه وتمرّده، ويأكل من شجرة الخلد، ويظفر بالخلود، فحزن الربّ أنّه عمل الإنسان في الأرض، وتأسّف في قلبه!
هذا ما يقوله سفر التكوين من التوراة الحالية، والذي يؤمن بها اليهود والنصارى جميعاً.
يقول الشيخ: «إنّ الإله في هذا السياقات الصبيانية كائن قاصر متقلّب ضعيف. وما أشكّ في أنّ مؤلّف هذه السطور كان سجين تصوّرات وثنية عن حقيقة الأُلوهية وما ينبغي لها. وأوّل ما نستبعده حين نقرأ هذه العبارات أن تكون وحياً أو شبه وحي».
وما قالته التوراة عن الله جلّ جلاله، قالت أسوأ منه وأدهى عن أنبياء الله ورسله! فنسبت إليهم من الزنى والسكر والفجور واستباحة الدماء ما يخجل المرء أن يصف به إلّا السفلة المجرمين من الناس!
وقد ساق الشيخ أمثلة لذلك واستنكرها: نوح السكّير وأُسرته، لوط الزاني، إبراهيم الديّوث، يعقوب المحتال!
إنّ مبدأ (الغاية تبرّر الوسيلة) ليس الذي قرّره (ميكافيللي) كما يقال، بل التوراة.

←

→

الردّ على تثليث النصارى:

وبهذا العقل المبصر ناقش الشيخ النصارى في عقيدة (التثليث)، وبيّن منافاتها لعقيدة التوحيد، كما بيّن استحالة كون الثلاثة واحداً، كاستحالة كون الواحد ثلاثة!

وبهذا العقل أوضح تهافت الأساس العقلي والديني لعقيدة الصلب والفداء.

يقول الشيخ: «إنّ المسيحيّين يقولون: إنّ الله (الابن) صُلب! لكنّهم يقولون كذلك: إنّ الأب هو الابن، وهما والروح القدس جميعاً شيء واحد!

إن كان الأمر كذلك فالقاتل هو المقتول! وذلك سرّ ما قاله أحد الفرنجة المفكّرين: «خلاصة المسيحية: أنّ الله قتل الله لإرضاء الله!»».

الردّ على الإلحاد الشيوعي:

وبهذا العقل ردّ الشيخ على أباطيل الملاحدة الشيوعيّين الذين ينكرون وجود الخالق سبحانه.

دار هذا الحوار بين الشيخ وواحد منهم، ننقل منه هذه السطور:

«قال الملحد: إذا كان الله قد خلق العالم، فمن خلق الله؟!

قلت له: كأنّك بهذا السؤال أو بهذا الاعتراض تؤكّد أنّه لابدّ لكلّ شيء من خالق!

قال الملحد: لا تُلقني في متاهات، أجب عن سؤالي.

قلت له: لا لفّ ولا دوران. إنّك ترى أنّ العالم ليس له خالق، أي: أنّ وجوده من ذاته دون حاجة إلى موجد، فلماذا تقبل القول بأنّ هذا العالم موجود من ذاته أزلاً، وتستغرب من أهل الدين أن يقولوا: إنّ الله الذي خلق العالم ليس لوجوده أوّل؟

إنّها قضية واحدة، فلماذا تصدّق نفسك حين تقرّرها، وتكذّب غيرك حين يقرّرها؟ وإذا كنت ترى أنّ إلهاً ليس له خالق خرافة، فعالم ليس له خالق خرافة كذلك، وفق المنطق الذي تسير عليه!

قال: إنّنا نعيش في هذا العالم ونحسّ وجوده، فلا نستطيع أن ننكره!

قلت له: ومن طالبك بإنكار وجود العالم؟

←

يقول الدكتور يوسف القرضاوي ـ وهو أحد المفكّرين المصريّين البارزين ـ حول الدور الدعوي للشيخ الغزالي في تلك البرهة من الزمن:

«كانت فترة الستّينات فترة صعبة في تاريخ مصر، وكان الصوت المطالب بالحريّة وقتها يَلقي حتفه! في هذا الوقت المدلهمّ[١] لم يصدع إلّا صوت الشيخ الغزالي. ويكاد يكون صوته هو الصوت الأوحد الذي يجأر[٢] بالدعوة إلى الله، وكان هو الشمعة الهادية في تلك الفترة الحالكة»[٣].

لقد كان الغزالي يبذل كثيراً من الجهود في وعظ وإرشاد الناس في أوقات معيّنة من السنة، وخاصّة في شهر رمضان المبارك، وكان يسافر إلى أماكن متعدّدة

← إنّنا عندما نركب عربة أو باخرة أو طائرة تنطلق بنا في طريق رهيب، فتساؤلنا ليس في وجود العربة، وإنّما هو: هل تسير وحدها أم يسيّرها قائد بصير؟!

ومن ثمّ فإنّني أعود إلى سؤالك الأوّل لأقول لك: إنّه مردود عليك. فأنا وأنت معترفان بوجود قائم لامجال لإنكاره، تزعم أنّه لا أوّل له بالنسبة إلى المادّة، وأرى أنّه لا أوّل له بالنسبة إلى خالقها.

فإذا أردت أن تسخر من وجود لا أوّل له، فاسخر من نفسك قبل أن تسخر من المتديّنين..

قال: تعني أنّ الافتراض العقلي واحد بالنسبة إلى الفريقين؟

قلت: إنّني أسترسل معك لأكشف الفراغ والادّعاء اللذين يعتمد عليهما الإلحاد وحسب. أمّا الافتراض العقلي فليس سواء بين المؤمنين والكافرين..

إنّني ـ أنا و أنت ـ ننظر إلى قصر قائم، فأرى بعد نظرة خبيرة أنّ مهندساً أقامه، وترى أنت أنّ خشبه وحديده وحجره وطلاءه قد انتظمت في مواضعها وتهيّأت لساكنيها من تلقاء أنفسها.

الفارق بين نظرتينا إلى الأُمور أنّني وجدت قمراً صناعياً يدور في الفضاء، فقلت أنت: انطلق وحده دونما إشراف أو توجيه، وقلت أنا: بل أطلقه عقل مشرف مدبّر». (الشيخ الغزالي كما عرفته: ٥٧ ـ ٩٢).

(١) ادلهمّ الليل والظلام: إذا كثُف. (تهذيب اللغة ٦: ٢٨٠).

(٢) يجأر: يرفع صوته مع تضرّع واستغاثة. (لسان العرب ١: ٥١٥).

(٣) العطاء الفكري للشيخ محمّد الغزالي: ١٨٩.

من بلاد مصر الشاسعة. فكان خلال ذلك يلتقي بالناس، ويبيّن لهم ماهية القرآن، ويشرح لهم معارف الإسلام.

قال الأُستاذ محمّد شلبي حول مثابرة الغزالي في الدعوة الإسلامية:

«قليل من الناس يعرف أنّ الداعية الكبير قد يخرج من عمله في عصر الخميس، فإذا هو في العشاء بالمنيا[١] يحاضر الناس، وإذا هو في صلاة الجمعة يخطب وهو في منفلوط[٢]، فإذا هو في العصر يحاضر بأسيوط[٣]، وبعد العشاء يحاضر بسوهاج[٤]، ثمّ يعود أدراجه، فإذا هو في الصباح الباكر في عمله بالقاهرة قبل إخوانه الموظفين»[٥].

ولم يغفل الغزالي عن مهمّة التبليغ في البلدان الإسلاميّة الأُخرى، وقد سافر إلى بلدان متعدّدة؛ لأداء هذه المهمّة، وذهنه حافل بالكثير من الذكريات التي حصلت له خلال هذه الأسفار.

وممّا ينقله هو من هذه الذكريات قوله:

«الأماكن التي زرتها تركت في نفسي آثاراً شتّى، قرنت بين طرائف

---

(١) المنيا: مدينة مصريّة في محافظة أسيوط، تشتهر بصناعة السكّر. (المنجد في الأعلام: ٦٨٩).

(٢) منفلوط: مدينة مصريّة في محافظة أسيوط على الشاطئ الغربي للنيل. (المصدر السابق: ٦٨٩).

(٣) أسيوط: من المدن المصريّة القديمة، على الضفّة الغربيّة لنهر النيل، وهي من أهمّ المراكز الثقافيّة والتجاريّة والصناعيّة في مصر، وهي مسقط رأس علماء كثيرين، منهم: العالم الكبير جلال الدين السيوطي. (المصدر السابق: ٤٧).

(٤) سوهاج: من المدن المصريّة القديمة، تقع على ضفّة النيل الغربيّة، يعمل الكثير من أهاليها في صيد الأسماك، وفيها آثار إسلاميّة وقبطيّة قديمة. (المصدر السابق: ٣٧٣).

(٥) العطاء الفكري للشيخ محمّد الغزالي: ١٨٦.

السياحة ومظاهر العبادة، وتكاليف الدعوة إلى الله، وإيقاظ المسلمين الذين يغطّون في نوم عميق»[١].

وذهب ذات مدّة في شهر رمضان للدعوة والإرشاد في مخيّم يقع بالقرب من غزّة، حيث يسكن اللاجئون الفلسطينيّون هناك. ولم يترك هذا السفر في ذهنه من ذكريات سوى ما كان يعيشه المسلمون من حزن وأسىً.

ويقول في هذا المجال:

«في المخيّم كانوا يتضوّرون جوعاً وبطالة ووحشية وألماً ويأساً!

صفر الوجوه عليهمُ   خلع المذلّة بادية»[٢]

وسافر في شهر رمضان من أحد الأعوام إلى المدينة المنوّرة للدعوة والإرشاد، وفي شهر رمضان آخر إلى الخرطوم عاصمة السودان، وبالتزامن مع مهمّة الدعوة كان يدرّس المعارف الإسلاميّة في جامعة الخرطوم أيضاً.

وكان ممّا أثار في نفس الغزالي الأسى هو شيوع المظاهر الغربيّة في أوساط المجتمع السوداني، فقال عمّا شاهده هناك:

«وقد كنت أستغرب وأنا ألمح في السودان رجالاً يلبسون القبّعات ويدخّنون السجائر في نهار رمضان علانية، ولولا ألوانهم لحسبتهم إنجليزاً! ثمّ إنّ الخمر انتشرت هناك انتشاراً مروّعاً، حتّى إنّ السودان تجيء في الرتبة الثالثة في إحصائيات العالم من حيث استهلاك المسكّرات! وقد بنت إحدى شركات الخمور الإنجليزية مصنعاً للبيرة في الخرطوم بحريّة!»[٣].

(١) ظلام من الغرب: ١٨٨.
(٢) المصدر السابق: ١٨٨.
(٣) ظلام من الغرب: ١٩١

في خندق الصحافة

كان الغزالي يكتب في الصحافة المصريّة منذ سنوات شبابه، وكانت مقالاته التي ينشرها في الصحف تتناول مواضيع إسلامية متنوّعة، يكتبها ببيان ساحر وبأُسلوب أدبي رفيع، بحيث حظيت بإقبال شعبي واسع، وخاصّة من قبل الشباب.

بدأ عمله في الصحافة في الكتابة لمجلّة «الإخوان المسلمين» الأُسبوعية في باب ثابت، تحت عنوان: «خواطر حرّة». وبعدما سجن في عام ١٩٤٨م حُظرت عليه الكتابة في الصحف(١).

وبعد اتّساع نشاط حركة «الإخوان المسلمين» ومواجهتها للحكومة آنذاك، أُغلقت مجلّة «الإخوان المسلمين». فانتقل إلى الكتابة في مجلّة «المباحث»، ومن بعدها إلى مجلّة «الدعوة» التي أسّسها صالح العشماوي.

وكانت له علاقات مع مجلاّت أُخرى، مثل: «لواء الإسلام»، و«هذا ديننا»، و«المسلمون» التي كانت تابعة للمملكة العربيّة السعوديّة، وكذلك مجلّة «الحقّ المرّ»(٢).

وعندما أصدر سيّد قطب المجلّة السياسيّة ـ الاجتماعيّة «الفكر الجديد» كان الغزالي أحد كُتّابها.

لم تكن هناك قضية من قضايا العصر إلّا وكان للغزالي موقف منها وكتابة مقالة عنها. وقد أثارت مقالاته الثورية والحماسيّة في الصحف والمجلّات المصريّة غضب الحكومة وعملاء الغرب.

---

(١) الشيخ الغزالي كما عرفته: ٦٤.

(٢) العطاء الفكري للشيخ محمّد الغزالي: ٧٤.

يقول حول موضوع غضب علماء الغرب منه:

«وددت لو فرّغت خواطري ومشاعري أوّلاً بأوّل، حتّى ألقى الله ولست كاتماً لعلمٍ أو حابساً لنصيحة»[١].

الصحفيون الأمريكيون

وجّه الغزالي نقداً لاذعاً للصحفيّين المصريّين الذين يهاجمون المقدّسات الدينيّة. ومنها: الصلاة، والصوم، والحجاب، وغير ذلك، واصفاً إيّاهم بالأمريكيّين، وكتب عنهم قائلاً:

«إنّه ممّا يُحزن القلب أن نشاهد في عهد الثورة تسابق الصحف نحو الانحلال الأمريكي؛ فتراها تتنافس في الإثارة والتسلية التافهة وفتح أبواب الجريمة!»[٢].

وقال في موضع آخر أيضاً:

«ممّا لاشكّ ولاريب فيه أنّ تحقير الإسلام وخذلان أهله وتقديس الديانات الأُخرى وإكبار سدنتها، إنّما هي خطّة تعمل لها أقلام معيّنة، وتساندها الدول التي تقيم المؤسّسات التبشيرية وتعيّن موظّفيها»[٣].

---

(١) المصدر السابق: ١٨٥.

(٢) ظلام من الغرب: ١٧٤.

(٣) المصدر السابق: ١٥٠.

الفصل الثالث:

الغزالي وحركة الإخوان المسلمين

جماعة الإخوان المسلمين من الجماعات الجهادية المعاصرة، والتي بدأت نشاطها من عام ١٩٣٠ م وحتّى عام ١٩٦٠ م، وإلى الآن أيضاً، وقد كانت تمارس نشاطها في أكثر الدول العربيّة، وكان مقرّها الأصلي في مصر.

تأسّست هذه الجماعة في شهر ذي القعدة من عام ١٣٤٧هـ على يد حسن البنّا (١٣٢٤ هـ ـ ١٣٦٨ هـ) في مدينة الإسماعيليّة. وبدأت نشاطها في مدرسة التهذيب من خلال تعليم القرآن، والتجويد، والحديث، والتفسير، والعلوم الإسلاميّة الأُخرى.

نشر حسن البنّا في عام ١٣٥٠هـ رسالة ضمّنها أهداف جماعة الإخوان المسلمين، وانتخب رئيساً لتلك الجماعة.

وبعد اتّساع النشاط السياسي والديني لتلك الجماعة، انتقل مقرّها من الإسكندرية إلى القاهرة.

وفي عام ١٣٥٥هـ عُقد المؤتمر الرابع لجماعة الإخوان المسلمين في مصر، وأقرّ هذا المؤتمر الملك فاروق[١] ملكاً على مصر.

---

(١) فاروق بن فؤاد: ملك مصر. ولد عام ١٩٢٠ م بالقاهرة، وسافر عام ١٩٣٥ م إلى لندن للدراسة، وعاد الى مصر ملكاً عام ١٩٣٦ م بعد وفاة أبيه، وكان خصماً عنيداً لحزب الوفد والديمقراطية، واستند إلى ساسة، أبرزهم: علي ماهر، وأحمد حسنين، وعمل على تملّق العواطف الدينية للجماهير، إلّا أنّها رفضته؛ لاستبداده وما عرف عنه من مجون. وقد استغلّ ←

وفي عام ١٣٥٦هـ اتّخذت في المؤتمر الخامس لجماعة الإخوان المسلمين قرارات مهمّة، نورد في ما يلي أبرزها:

١ـ تحرير الوطن المصري من سلطة الأجنبي، وخاصّة الإنجليز.

٢ـ إقامة حكم إسلامي في مصر.

٣ـ إجراء إصلاحات اجتماعيّة واقتصاديّة.

٤ـ محاربة الاستعمار.

٥ـ دعم استقلال البلدان الإسلاميّة في كلّ مكان في العالم.

٦ـ محاربة النزعة القوميّة، والعمل من أجل وحدة العالم الإسلامي.

وعندما اندلعت حرب عام ١٩٤٨م بين العرب وإسرائيل، فقد سارعت جماعة الإخوان المسلمين إلى مساعدة الفلسطينيّين سياسيّاً وماليّاً وعسكريّاً، وشارك الكثير من أعضائها في تلك الحرب.

وفي أعقاب هذه الوقائع ازدادت شعبيّة ومحبوبيّة حركة الإخوان المسلمين بين المسلمين، وعلى صعيد آخر شعرت الحكومة المصريّة والاستعمار البريطاني بالقلق نتيجة تزايد نفوذ هذه الجماعة.

فأصدر النقراشي[1] رئيس وزارة مصر آنذاك ـ بأمر من الملك فاروق ـ في

→ سلطته في نهب الثروات الزراعية وغيرها، فأجبرته ثورة ٢٣ يوليو على التنازل من عرشه لابنه سنة ١٩٥٢ م، ثمّ أُلغيت الملكية وقامت الجمهورية عام ١٩٥٣. توفّي سنة ١٩٦٥ م. (موسوعة السياسة ٤: ٤٤٦ ـ ٤٤٧).

(١) محمود فهمي النقراشي: سياسي ورجل دولة مصري. ولد عام ١٨٨٨ م، وتلقّى تعليمه بالإسكندرية والقاهرة ولندن، وانضمّ إلى الوفد عام ١٩١٩ م، واختير وكيلاً لوزارة الداخلية في عهد سعد زغلول، واختير في عام ١٩٣٨ م وزيراً للداخلية فالمعارف المالية فالخارجية ←

عام ١٩٤٨م المصادف لعام ١٣٦٨هـ قراراً بحلّ جماعة الإخوان المسلمين، واعتقال الكثير من أبرز قادتها، ومصادرة أموالها[1].

الغزالي في السجن

كان الشيخ الغزالي من الأعضاء الناشطين في جماعة الإخوان المسلمين. وقد سجن في عام ١٩٤٩م بسبب تعاونه مع هذه الجماعة. ونقل هو وعدد آخر من سجناء هذه الجماعة إلى سجن يُطلق عليه اسم: «سجن الحذاء» في مدينة الطور[2].

وفي السجن لم يتوقّف الغزالي عن السعي في سبيل تحقيق غايته، وكان يلقي المحاضرات بهدف توعية السجناء، وكانت أكثر محاضراته في أعقاب إقامة الصلاة.

كان في محاضراته يقدّم رؤى جديدة للسجناء الذين كان أكثرهم من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، ويبعث في نفوسهم العزم والأمل على طريق الجهاد الشاقّ.

وقد كان يُعرف في السجن بأنّه المسؤول عن السجناء، وكان السجناء

← عام ١٩٤٤ م. أصبح رئيساً للوزراء بعد مصرع أحمد ماهر عام ١٩٤٥ م. اغتاله عام ١٩٤٨ م أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين بعد عشرين يوماً من حلّها من قبله. (موسوعة السياسة ٦: ١١٣ ـ ١١٤).

(١) دائرة المعارف بزرگ إسلامي (دائرة المعارف الإسلاميّة الكبرى) ٧: ٢٧٩، موسوعة السياسة ١: ١١٢ ـ ١١٣ و٢: ٥٣٢.

(٢) الطور: بلدة في سيناء على خليج السويس. (المنجد في الأعلام: ٤٣٩).

يحترمون كلمته ويمتثلون لقراره.

وكان المفكّر المصري الدكتور يوسف القرضاوي من بين السجناء يومذاك وبرفقة الغزالي. وقد قال عن ذكريات تلك الأيّام:

«كان الشيخ الغزالي إمامنا في الصلوات، وخطيبنا في الجمعة، ومدرّسنا في الحلقات... وكان من دعائه في هذا القنوت: اللهمّ، افكك بقوّتك أسرنا، واجبر برحمتك كسرنا، وتولّ بعنايتك أمرنا. اللهم، استر عوراتنا، وآمن روعاتنا. اللهمّ، عليك بالظالمين!»(١).

اغتيال حسن البنّا

في عام ١٩٤٩م المصادف لعام ١٣٦٩هـ ـ وعندما كان الشيخ الغزالي في السجن ـ وقعت في خارج السجن وقائع مريرة. فجماعة الإخوان المسلمين ـ بعدما صدر قرار حلّها ـ اتّبعت منهج العمل السرّي، واستطاعت من خلال إنجاز خطّة مدبّرة اغتيال النقراشي باشا رئيس وزراء مصر آنذاك (وهو الذي أصدر قرار حلّ الجماعة).

وردّاً على ذلك العمل أقدمت الحكومة المصريّة ـ بعد مدّة من الزمن ـ على اغتيال حسن البنّا مؤسّس جماعة الإخوان المسلمين(٢). وأدّى مقتله إلى أن يسود الحزن والأسى بين طلّابه ومؤيّديه، ولقد حزن الغزالي وتأثّر كثيراً عند سماعه خبر اغتيال حسن البنّا، وقال:

---

(١) الشيخ الغزالي كما عرفته: ١٧.

(٢) راجع موسوعة السياسة ٢: ٥٣٢.

«خرقت الرصاصات جسداً أضنته العبادة الخاشعة، وبراه طول القيام والسجود.. خرقت جسداً غبّرته الأسفار المتواصلة في سبيل الله.. وقد عرفت أُوربا أيّ خطر على بقائها في الشرق إذا بقي فيه هذا الرجل...»[١].

كان يغرس بمواعظه معاني الإصرار في قلوب محبّي حسن البنّا، فقال لهم في إحدى خطاباته:

«إنّ موت حسن البنّا لا يعني أنّ المعركة قد انتهت مع أعداء الله وأعداء الأُمّة، وإنّ الراية التي رفعها حسن البنّا قد تلقّفها جنوده وتلاميذه من بعده، ولن يدعوها تسقط أبداً»[٢].

وكان يؤمن بأنّ موت حسن البنّا لن يعيق حركة الجهاد ضدّ أعداء الله؛ لأنّه ربّى رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه[٣].

وذات مرّة جلس أحد الناس مع الغزالي، وقال له: «لقد خسرت الدعوة والوطن والأُمة الإسلاميّة بموت حسن البنّا خسارة لا تعوّض».

فأنكر عليه الغزالي كلامه، وقال له: «إنّ دعوة حسن البنّا حيّة لم تمت».

فقال له الرجل: «ولكن الدعوة تحتاج إلى رجال!».

فقال الغزالي مجيباً: «لقد ربّى حسن البنّا رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه»[٤].

---

(١) تأمّلات في الدين والحياة: ٤٨.

(٢) الشيخ الغزالي كما عرفته: ٣١.

(٣) اقتباس من قوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ من سورة الأحزاب ٣٣: ٢٣.

(٤) الشيخ الغزالي كما عرفته: ٣١.

وفي الذكرى الأُولى لاستشهاد حسن البنّا، كتب الغزالي في مجلّة «الدعوة» مقالة بعنوان: «غصن باسق في شجرة الخلود» تكريماً له[١] *.

---

(١) المصدر السابق: ٢٨.

(*) **حسن البنّا في عين الغزالي:**

كبر الشيخ وعظم مقامه في عالم الإسلام كلّه، ولكنّه لم يكبر علىٰ حسن البنّا، الرجل الذي عرف على يديه حقيقة الإسلام الحيّ المتحرّك، وآمن بمواهبه العقلية والنفسية والروحية والعملية لقيادة الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي، في عصر ابتلي الإسلام فيه بعجز علمائه، وجهل أبنائه، وكيد أعدائه، وفساد أُمرائه، وشحّ أغنيائه.

يقول عنه الغزالي: «كان حسن البنّا ـ حيث حلّ ـ يترك وراءه أثراً صالحاً، وما لقيه امرؤ في نفسه استعداد لقبول الخير إلّا وأفاد منه ما يزيده صلة بربّه، وفقهاً في دينه، وشعوراً بتبعته نحو الإسلام والمسلمين.

والرجل الذي يشتغل بتعليم الناس لا يستطيع في أحيانه كلّها أن يرسل النفع فيضاً غدقاً، فله ساعات يخمد فيها، وساعات يتألّق وينير. إنّ الإشعاع الدائم طبيعة الكواكب وحدها. وقد كان حسن البنّا في أُفقه الداني البعيد من هذا الطراز الهادي بطبيعته؛ لأنّ جوهر نفسه لا يتوقّف عن الإشعاع.

سل الأُلوف المؤلّفة التي التقت به أو التي أشرق عليها الرجل في مداره العتيد، ما من أحد منهم إلّا وفي حياته و مشاعره وأفكاره أثر من توجيهات حسن البنّا، أثر يعتزّ به، ويغالي بقيمته، ويَعُدّه أثمن ما أحرز في دنياه».

ويتحدّث الغزالي عن أوّل لقاء تعرّف فيه على حسن البنّا، فيقول: «كنت طالباً بمعهد الإسكندرية عندما اتّصلت بحسن البنّا. كان ذلك من عشرين عاماً تقريباً. بيد أنّ الأُمسية الرفّافة العذبة التي وصلتني به لا تزال محفورة في ذاكرتي.

ولست أنسىٰ طريقة هذا الرجل في صقل الأرواح ووصلها بينابيع الحياة والحركة من كتاب الله وسنّة رسوله، والتربية الروحيّة فنّ دقيق.

إنّ النار على مسافة محدودة تدفّئ، وعلى مسافة أقلّ تحرق، وكذلك تحديث الناس عن الدنيا والآخرة.. إنّ هذا الحديث قد يخلق الفدائيّين، وقد يخلق الانطوائيّين المتواكلين.

وأشهد أنّ حسن البنّا عرف كيف ينقل الإسلام إلى قلوب واعية، فإذا بها تتحدّىٰ الحتوف في

←

← ميادين البطولة، وتكسب الساحات في ميادين العمل للدنيا.
إنّ خدمة الإسلام لا تصحّ خبط عشواء، وإنّما تصحّ كما رسم القرآن: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨].
والفتيان الأخيار الذين شرّفوا الإسلام في هذا العصر هم ثمار ناضجة لهذه التربية الروحية الموفّقة. فُروسيتهم بالنهار وليدة رهبانيتهم بالليل، ونجاح خطاهم في الحياة أثر صلتهم الموثّقة بالله.
ترى هل تعود الليالي المباركات التي كنّا نصفّي فيها قلوبنا، ثمّ نصفّ أقدامنا ونصلّي لله؟! ليتها تعود!».
ظلّ الشيخ الغزالي محبّاً لحسن البنّا، وفيّاً لبيعته، معترفاً بإمامته، ذاكراً لفضله، مشيداً بجهوده البنّاءة والسبّاقة في سبيل البعث الإسلامي، منافحاً عن دعوته وسيرته إذا مسّه أحد بسوء.
ذكر أمامه ـ ونحن في المعتقل ـ ما كتبه «العقّاد» في جريدة «الأساس» ـ لسان حال «السعديّين» ـ عن الأُستاذ البنّا ووالده وأُسرته، وكان كلاماً سخيفاً متحاملاً، فقال الغزالي في غضب: «أما والله، لو كان لنا حرّية التعبير، ومكّنا من الردّ، لاستطاعت أقلامنا الشابّة أن تكسر تلك الأقلام التي شاخت في الضلال!».
وفي الذكرى الأُولى لاستشهاد الإمام البنّا أصدر الأُستاذ «صالح عشماوي» عدداً خاصّاً من مجلّة «الدعوة»، وكتب فيه الغزالي مقالاً بعنوان: «غصن باسق في شجرة الخلود»، عبّر فيه عن حقيقة مشاعره نحو المرشد الشهيد الذي عاش حياته يسوق الناس إلى الله، ويحشدهم أُلوفاً أُلوفاً في ساحة الإسلام.
وفي أكثر من مناسبة كتب عنه بمثل هذه الحرارة. ومنذ سنوات، حين سعدنا به أُستاذاً في جامعة قطر، زارنا بكلّية الشريعة أخ قديم وزميل كريم من أساتذة الأزهر، عرفته من الإخوان طوال عهد الدراسة، وكان يسكن معي في شقّة واحدة في «شبرا»، ثمّ تحوّل إلى إحدى الطرق الصوفية، ودخل فيما يدخل فيه المتصوّفة من أحوال ومواجيد. وكان يقول للشيخ بإخلاص: «كم أودّ ـ ياشيخنا ـ بل كم أدعو الله أن تختم حياتك بالدخول في الطريق، وتأخذ العهد على شيخي!».

←

← وكان ردّ الشيخ (حفظه الله): «يا فلان، وهل رأيت شيخاً أفضل من حسن البنّا؟ لقد أغنانا حسن البنّا عن الأخذ عن أيّ شيخ بعده!».

وتوّج ذلك شرحه لـ «الأُصول العشرين» التي جعلها الشهيد أساساً لوحدة الفهم لدى العاملين للإسلام، ولهذا سمّى الغزالي هذا الشرح: «دستور الوحدة الثقافية للمسلمين»، وكتب له مقدّمة قال فيها:

«مُلهم هذا الكتاب وصاحب موضوعه الأُستاذ الإمام حسن البنّا الذي أصفه ويصفه معي كثيرون بأنّه مجدّد القرن الرابع عشر للهجرة. فقد وضع جملة مبادئ تجمع الشمل المتفرّق، وتوضح الهدف الغائم، وتعود بالمسلمين إلى كتاب ربّهم وسنّة نبيّهم، وتتناول ما عراهم خلال الماضي من أسباب العوج والاسترخاء بيد آسية، وعين لمّاحة، فلا تدع سبباً لضعف أو خمول.

وعملي كان تأصيل هذه المبادئ وشرحها في ضوء تجاربي المستفادة خلال أربعين عاماً في ميدان الدعوة، قضيت بعضها مع الإمام الشهيد، وبعضها مع الرجال الذين ربّاهم، وبعضاً آخر مع مؤمنين مخلصين أحبّوا دينهم، وجاهدوا في سبيله، وقاوموا ببأس شديد جميع القوى التي أغارت عليه وحاولت إطفاء نوره وتنكيس رايته..

ومن الخطأ القول بأنّ حسن البنّا أوّل من رفع راية المقاومة في هذا القرن الذليل. لقد سبقه في المشرق العربي والمغرب العربي وأعماق الهند وأندونيسيا وغيرها رجال اشتبكوا مع الأعداء في ميادين الحرب والسياسة والتعليم والتربية، وأبلوا بلاءً حسناً في خدمة دينهم وأُمّتهم.

وليس يضيرهم أبداً أنّهم انهزموا آخر الأمر، فقد أدّوا واجبهم لله، وأتمّ من بعدهم بقية الشوط الذي هلكوا دونه.

إنّ حسن البنّا استفاد من تجارب القادة الذين سبقوه، وجمع الله في شخصه مواهب تفوّقت في أُناس كثيرين.

كان مدمناً لتلاوة القرآن، يتلوه بصوت رخيم، وكان يحسن تفسيره كأنّه الطبري، أو القرطبي، وله قدرة ملحوظة على فهم أصعب المعاني، ثمّ عرضها على الجماهير بأُسلوب سهل قريب. وهو لم يحمل عنوان التصوّف، بل لقد أُبعد من طريقة كانت تنتمي إليها بيئته.

←

→ ومع ذلك فإنّ أُسلوبه في التربية وتعهّد الأتباع وإشعاع مشاعر الحبّ في الله كان يذكّر بالحارث المحاسبي، وأبي حامد الغزالي.
وقد درس السنّة المطهّرة على والده الذي أعاد ترتيب مسند أحمد بن حنبل، كما درس الفقه المذهبي باقتضاب، فأفاده ذلك بصراً سديداً بمنهج السلف والخلف.
ووقف حسن البنّا على منهج محمّد عبده وتلميذه صاحب المنار الشيخ محمّد رشيد رضا، ووقع بينه وبين الأخير حوار مهذّب، ومع إعجابه بالقدرة العلمية للشيخ رشيد وإفادته منها، فقد أبى التورّط فيما تورّط فيه.
ولعلّه كان أقدر الناس على رفع المستوى الفكري للجماهير، مع محاذرة لبقة من أسباب الخلاف ومظاهر التعصّب.
وقد أحاط الأُستاذ البنّا بالتاريخ الإسلامي، وتتبّع عوامل المدّ والجزر في مراحله المختلفة، وتعمّق تعمّقاً شديداً في حاضر العالم الإسلامي ومؤثّرات الاحتلال الأجنبي ضدّه..
ثمّ في صمت غريب أخذ الرجل الصالح ينتقل من مدن مصر وقراها، وأظنّه دخل ثلاثة آلاف قرية من القرى الأربعة آلاف التي تكوّن القطر كلّه.
وخلال عشرين عاماً تقريباً صنع الجماعة التي صدعت الاستعمار الثقافي والعسكري، ونفخت روح الحياة في الجسد الهامد...».
كان الغزالي محبّاً لحسن البنّا معجباً به، ولكنّه ليس إعجاب التقديس أو التهويل، وكان يرى أنّ حسن البنّا مهّد الطريق، وعلينا أن نكمل المسيرة، لا نتراجع ولا نتوقّف. لقد أدّى الرجل الفذّ ما عليه، وبقي على أبنائه ما عليهم.
وفي مقابلة صحفية للأخ الصحفي المسلم اللامع الأُستاذ محمّد عبدالقدّوس صهر الشيخ على صفحات مجلّة «الدعوة» الصادرة في غرّة ربيع الأوّل عام ١٤١٥ هـ (أغسطس عام ١٩٩٤ م) كان هذا السؤال الذي وجّهه للشيخ الغزالي:
سألت الداعية الإسلامي الكبير عمّا أعجبه في إمامنا الشهيد.. أعني: مميّزاته.
أجابني قائلاً: «قدرة خارقة على دراسة الحقائق الكبيرة والفلسفات الخطيرة والثقافات العالية، ثمّ تلخيصها بأُسلوب سهل قريب من العامّة، لكنّه لايهبط إليها. ولذلك فهو يملك تقديم معارف جديدة للناس لم يسمعوها من قبل، وأعتقد أنّه كان قارئاً من الطراز الأوّل، ←

← وأتذكّر أنّني شاركت في جرد مكتبته الخاصّة عقب وفاته، فوجدت بها أُلوف الكتب وعلى بعضها تعليقات له. ومع سعة معرفته فإنّه ليس عارض ثقافات تستهوي الألباب بقدر ما هو صاحب رسالة يجمع الناس حولها، ويربطهم بمبادئها، ويجنّدهم فكرياً وسلوكياً لخدمتها.. كان ذكاؤه مدهشاً، وذاكرته حديدية، وقدرته على تأليف القلوب عجيبة. كان المستمع يخرج من لقائه وهو عاشق للإسلام غيور على تعاليمه راغب في الدفاع عنه والموت في سبيله».

وقد سأل الأُستاذ محمّد المجذوب الشيخ الغزالي عن الشخصيات التي تأثّر بها في حياته العلمية والدعوية، فكان جوابه:

«تأثّرت بالشيخ عبدالعظيم الزرقاني الذي كان مدرّساً بكلّية أُصول الدين، وهو صاحب كتاب: «مناهل العرفان في علوم القرآن»، وكان عالماً يجمع بين العلم والأدب، وعباراته في كتابه المذكور تدلّ على أنّه راسخ القدم في البيان وحسن الديباجة ونقاء العرض.

وفي معهد الإسكندرية الديني تأثّرت بالشيخ إبراهيم الغرباوي والشيخ عبدالعزيز بلال، وكانا يشتغلان بالتربية النفسية، ولهما درجة عالية في العبادة والتقوى، وكانا يمزجان الدرس برقابة الله وطلب الآخرة وعدم الفتنة بنيل الإجازات العلمية؛ لأنّ للألقاب العلمية طنيناً ربّما ذهب معه الإخلاص المنشود في الدين.

وقد تأثّرت أيضاً بالشيخ محمود شلتوت الذي أصبح فيما بعد شيخاً للأزهر؛ إذ كان مدرّساً للتفسير، وله قدرة ملحوظة في هذا المجال، إلى جانب رسوخ قدمه في مجال الفقه وعلوم الشريعة إجمالاً، وقد كان ﷺ شخصية عالمية بارزة يلتفّ حولها الكثيرون.

أمّا تأثّري الأكبر فقد كان بالإمام الشهيد حسن البنّا، وكان عالماً بالدين كأفقه ما يكون علماء العقيدة والشريعة، وكان خطيباً متدفّقاً ينساب الكلام منه أُصولاً لا فضولاً وحقائق لا خيالات.. وكان حسن البنّا يدرك المرحلة الرهيبة التي يمرّ بها الإسلام بعدما سقطت خلافته، وذهبت دولته، ونجح المستعمرون شرقاً وغرباً في انتهاب تركته، فكان الرجل يعارض هذا الطوفان المدمّر عن طريق تكوين الجماعات التي تعتزّ بدينها، وتتشبّث بالحقّ مهما واجهت من متاعب أو عوائق أو ويلات.

حسن البنّا كان صديقاً لكلّ من يلقى من أهل الإيمان، فتغمرك بشاشته عندما تراه، وتشعر ←

← كأنّك أصبحت صديقاً أثيراً لديه. وكان يضنّ بوقته على اللغو، فما تمرّ ثانية ـ ولا أقول: دقيقة ـ إلّا وهو يخدم الإسلام بكلمة أو توجيه أو عمل نافع أو دعاية لطيفة تربط بين القلوب. وذاكرة حسن البنّا كانت حديدية، وكأنّها شريط مسجّل يستوعب الأسماء والمعاني، فلو التقيت به وناقشت معه إحدى القضايا، أو ذكرت له اسم إخوتك مثلاً، ثمّ لقيته بعد ذلك ببضع سنين، لبادرك بالسؤال عن إخوتك وناقشك في القضية التي طرحتها عليه منذ سنين، واسترجع معك الحديث وكأنّه تمّ بالأمس القريب!

والحقّ أنّ الرجل كان يحبّ عن إخلاص لا عن تكلّف، وربّما عانق عاملاً يلبس بدلة الشغل الملوّثة بشحوم الآلات وسوائلها، فما يحجزه شيء من ذلك عن ترجمة حبّه. وحسن البنّا له عبقريات منوّعة يحتاج الكلام فيها إلى كتاب منفرد».

وفي خاتمة كتاب: «دستور الوحدة الثقافية للمسلمين» الذي شرح فيه الغزالي الأُصول العشرين للبنّا، قال: «قد أُعطي نفسي الحقّ في مخالفة أيّ فكر ديني سابق أو لاحق، ولكنّي لا أُعطيها أبداً حقّ الشذوذ أو الخروج على الإجماع.

إنّني أُوثر السير مع الجماعة الكبرى، وأُحبّ وحدة الصفّ والهدف، وأرى أنّ الفرقة هزيمة وعذاب وشؤم، وأرفض أن تكون القضايا الصغرى سبباً في تنافر الأفئدة، وأُوصي أن نتشبّث بمعاقد الدين وعراه الوثقى!

إنّ ربّ العالمين يغتفر الصغائر إذا اجتنبت الكبائر، فهلّا تعلّمنا من ذلك تجاوز الهنات إذا احترمت الأُمّهات؟!

إنّ التعاليم العشرين التي وضعها حسن البنّا (رضوان الله عليه) تضمّنت خيراً كثيراً، وألحقت جماعته بالركب الإسلامي الكبير، ولم تُفردها بسمة شاذّة، ولم تجعل منه رجلاً لطائفة منفصلة عن سواد الأُمّة.

إنّه إمام بين عدد من الأئمّة الذين ظهروا خلال القرون الأربعة عشر يخدمون الكتاب والسنّة، ويستمدّون شرفهم من الولاء المطلق لله ورسوله، والحفاوة المطلقة بكلّ من يلقون في هذا الميدان الطهور، وإن اختلفت الملامح النفسية والفكرية.

وقد تعلّمت من حسن البنّا الإنصاف للغير مهما خالف في الرأي. نعم، عندما أُخالف أحداً في حكم ما فلا يجوز أن أُهمل ما لديه من صواب كثير ومواهب قد أفاءها الله عليه. يجب أن ←

الانفصال عن جماعة الإخوان المسلمين

بعد تحمّل الكثير من العناء والمرارة في السجن أُطلق سراح الغزالي في عام ١٩٤٩م المصادف لسنة ١٣٦٩هـ، وواصل عمله ونشاطه العلمي. فبادر إلى نشر كتاب بعنوان: «الإسلام والاستبداد السياسي»، وهو عبارة عن المحاضرات التي كان يلقيها على السجناء أثناء فترة سجنه.

ومن بعد مقتل حسن البنّا اختارت جماعة الإخوان المسلمين حسن الهضيبي[1] أميناً عامّاً لها.

وفي عام ١٩٥٢م وقع انقلاب عسكري بقيادة جمال عبد الناصر[2]، خلع على أثره الملك فاروق من السلطة، وتحوّل نظام الحكم في مصر من النظام

← أحترم ذلك فيه، بل يجب أن أحترم ما وراء خطئه من غيرة دينية تربطني به وإن أنكرت قوله.

إنّ الذي أقلق حسن البنّا ويقلق كلّ مصلح بعده أصحاب الأهواء الجامحة والمعارف الضحلة عندما يستبدّ بهم جنون العظمة، ويريدون فرض قماءتهم على الناس باسم الدين! (الشيخ الغزالي كما عرفته: ٢٧ ـ ٣٤).

(١) حسن الهُضَيبي: المرشد الثاني لحركة الإخوان المسلمين المصرية. ولد عام ١٨٩١ م، واستلم الحركة بعد اغتيال مؤسّسها حسن البنّا عام ١٩٤٩ م، وقد شهد عهده تحوّلات السياسة المصريّة إبّان حكم محمّد أنور السادات والانفتاح على الغرب. وتولّى الحركة من بعده سيّد قطب. توفّي في القاهرة سنة ١٩٧٣ م. (ملحق موسوعة السياسة: ٦٧٩).

(٢) جمال عبدالناصر بن حسين بن خليل بن سلطان عبدالناصر: سياسي مصري معروف. ولد بأسيوط سنة ١٩١٨م،وتخرّج سنة ١٩٣٨م من الكلّية الحربيّة في القاهرة. قام بالثورة على الملك فاروق سنة ١٩٥٢م، وتسلّم زمام الأُمور من محمّد نجيب بالقوّة سنة ١٩٥٤م، وأمّم قناة السويس، وأعلن الوحدة المصريّة ـ السوريّة، وبنى السدّ العالي، وحدث في زمنه العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ م. توفّي على أثر سكتة قلبيّة عام ١٩٧٠ م. (الأعلام للزركلي ٢: ١٣٤ ـ ١٣٥).

الملكي إلى الجمهوري.

كانت جماعة الإخوان المسلمين تعارض النظام الملكي، وتعاونت مع جمال عبد الناصر، وكان لها دور لا يُستهان به في نجاح الانقلاب.

وعندما وصل جمال عبدالناصر إلى رأس السلطة اعترف رسمياً بجماعة الإخوان المسلمين مكافأةً لهم على تعاونهم معه. إلّا أنّ مواقفه تبدّلت لاحقاً، واصطدم بهذه الجماعة، وأصدر حكماً بإعدام عدد من مفكّريها، مثل سيّد قطب.

كان الشيخ محمّد الغزالي ـ كما هو الحال بالنسبة إلى سائر هذه الجماعة ـ يحسن الظنّ بجمال عبدالناصر ويدافع عنه. ولكنّه عدل في ما بعد عن تلك المواقف بعدما انجلت الغبرة عن الإجراءات التي كان يقوم بها عبدالناصر، وكتب في ذلك بعض الكتب المعبّرة عن وجهته هذه، مثل: «قذائف الحقّ»، و«الإسلام والزحف الأحمر»، ممّا يكشف فيها عن طوية عبد الناصر ضدّ الإسلام والأُمّة[1].

كان عبدالناصر يخشى خطورة التأثير الفكري للغزالي بين شباب جماعة الإخوان المسلمين، فدفع حسن الهضيبي إلى فصل الغزالي ونفر معه من هذه الجماعة.

وأقدم حسن الهضيبي الذي كان على علاقة قوية مع جمال عبدالناصر على فصل أربعة من كبار أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، وهم كلّ من: صالح العشماوي وكيل الإخوان، والدكتور محمّد سليمان، وأحمد عبدالعزيز جلال، بالإضافة إلى الشيخ الغزالي[2].

---

(١) الشيخ الغزالي كما عرفته: ٤١ و٤٩ ـ ٥٢.

(٢) المصدر السابق: ٣٩.

الفصل الرابع:

مواقف الغزالي

المواقف الداخليّة

١ـ إبداء النظر في محاكمة منفّذي اغتيال فرج فودة

الدكتور فرج فودة كاتب مصري مرتدّ، جعل دين الإسلام غرضاً للاستهزاء، وأهان المسلمين. فقام عدد من الشباب الثوريّين باغتياله، وقد رفع ذووه القضية إلى المحكمة، فشكّلت المحكمة ملفّاً للقضية، وعقدت جلسة لمحاكمة المتّهمين بالقتل، وطلبت المحكمة حضور الشيخ الغزالي بناءً على طلب دفاع المتّهمين؛ ليجيب عن أسئلة معيّنة وجّهها إليه الدفاع، وكانت كما يلي:

سؤال من الدفاع: ما حكم من يدعو إلى استبدال حكم الله بشريعة وضعيّة تحلّ الحرام وتحرّم الحلال؟

ـ ليس هذا بمسلم يقيناً.

سؤال من الدفاع: ما حكم المرتدّ شرعاً؟

ـ إنّ بقاء المرتدّ في المجتمع يكون بمثابة جرثومة تنفث سمومها بحضّ الناس على ترك الإسلام، فيجب على الحاكم أن يقتله[1].

سؤال من الدفاع: لو أنّ الحكومة لا تُعاقب، هل يبقى الحدّ على أصله من وجوب الإيقاع؟

---

(١) الشيخ الغزالي كما عرفته: ٢٨١ وما بعدها.

ـ لو أنّ الحكومة المصريّة قصّرت في تطبيق عقوبة الإعدام على المرتدّين، فلابدّ أن يكون ذلك من واجب المسلمين في المجتمع، وهم الذين يعاقبون هؤلاء الأفراد[1].*

---

(١) روزنامه رسالت (صحيفة الرسالة)، بتاريخ ١٣٧٣/٢/٢٧هـ.ش (١٩٩٤/٤/١٧م) / صفحة: ٣.

(*) **وهاك التفصيل:**

لقد طلبت المحكمة حضور الشيخ بناءً على طلب المتّهمين؛ ليجيب على أسئلة معيّنة وجّهها إليه الدفاع.

والمحكمة استدعت الشاهد فسألته بالآتي، فأجاب: اسمي محمّد الغزالي أحمد السقّا، وسنّي ٧٦ سنة، وأعمل عضواً بمجمع البحوث الإسلامية، ومقيم بالدقّي ١٠ ش قمبيز بميدان الدكتور سليمان ـ وحلف اليمين.

س: ما معلوماتك؟

ج: أنا مستدعٍ من قبل الدفاع بناءً على طلب المحكمة استجابةً لطلب الدفاع.

س من الدفاع: هل الإسلام دين ودولة؟ وما معنى هذه المقولة؟

ج: الإسلام عقيدة وشريعة، وعبادات ومعاملات، وإيمان ونظام، ودين ودولة..

ومعنى هذه المقولة ذكرته الآية الشريفة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَابَ مُفَصَّلاً﴾ [الأنعام: ١١٤]. فالإسلام دين شامل منذ بدأ من خمسة عشر قرناً. وهو دين ودولة لم تنفصل فيه السلطة الزمنية عن المعاني الروحية، وقد جاءت النصوص متشابهة في إيجابها لشتّى الأركان، فمثلاً: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨]، و: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]. وجاءت هذه الأقوال في عبادة جنائية كالقصاص، وفي عبادة شخصية كالصيام، وفي عبادة دولية كالقتال، فالعبارة واحدة وإن اختلفت اتّجاهات التشريع، ومعروف أنّ أطول آية في القرآن هي التي نزلت في الدين، وهي عبادة اقتصادية، والتي تبدأ آياتها: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓا إِذَا تَدَايَنْتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمّىً

←

← ﴿فَاكْتُبُوهُ...﴾ [البقرة: ٢٨٣]. وبالإحصاء والاستقراء نجد أنّ الإسلام دين للفرد والمجتمع والدولة، وأنّه لم يترك شيئاً إلّا وتحدّث فيه، مادام هذا الشيء يتّصل بنظام الحياة وشؤون الناس.

س من الدفاع: هل تطبيق الشريعة الإسلامية فريضة واجبة؟

ج: أدع الإجابة عن هذا السؤال للقرآن نفسه، فالله سبحانه وتعالى يقول لنبيّه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء: ٦٥]، وقوله في آية أخرى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

س من الدفاع: ما حكم من يجاهر برفض تطبيق الشريعة الإسلامية جحوداً أو استهزاءً؟

ج: الشريعة الإسلامية كانت تحكم العالم العربي والإسلامي كلّه حتّى دخل الاستعمار العالمي الصليبي ـ وكرهه للإسلام واضح ـ فألغى أحكام الشريعة الإسلامية، وأنواع القصاص، وأنواع التعزير، وأنواع الحدود، وحكم الناس بالهوى فيما يشاؤون.

وقد صحب الاستعمار العسكري استعمار ثقافي مهمّته هي جعل الناس يطمئنون إلى ضياع شريعتهم وإلى تعطيل أحكام الله دون أن يتبرّموا، وأنا كأيّ مسلم أقرأ قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ...﴾ [النور: ٢] أجد الآية مقلوبة في المجتمع، وأجد القانون يقول: إذا اتّفق شخصان بإرادة حرّة على مواقعة هذه الجريمة فلا جريمة، وقد تسمّى حبّاً وتسمّى عشقاً. ولكن نصّ الشريعة عُطّل وروح الشريعة أُزهقت.. فكيف يقبل مسلم هذا الكلام أو يستريح لهذا الوضع، وبالتالي كيف يسخرون منّي إذا قلت: يجب إقامة الشريعة؟ وأعرف أُناساً كثيرين يرون تعطيل الشريعة، ويجادلون في صلاحيتها، ويثبتون حكم الإعدام الذي أصدرته الحكومات الأجنبية أو الاستعمار العالمي على هذه الشريعة التي شرّفنا الله بها. إنّهم يعدمونها إعداماً، ويريدون تثبيت هذا الإعدام، ويجادلوننا باستهزاء أحياناً في صلاحية الشريعة للتنفيذ. هذا كما قلت وكما قال الله تعالى، وليس بمؤمن يقيناً من يجاهر برفض تطبيق الشريعة الإسلامية جحداً أو استهزاءً، بل كما قال الله تعالى في وصف هؤلاء الناس في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]. ويعرف الإنسان أنّه منافق من رفض حكم ←

← الله، وقد قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النـور: ٤٧]، ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور: ٤٨ ـ ٥٠]، إلى آخر الآيات في نفس الموضوع.

س: هل يُعَدّ هذا العمل عملاً كفرياً يُخرج صاحبه من الملّة؟

ج: نعم، فمن رفض الحكم بما أنزل الله جحداً واستهزاءً هو بلا شكّ يخرج من الملّة.

س من الدفاع: فما حكم المسلم الذي يأتي هذا الفعل الكفري أو القول الكفري عن تعمّد وعلم بمعانيه ومراميه؟

ج: مهمّتي الشخصية هي أن أشرح له كعالم، وأدخص شبهاته، وأُبيّن له الحقيقة.

وليست مهمّتي كداعية إلى الله أن أتلمّس العيوب للناس، ولست أفرح بإيقاع أقدامه في الحبائل والشباك.. وإنّما أنا طبيب أُعالج المرضى، وأُريد أن أنقذهم من الجراثيم التي تفتك بهم. فإذا كان عنيداً يرفض كلّ ما أقول، ويأبى إلّا تكذيب الله ورسوله، فلا أستطيع أن أقول: إنّه مؤمن.

س من الدفاع: هل يصحّ لإنسان نطق بالشهادتين الادّعاء بالإسلام مع المجاهرة ورفض تطبيق الشريعة الإسلامية، والدعوى إلى أن يستبدل بشرع الله شرائع الطواغيت من البشر؟

ج: أوّلاً يقول الله تعالى: ﴿مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، بل إنّ بعض الناس كان يحلف أنّه مؤمن، ولكن ميله للكفّار وجبنه عن مقاتلتهم والدفاع عن الإسلام نفى الدين عنه، قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة: ٥٦ ـ ٥٧]. ومعنى الآية: إنّ قولهم مؤمنون مع تكذيب أعمالهم لهم لا يقبل، والإيمان باتّفاق العلماء قول وعقيدة وعمل. ثمّ ألفت النظر إلى أنّ ديننا اسمه الإسلام، أي: الخضوع لله، ومعنى ذلك: أنّ إبليس كان يعلم أنّ الله حقّ ويجادله.. فرفض الأمر والنهي يخرج الإنسان عن الملّة.

س من الدفاع: هل يُعدّ من يأتي هذه الأفعال الكفرية والأقوال الكفرية مبدّلاً لدينه مفارقاً

←

→ للجماعة؟
ج: نعم، يُعَدّ مرتداً عن الإسلام.
س من الدفاع: قرّرتم فضيلتكم أنّه قد يكون صاحب القولة الكفرية لديه شبهة أو لم تبلغه الحجّة، فماذا إذا بلغته الحجّة؟
ج: هذا ككفر الفراعنة، جحدوا وجود الله وعصوا موسى، وهذا يكون ارتداداً صريحاً حاسماً.
س من الدفاع: من الذي يملك إيقاع الحدّ على المرتدّ المستوجب قتله؟
ج: المفروض أنّ جهاز القضاء هو الذي يقوم بهذه المهمّة، فهو الذي يقيم الحدود ويقيم التعازير ويحكم بالقصاص، ولايكون ذلك لآحاد الناس؛ حتّى لا تكون فوضى.
س من الدفاع: فماذا لو كان القانون يعاقب على الردّة، والقضاء لايوقع الحدود؟
ج: هذا عيب القضاء، وعيب المسؤولين عنه، والقانون معيب.
س من الدفاع: ماذا لو أوقعه فرد من آحاد الأُمّة، هل يُعَدّ مرتكباً جريمة أو مفتئتاً على السلطة؟
ج: يُعَدّ مفتئتاً على السلطة، وأدّى ما يجب أن تقوم به السلطة.
س من الدفاع: هل هذا المفتئت على السلطة بفرض أنّ السلطة توقع حدّاً، هل له عقوبة في الإسلام؟
ج: أنا لا أذكر أنّ له عقوبة في الإسلام.
س من المحكمة: هل لديك أقول أُخرى؟
ج: لا.
تمّت أقواله: ورقّع (محمّد الغزالي).

أثر شهادة الشيخ في الحياة العامّة:

زلزلت الأرض زلزالها بعد شهادة الشيخ؛ لمكانته المرموقة في مصر والعالم العربي والعالم الإسلامي والعالم كلّه، وثارت ثائرة خصوم الفكر الإسلامي، وأعداء الحلّ الإسلامي، وكلّ الحاقدين على الإسلام. والخائفين منه، والمبغضين له، وتكالبت الأقلام المسعورة ←.

← والمأجورة على الشيخ الجليل، وانتهزها الشيوعيّون المهزومون، والمغتربون المقهورن، والعلمانيّون الموتورون، انتهزوها فرصة لينهشوا من لحم الشيخ، ناسين أنّ لحمه سمّ زعاف.
وسالت أنهار الصحف بالكلام عن الشهادة والشاهد، ولم يعبأ الشيخ بما قيل ويقال.
حتّى بعض الأقباط دخل في المعركة، وهاجم الشيخ بوقاحة وسلاطة، مع أنّهم كانوا من قبل لا يجترئون على أن يمسّوا بكلمة علماء الإسلام!
وذهب وزير مسؤول إلى الشيخ في بيته ملحّاً في الضغط عليه؛ ليصدر تصريحاً أو بياناً، أو يكتب كلمة، أو نحو ذلك ممّا يروق له، يفسّر به موقفه بما يشبه التراجع عمّا قاله في الشهادة.
ولكن الشيخ أبى إلّا أن يثبت على موقفه، وظلّ كالصخرة العاتية التي تحطّمت عليها كلّ تلك المحاولات، ولم تجد فتيلاً.
ولمّا ألحّ هذا المسؤول على الشيخ وكرّر عليه القول مرّة بعد مرّة، قال له في صراحة وجلاء: «أنا لم أكتب مقالاً في صحيفة، ولا ألقيت خطبة في جامع، ولا محاضرة في جمعية، ولكنّي استدعيت للشهادة أمام محكمة، فشهدت بما أعتقد أنّه الحقّ الذي أدين الله به وألقاه عليه، فإذا كان في شهادتي بعض الغموض، فلتدعني المحكمة مرّة أُخرى، وأنا أشرح لها موقفي».
وبهذا حسم الأمر، ولم يعد هناك مجال للقيل والقال.
ولكن الصحافة لم تصمت، وخصوصاً بعد أن انضمّ إلى شهادة الشيخ شهادة أ.د. محمود مزروعة رئيس قسم العقائد والأديان بكلّية أُصول الدين بالأزهر، والتي كانت أصرح وأشدّ من شهادة الشيخ، والتي اتّهم فيهما الشاهد فرج فودة بالردّة صراحة، وقدّم من كتبه ومقالاته ما يدلّ على ذلك للمحكمة.
ومن أهمّ ما نشرته الصحافة المصرية في الموضوع ما أثاره الصحفي المعروف صلاح منتصر في جريدة الأهرام القاهرية. ونحن نورده هنا لأهمّيّته.

أسئلة مهمّة للشيخ:

في أهرام ١٨ من يوليو فجّر صلاح منتصر عدّة أسئلة لفضيلة الشيخ الغزالي، نظراً لأهمّيّتها نوردها ونورد الردّ عليها من الشيخ، وخاصّة أنّنا استشعرنا أنّ الأُستاذ صلاح يحاول أن يضع فخّاً للشيخ.. ولكن الشيخ الغزالي خرج من هذا المطبّ بسهولة متلحّفاً بقواعد الشريعة. ←

→ وهذا نصّ ما كتبه الأُستاذ صلاح منتصر في عموده اليومي:

أسئلة إلى الغزالي:

فضيلة الشيخ محمّد الغزالي له منّا كلّ احترام وتقدير.. بالإضافة إلى ما نعرفه عن علمه وجهده الكبير للقيام بدور الداعية الذي يتمنّى قوّة المسلمين وخروجهم من مرحلة الضعف والهوان التي يمرّون بها اليوم.

ولقد كانت لفضيلة الشيخ الغزالي شهادة أمام المحكمة التي يمثل أمامها المتّهمون باغتيال الدكتور فرج فودة، وحسناً تمّ نشر هذه الشهادة بالنصّ حتّى نعرف على وجه الدقّة ما قاله فضيلة الشيخ وإن كان أحد الزملاء (الأُستاذ فهمي هويدي أهرام ٧/٦) قد وجد أنّ حديث الشيخ أمام المحكمة يحتاج إلى إيضاح للعامّة، فكتب يحاول هذا الشرح تحت عنوان: «حاشية على شهادة الغزالي». ولكن يبدو أنّ الحاشية في حاجة إلى حاشية..

وليس في الدين حرج كما تعلّمنا... كما أنّ الدين كدستور للحياة لابدّ أن يصل إلى الناس ببساطة حتّى وإن كان معقّداً في بعض التفاصيل.. لكن مهمّة الداعية أن يسهّل لا يصعّب، وهو ما يجعلني أرجو فضيلة الشيخ الغزالي ـ بعد أن قرأت شهادته وبعد أن قرأت الحاشية التابعة لشهادته ـ أن يجيب عن هذه الأسئلة التي أتصوّر أنّ ملايين مثلي قد سألوها، وينتظرون من فضيلة الشيخ إجابةً عنها.

إنّ أسئلتي ـ يا فضيلة الشيخ ـ هي:

١ـ أيّ الدرجات أعلى في المعصية: الكافر، أم المرتدّ؟

٢ـ متى يكون الفرد كافراً، ومتى يكون مرتدّاً؟

٣ـ من الذي يملك تكفير فرد، ومن الذي يملك الحكم عليه بالردّة؟

٤ـ هل يحتاج الأمر السابق إلى فقهاء ودعاة دارسين وبطريقة علنية وواضحة، أم يستطيعه أيّ فرد أو جماعة وبطريقة سرّية ومغلقة؟

٥ـ هناك بعض الدارسين من يشكّك في حدّ الردّة، ويقول: إنّ حدّ الردة ليس موجوداً صراحة في القرآن الكريم.. فهل هذا صحيح؟

←

٦ـ هل يتعارض ما ورد في القرآن الكريم عن حرّية العقيدة، واعتبار الحكم على إسلام الفرد من اختصاص الحقّ سبحانه وتعالى، مع القول بحقّ أيّ فرد أو جماعة في تكفير فرد أو الحكم بأنّه مرتدّ؟

٧ـ المعروف أنّ فضيلتكم اشتركتم في ندوة كان فرج فودة طرفاً فيها، وكان ذلك في معرض الكتاب في يناير من العام الماضي قبل اغتياله بنحو ستّة أشهر، فهل كان قبولكم للاشتراك في هذه الندوة لمناقشة فرج فودة كمسلم، أو محاولة استتابته كمرتدّ؟

٨ـ حمايةً لأنفسنا وأبنائنا وشبابنا من الزلل، ما الذي ورد في كتابات فرج فودة بحيث يجعله في موضع الشبهة بالكفر أو الردّة؟

فضيلة الإمام.. إنّ الدعوة ضريبة وفرض.. وأحسب أنّ تساؤلاتي هي أمانة في عنقك كداعية للردّ عليها، مع كلّ تقديري واحترامي.

صلاح منتصر

ردّ من الغزالي:

أبدأ أوّلاً وأشكر فضيلة الشيخ محمّد الغزالي على سرعة استجابته بالردّ على ما وجّهته إلى فضيلته من أسئلة (أهرام الأحد ٧/١٨).. وقد أرسلها لي مكتوبة بخطّ اليد مع مقدّمة بأمل نشرها كاملة دون تلخيص، فإنّي قمت عنكم بمهمّة الإيجاز، وأحسب أنّ أيّ نقص في العبارة يفسد الردّ.. وهذا ما لا يرضيكم. وها أنذا أنشر نصّ الردّ كاملاً:

١ـ أيّ الدرجتين أعلى في المعصية: الكافر أو المرتدّ؟

جواب: الكافر أقلّ سوءً من المرتدّ. فإنّني قد أشترك في عمل تجاري مثلاً مع كافر بالإسلام، يهودياً كان أو نصرانياً، وفي كلتا الحالتين يجب البرّ بهم وبذل الودّ لهم. أمّا المرتدّ فهو كخائن الوطن منبوذ مكروه، وقد استعمر الأوربيّون أرضنا ومحوا شرائعنا وشعائرنا، فمن انضمّ إليهم في عداوتهم فكيف نصادقه؟!

٢ـ متى يكون الفرد كافراً، ومتى يكون مرتدّاً؟

جواب: الكافر امرؤ خالي البال من تعاليم الإسلام. لعلّها لم تبلغه، أو بلغته ولم يقتنع بها. ولا سبيل لنا عليه إلّا إذا اعتدى علينا. أمّا المرتدّ فهو رجل كان منّا، وعرف ما نحن عليه، ثمّ

← رأى لمأرب خاصّ أن ينضمّ إلى خصومنا، وأن يؤيّدهم بما يستطيع، أي: إنّه خائن غادر. أمّا إن كانت لديه شبهة عقلية فلابدّ من إزالة شبهته ومحو ما يتعلّق به من أوهام ولو ظلّ سنين على قيد الحياة.

٣ـ من الذي يملك تكفير فرد أو الحكم عليه بالردّة؟

جواب: أهل الذكر وحدهم.. أعني: الراسخين في العلم، فإنّ اتّهام فرد بالكفر جريمة، والإسلام دين مضبوط التعاليم. فمن استباح الخمر مثلاً وسخر من حرمتها، أو من ترك الصلاة جاحداً واستهزأ بشريعتها، فليس بمسلم، بل هو ناقض للمجتمع ومنكر للوحي وخارج على الأمّة. وسلطة الاتّهام بالكفر محدّدة، وليست كلّاً مباحاً لأيّ إنسان.

٤ـ هل يحتاج الأمر السابق إلى فقهاء ودعاة دارسين وبطريقة علنية واضحة، أم يستطيعه أيّ فرد أو جماعة وبطريقة سرّية مغلقة؟

جواب: قلنا: إنّ الفقهاء الثقات وحدهم هم مصدر الفتوى، ورأيهم يكون واضحاً ومعلناً، إلّا إذا كان الإسلام مضطهداً وحرّية العمل به مصادرة. إنّ جوّ الحرّية الرحب هو الذي يستطاع الأخذ والردّ فيه، ولن تكون الحرّية لطرف واحد بداهة، بل تضمن الحرّية لجميع الأطراف يقولون ما لديهم في أمان.

وبقيت أربعة أسئلة أخرى سبق أن وجّهتها إلى فضيلة الشيخ.. أُكمل بإذن الله غداً ردّه عليها.

صلاح منتصر

بقيّة ردّ الغزالي:

في عمود أمس نشرت النصّ الكامل لما تضمّنته رسالة فضيلة الشيخ محمّد الغزالي ردّاً على أربعة أسئلة سبق أن وجّهتها إليه، وفيما يلي بقيّة إجاباته عن أربعة أسئلة أُخرى، أنشرها بالنصّ دون انتقاص حرف واحد، حتّى علامات التعجّب، فهي كما وردت في رسالة فضيلته:

٥ـ هناك بعض الدراسين الذين يشكّكون في حدّ الردّة، ويقولون: إنّه ليس موجوداً صراحة في القرآن الكريم، فهل هذا صحيح؟

جواب: نعم، لم يرد في القرآن الكريم قتل المرتدّ، وإنّما وردت بذلك السنن الصحاح. وعندي أنّ جريمة الردّة متفاوتة السوء والخطر، وقد تستحقّ القتل إذا ساوت ما نسمّيه الآن ←

← «الخيانة العظمى»، أو ما نسمّيه «الخروج المسلّح على الدولة». وقد تكون شبهة عارضة يكتفى فيها بالتوبة النصوح. وأمام القضاء تعرف الحقيقة، ويتحدّد العقاب العدل، ويوزن خطأ كلّ فرد!

٦ـ هل يتعارض ما ورد في القرآن الكريم من اعتبار الحكم على إسلام الفرد من اختصاص الحقّ سبحانه وتعالى، مع القول بحقّ أيّ فرد أو جماعة في تكفير فرد أو الحكم بأنّه مرتدّ؟

جواب: إنّ قلوب الناس إلى الله بيقين، ولكن لمسالكهم حدوداً وضوابط من وضع الله ذاته، وإلّا سرت الفوضى بين الناس. فمن يدعو إلى ترك العلاقات الجنسية حرّة ويماري في جريمة الزنىٰ وعقوبتها، لايمكن اعتباره مسلماً؛ لأنّه مخاصم لحكم الله وخارج عليه.

ولذلك قال في ضرورة الطاعة التامّة: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١]. فما العمل إذا لم يتب ويقم الصلاة ويؤت الزكاة؟ حكم الله واضح.

٧ـ اشتركت في مناظرة مع فرج فودة؛ لأنّي كنت طامعاً ـ إذا شرحت له الحقّ وبسطت أدلّته ـ أن أعود بالرجل إلى الإيمان، ولكنّي وجدته يكره الإسلام ونظامه، وينكر صلاحية أحكامه للبقاء، أيّ: إنّه يؤيّد حكم الإعدام الذي أصدره الاستعمار على شريعتنا، وينحاز إلى أعدائنا بصراحة!!

هذا، وقد أصدر نفر من علماء الأزهر كتاباً تضمّن ما نسب إلى فرج فودة من خروج على الإسلام واستهزاء بتعاليمه، ويستطيع الأُستاذ صلاح منتصر أن يقرأ هذا الكتاب.. ذلك وأقول أخيراً: إنّني رجل من الدعاة إلى الله، لا أتمنّى إلّا الحرّية لي ولخصومي على السواء، وأكره العدوان والمشاكسة، ولكنّي أشكو من أنّ ديني يجار عليه وينتقص منه ويحرم أهله ما يسمّى في عصرنا «بحقوق الإنسان»، وأنّ المنتمين إلى هذا الدين في طور سيّئ من تاريخه، وتكاد تذهب كراماتهم الخاصّة والعامّة في مهبّ الرياح.

محمّد الغزالي

عقوبة قتل المرتدّ:

كان سؤالي الأخير إلى فضيلة الشيخ محمّد الغزالي هو: إذا قتل إنسان إنساناً آخر بحجّة أنّه

←

← كفر أو ارتدّ.. فما عقوبته؟ هل يقتل قصاصاً أم تعزيراً؟ أم نقول ـ كما فهم البعض من شهادتكم أمام القضاء ـ بأنّه لا عقوبة عليه؟

وقد تلقّيت شاكراً ردّ فضيلة الشيخ الغزالي.. وفيما يلي نصّه كما أنقله من رسالته المكتوبة بخطّ يده:

«إذا ارتد أحد عن الإسلام رفع أمره إلى القضاء ليبتّ في مصيره وفق حكم الله.. وقد قلت: إنّ جريمته إذا ساوت الخيانة العظمى حكم القضاء بقتله. وتتقرّر هذه المساواة في حالات شتّى، نذكر منها: التهوين من شأن القرآن والطعن في مكانته، وجحد الفرائض المعلومة من الدين بالضرورة والدعوة إلى تركها، واستباحة الكبائر، وطلب فتح حانات الخمور ومواخير البغاء، والسخرية من الحدود الشرعية، وإهانة الرسول ﷺ.. إلى آخره.. فإذا أعلن المرتدّ توبته وأصلح نفسه سقط الحدّ عنه، وعاد مسلماً كما كان.. وليس للجمهور إقامة الحدود أو إيقاع العقوبات من قصاص وتعزير، فذلك للقضاء، ومن فعل شيئاً من ذلك فقد افتأت على السلطة.. وهنا يقوم القضاء بتعزيره حسب ما يصون المصلحة العامّة وهيبة القضاء.

وليست هنالك عقوبة محدّدة لهذا المسلك.. بيد أنّنا نلفت النظر إلى أنّ التهاون في معاقبة المرتدّين يفتح باب الفوضى. ومعروف أنّ هناك من ارتدّ وبسطت عليه بعض الحكومات حمايتها كسلمان رشدي، واعتقادي أنّ حكومتنا ترفض هذا السلوك، وأنّ قضاءنا ـ مع غيبة التعاليم الإسلامية ـ سيمنع هذه الفوضى، ويصون حقّ الله سبحانه في ذلك، ولكم الشكر على سعة صدركم وكريم خلقكم».

محمّد الغزالي

ولعلّنا بعد نشر نصّ الرسالتين اللتين تضمّنتا ردّ فضيلة الشيخ الغزالي على ما وجّهته إليه من أسئلة نفتح الباب لمن يريد التعليق.. راجياً ممّن يقول رأيه مراعاة القراءة الجيّدة لكلمات الشيخ، ولا مانع من إعادة قراءته مرّة وأكثر، حتّى لا يختلط عليه الأمر، ويعلّق على معنى لم يقصده، وأن يكون الحديث موضوعياً وموجزاً كلّما أمكن، وأن يتمّ في إطار الاحترام الكامل للشيخ.. فقد نتّفق أو نختلف على بعض ما يقول، ولكنّنا بكلّ العفّة والموضوعية نتحاور ونتبادل الأفكار. (الشيخ الغزالي كما عرفته: ٢٨١ ـ ٢٩١).

٢ـ مجابهة التغرّب

• كان خالد محمّد خالد[(١)] أحد أساتذة جامعة الأزهر في مصر، ومن أصدقاء الشيخ الغزالي ورفاقه في المسيرة. وقد أصدر كتاباً بعنوان: «يا أربع مائة مليون، هبّوا»، دعا فيه المسلمين إلى الوحدة والتكاتف ضدّ مؤامرات الاستعمار[(٢)].

ولكنّه بعد مدّة غيّر اتّجاهه إلى زاوية مقدارها ١٨٠ درجة، وأصدر في عام ١٩٥٠م كتاباً بعنوان: «من هنا نبدأ»، ودافع فيه عن آراء علي عبد الرزّاق[(٣)]، وعن الديمقراطيّة، وهاجم بشدّة جماعة الإخوان المسلمين داعياً فيه إلى أنّ الحكومة يجب أن لا تكون دينيّة، ودافع فيه عن نظرية فصل الدين عن السياسة.

---

(١) خالد محمّد خالد: أحد أعلام مصر. ولد سنة ١٩٢٠ م، متقلّباً بين المشيخة والسياسة، ومنادياً بحكومة مدنية تنقض الحكم الديني الذي شهد انهيار إمبراطوريته العثمانية في العالم العربي، وحوكم على غرار علي عبدالرزّاق بسبب كتابه: «من هنا نبدأ» وبرّئ سنة ١٩٥٠ م، وقبل وفاته بثلاث سنوات وضع ابنه أُسامة سنة ١٩٩٤ م كتاباً بعنوان: «محاكمة خالد محمّد خالد». من مؤلّفاته: مواطنون لارعايا، الله والحرّية، الديمقراطيّة أبداً، الدين في خدمة المجتمع، الدين والدولة، محمّد والمسيح. (ملحق موسوعة السياسة: ٣٥٥).

(٢) الشيخ الغزالي كما عرفته: ٢٠ ـ ٢١.

(٣) علي حسن عبدالرزّاق: مفكّر مصري. ولد في صعيد مصر سنة ١٨٨٨ م، وبعد أن أتمّ تحصيله بالأزهر وحصل على الشهادة العالية، سافر إلى لندن عام ١٩١٢ م، ومن ثمّ عاد إلى بلده وعمل قاضياً شرعياً من سنة ١٩١٥ م إلى سنة ١٩٢٥ م. أصدر كتابه: «الإسلام وأُصول الحكم»، وقرّر أنّ الإسلام دين فقط وليس نظاماً للحكم، وأنّ الخلافة لا أصل لها في الدين، ممّا أثار سخط هيئة كبار العلماء بالأزهر، فحوكم وأُخرج من الهيئة، وفصل من القضاء، فسافر إلى لندن ودرس الاقتصاد في جامعة أُكسفورد، ثمّ زار أقطار الشمال الأفريقي. تولّى وزارة الأوقاف في عهد النقراشي، فخرج بذلك من عزلته. توفّي سنة ١٩٦٦ م. (موسوعة السياسة ٤: ١٨٨ ـ ١٨٩).

وقد تصدّى له الشيخ الغزالي في سلسلة مقالات قويّة، نقد فيها شبهات خالد، وردّ على دعاويه(١).

كان خالد محمّد خالد على صلة وثيقة بالغزالي وبينهما أواصر صداقة، ولكنّه رغم تلك الصداقة وقف أمام أفكاره وتصدّى لها، وقال عنه: «إنّ خالداً حبيب إلينا، والحقّ أحبّ إلينا منه»(٢).

٣ـ نقد مبدأ مساواة المرأة بالرجل مطلقاً

عقد في شهر مايو من عام ١٩٦٢م المصادف لسنة ١٣٨٢هـ المؤتمر الوطني للقوى الشعبيّة، وبُحث فيه الاتّجاه الجديد للدولة المصريّة. وكان من الأمور التي أثارت ضجّة قضيّة مساواة المرأة بالرجل في جميع المجالات الدينيّة والثقافيّة والاجتماعيّة.

وقد ألقى جمال عبدالناصر كلمة في المؤتمر، دعا فيها إلى المساواة بين الرجل والمرأة في جميع المجالات، وطالب بإصدار قوانين تضمن تطبيق تلك المساواة.

فقام الشيخ الغزالي ليعرض وجهة النظر الإسلاميّة، فطالب بالتزام شرع الله في ما يخصّ المرأة والرجل، مبيّناً بأنّ فكرة مساواة المرأة والرجل تتعارض مع صريح أحكام الإسلام، وانتقد في هذا المؤتمر سفور بعض النساء المصريّات، واقترح تشريع قانون يفرض على المرأة ارتداء ثياب طويلة تستر الأرجل والأيدي إلى الرسغ.

---

(١) روياروي مسلكها وجنبشهاي سياسي در خاور ميانه عربي تا سال ١٩٦٧م (المواجهة فيما بين الأحزاب والحركات السياسيّة في الشرق الأوسط العربي حتّى عام ١٩٦٧ م): ٥٤.

(٢) العطاء الفكري للشيخ محمّد الغزالي: ١٩٧.

وانتقد أيضاً حالة الفوضى في مراكز التعليم العالي، ودعا إلى تشريع قانون ينصّ على الفصل بين الجنسين في الدراسة.

كما طالب بتشريع قانون يحظر شراء وبيع المشروبات الكحوليّة[١].

وعلى أثر ذلك صبّت جريدة «الأهرام» جامّ غضبها على الشيخ الجليل، واتّهمته بالرجعيّة، وتطاولت برسوم كاريكاتورية تلمز فيها الشيخ[٢].

وقد أدّى هذه الموقف المسيء من الصحيفة إلى استياء وغضب الطلبة، ودفعهم إلى تعطيل الدراسة والخروج في تظاهرات مؤيّدة للمواقف الأُصولية للشيخ الغزالي[٣].

٤ـ نقد قانون الأحوال الشخصيّة

في منتصف السبعينات من القرن الميلادي الماضي بدأ تغيير قانون الأحوال الشخصيّة، ولكن علماء المسلمين ـ وعلى رأسهم الشيخ الغزالي ـ لم يقبلوا هذا التحريف، وبدأ الشيخ يحارب هذا القانون المشبوه بمقالات وخطب رنّانة، ويعلن معارضته للحكومة آنذاك.

ألقى الشيخ الغزالي محاضرة في السبعينات بجامعة الأزهر، وكان عنوانها «مناقشة قضية قانون الأحوال الشخصيّة»، وكان من جملة الحضور زكريا البرّي

(١) ماهنامه مكتب إسلام (مجلّة مدرسة الإسلام الشهرية) / ربيع الثاني ـ ١٣٤١هـ / صفحة: ٥٩.

(٢) العطاء الفكري للشيخ محمّد الغزالي: ١٨٨.

(٣) ماهنامه مكتب إسلام (مجلّة مدرسة الإسلام الشهرية) / ربيع الثاني ـ ١٣٤١هـ / صفحة: ٥٩.

وزير الأوقاف المصري الأسبق، فغضب من كلام الشيخ بشدّة، فحرموه من الخطبة في المسجد الكبير، ونقلوه إلى مسجد آخر.

ورغم تلك التهديدات لم يتراجع الغزالي عن موقفه، وإنّما توجّه إلى أكبر مسجد في أفريقيا، وهو مسجد «عمرو بن العاص»(١)، وألقى كلمة أمام ثلاثين ألفاً من المصلّين، ندّد فيها بهذا التحريف، وحذّر من مغبّة الاستمرار فيه.

ويبدو أنّ تجمّع الناس حول الغزالي وتأثير آرائه في الرأي العامّ قد أغضب البعض وأثار قلقهم، لذلك صدر أمر من وزارة الأوقاف المصريّة بمنعه من دخول مسجد «عمرو بن العاص». فاضطرّ إلى الذهاب إلى مسجد «صلاح الدين الأيّوبي»(٢) لإقامة الصلاة وممارسة نشاطاته الدينيّة هناك.

---

(١) أبو عبدالله عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أُمّه النابغة بنت حرملة. أسلم سنة ٨ هـ قبل فتح مكّة بقليل، وكان معروفاً بالدهاء، ولّي على عُمان، وعمل لعمر وعثمان ومعاوية، وافتتح مصر، فلم يزل والياً عليها حتّى مات عمر، فأقرّه عثمان عليها مدّة ثمّ عزله، فاعتزل في ناحية فلسطين، وكان يأتي المدينة فيطعن على عثمان، فلمّا قُتل عثمان سار إلى معاوية وشهد معه صفّين، ثمّ ولّاه مصر، فلم يزل عليها أميراً إلى أن مات سنة ٤٣ هـ، وقيل غير ذلك في سنة وفاته، ودفن بالمقطّم من ناحية الفتح، بعد أن صلّى عليه ابنه عبدالله. (المعارف: ٢٨٥ ـ ٢٨٦، الاستيعاب ٣: ٢٦٦ ـ ٢٧٠، تهذيب التهذيب ٨: ٤٩ ـ ٥١).

(٢) أبو المظفّر الملك الناصر يوسف بن أيّوب بن شاذي المعروف بصلاح الدين الأيّوبي: من أشهر ملوك الإسلام. ولد صلاح الدين بتكريت سنة ٥٣٢ هـ، ونشأ بدمشق، ودخل في خدمة نور الدين زنكي، وتولّى قيادة الجيش في زمن العاضد الفاطمي، وهاجم الفرنج دمياط، فصدّهم صلاح الدين، ثمّ استقلّ بملك مصر، وخطب للعبّاسيّين، ثمّ قام بعدّة حملات، وانصرف إلى بناء القلاع وبعض المدارس، وكان أعظم انتصار له على الفرنج في فلسطين والساحل الشامي معركة حطّين التي افتتح بواسطتها القدس. مكث في دمشق مدّة ـ بعد الهدنة مع ريكارد ملك إنكلترا ـ حتّى وفاته سنة ٥٨٩ هـ. (وفيات الأعيان ٧: ١٣٩ ـ ٢١٢، الدارس ٢: ١٧٨ ـ ١٨٨، شذرات الذهب ٤: ٢٩٨ ـ ٣٠٠).

وقد دفعت هذه المضايقات الشيخ الغزالي إلى اتّخاذ قرار بمغادرة مصر والتوجّه الى المملكة العربيّة السعوديّة.

وممّا قاله هو عن تلك الأيّام:

«نقلت عنوة إلى مسجد «صلاح الدين» مع المنع من الخطبة، وعندما ذهبت إلى المسجد لم أجد مكاناً ولا حجرة يمكن أن أجلس فيها، لأُباشر مهام الدعوة.. وسرعان ما تركت مصر، وذهبت للدعوة الإسلاميّة في السعوديّة، حيث عيّنتُ رئيساً لقسم الدعوة وأُصول الدين بكلّية الشريعة والدراسات الإسلاميّة»[١].

المواقف الخارجيّة

١ـ موقفه من الثورة الإسلاميّة في إيران

كان المثقّفون المسلمون في أقصى أرجاء العالم يُراودهم منذ عهود قديمة أمل إقامة دولة تحكم على أساس تعاليم الشريعة الإسلاميّة، وقد بذلوا جهوداً كثيرة على هذا الطريق.

وقد جاهد كلّ من: السيّد جمال الدين الأسد آبادي (الأفغاني)، ومحمّد عبده، وحسن البنّا، وسيّد قطب، وغيرهم من المفكّرين الثوريّين ضدّ الاستعمار والاستكبار على أمل إقامة دولة إسلاميّة.

وعندما انتصر النظام الإسلامي في إيران بزعامة الإمام الخميني ﵀[٢]،

---

(١) العطاء الفكري للشيخ محمّد الغزالي: ١٩١.

(٢) روح الله بن مصطفى الموسوي الخميني: قائد أوّل دولة إسلامية رائدة في العصر الحديث. ولد في خمين سنة ١٩٠٢ م، واشتغل في بلدته بدراسة العلوم الدينيّة، ثمّ غادرها إلى آراك فقم، ودرس على يد أكابر العلماء آنذاك، ونبغ في الفقه والأُصول والفلسفة والعرفان. وأعلن ←

أعلن الكثير من المثقّفين في مختلف البلدان الإسلاميّة دعمهم للثورة الإسلاميّة في إيران.

وقد قال الغزالي في مجال دعمه للثورة الإسلاميّة في إيران:

«أُعلن عن دعمي التامّ للثورة الإسلاميّة في إيران، وستحقّق إيران أهدافها طالما بقيت متّكلة على الله ومتمسّكة بالأُمّة الواحدة. لقد جاء عدوان العراق على إيران بدعم مباشر من الإمبرياليّة العالميّة. وأنا أعتبر صدّام معتدياً، ويخدم بسلاحه مصالح أعداء الإسلام»[١].

تأثّر الشيخ محمّد الغزالي بأفكار الإمام الخميني مؤسّس الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران إلى حدٍّ بعيد، وكثيراً ما كان يذكره في مواقف شتّى.

وعندما أصدر الإمام الخميني فتواه التأريخيّة بارتداد سلمان رشدي[٢] قال الشيخ الغزالي في درسه ضمن تقديره لهذا الموقف:

«تمنّيت في إحدى الجلسات التي جمعتني مع عدد من علماء القاهرة، تمنيّت لو أنّ الله منح جرعة من شجاعة الإمام الخميني لجميع علماء الإسلام؛ لأنّه

← جهاده السياسي ضدّ حكم ملك إيران، ووقفت الجماهير إلى جانبه، حيث وجدت فيه الرجل المخلص والمرشد الواعي والعالم الحكيم، حتّى انتصر الشعب بقيادته عام ١٩٧٩ م، وقام بإنشاء الجمهورية الإسلاميّة، وساند مسألة فلسطين والشعوب المحرومة في العالم، توفّي عام ١٩٨٩ م، تاركاً الكثير من المؤلّفات. (ملحق موسوعة السياسة: ٣٦٢ ـ ٣٦٥).

(١) ماهنامه پاسدار إسلام، دي ماه ١٣٦٠هـش (مجلّة شهريّة ـ باسم: حارس الإسلام ـ تصدر باللغة الفارسيّة، العدد الصادر في كانون الثاني / ١٩٨٢).

(٢) سلمان رشدي: كاتب بريطاني من أصل هندي، ساحر خيال يضع الخيال في قالب قصصه: أولاد نصف الليل، آخر نفس للمغربي، الأرض تحت قدميه، هرج ومرج. عادت عليه روايته «الآيات الشيطانية» بفتوى إعدامه التي أصدرها الإمام الخميني عام ١٩٨٩ م؛ نظراً لتعرّضها للإسلام ونبيّه ﷺ. (ملحق موسوعة السياسة: ٤١٢).

في الوقت الذي حاك فيه المركز الثقافي في بريطانيا مؤامرة ضدّ الإسلام والمسلمين، ووجّه فيها شخص بذيء وحاقد على الإسلام أقبح الإهانات إلى أقدس إنسان في التاريخ، وهو رسول الله ﷺ، وزوجاته وأصحابه، في ذلك الوقت سكت الجميع، وكان هو ـ أي: الإمام الخميني ـ الوحيد الذي أصدر حكم ارتداد هذا الشخص الحقير المتهتك»[١].

٢ـ موقفه من حزب البعث وصدّام حسين

يرى الغزالي أنّ حكم صدّام حسين حكم دموي وسفّاك، حيث يقول:

«لقد قتل صدّام مليون مسلم شيعي، مثلما قتل مائة ألف كردي سُنّي. يضاف إلى أنّ تاريخ حزب البعث كان مقروناً بالقتل والمذابح وسفك الدماء في البلدان التي حكم فيها»[٢].

وفي أعقاب حرب العراق مع الكويت في عام ١٩٩١م انتفض شيعة هذا البلد ضدّ حكومة حزب البعث العراقي.

وهذه الانتفاضة التي عُرفت باسم (الانتفاضة الشعبانيّة) ألحقت أضراراً جسيمة بالشيعة في جنوب العراق، وقتل عشرات الآلاف منهم على يد النظام العراقي، حيث كشف ـ بعد سقوط نظام صدّام ـ عن المئات من القبور الجماعيّة في أطراف المدينتين المقدّستين النجف وكربلاء، وبذلك أُزيح الستار عن جنايات

---

(١) گامي به سوي تفسير موضوعي سوره هاي قرآن كريم (نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم) ١: ١٣.

(٢) روزنامه جمهوري إسلامي (صحيفة الجمهورية الإسلاميّة) (١٣٦٩/٧/٩ هـ ش) / صفحة: ١١.

النظام البعثي السفّاك.

وقال الغزالي في سياق أسفه على هذا العمل الذي قام به النظام العراقي:

«هذه ليست المرّة الأُولى التي يقوم بها حزب البعث العربي الاشتراكي بمثل هذا العمل، ولن تكون المرّة الأخيرة. فالقومية العربيّة والبعث العربي من صنع الشيطان؛ ليحرف بهما الناس عن دينهم. فعندما هاجم حزب البعث العربي الاشتراكي إيران أيّده العرب، ونسوا الله ورسوله، ولم يشجبوا هذا العمل»[١].

٣ـ موقفه من الانفجار في ضريح الإمام الرضا عليه السلام

بتاريخ ١٩٩٤/٦/٢٠م والذي صادف عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام، قام أحد عملاء زمرة المنافقين الإرهابيّة بزرع قنبلة في صحن الإمام الرضا عليه السلام بمشهد إلى جانب الضريح المقدّس. وكانت الخسائر التي نجمت عن انفجار تلك القنبلة ٢٧ شهيداً مع عدد كبير من الجرحى.

وقد أدّى هذا العمل إلى إثارة موجة من السخط العالمي ضدّ زمرة المنافقين الإرهابيّة التي تحظى بدعم مباشر من أمريكا.

وقد بعث الشيخ محمّد الغزالي المثقّف المصري المجاهد رسالة إلى مكتب القائم بأعمال الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة في مصر، عبّر فيها عن سخطه لهذا العمل الإجرامي الذي اقترفه المنافقون.

ولغرض أن يطّلع القرّاء على فحوى تلك الرسالة، ننشر نصّها في ما يلي:

---

(١) روزنامه رسالت (صحيفة الرسالة) (١٣٧٠/٤/٣ هـ ش) / صفحة: ١٢.

«بسم الله الرحمٰن الرحيم

حينما اطّلعت على أخبار الانفجار المؤسف الذي حدث في الحرم الرضوي الشريف، اغتممت جدّاً لهذه الفاجعة المؤلمة، والتي أدّت لاستشهاد بعض المصلّين، حيث إنّهم أرادوا أداء الصلاة في الحرم الشريف، ولم يعلموا أنّ الموت كان بانتظارهم.

في عمل إجرامي واحد ارتكبوا عدّة منكرات: الخداع، الخسّة، العمل الذي يدلّ على رذالتهم وحقارتهم، وقد جاؤوا به في أقدس مكان.

قتل المؤمنن بلاء ومصيبة، وكونهم وقوف بين يديّ الباري عزّ وجلّ بلاء أكبر ومصيبة أعظم، ومن المستحيل أن يكون في قلوب هؤلاء ذرّة من الإيمان.

اتّبعوا أهواءهم، فأضلّهم الشيطان، وأنساهم ذكر الله وأهوال القيامة، وحملوا فوق ظهورهم الأوزار الثقيلة، من قتل الأبرياء، ومحبّي بيوت الله عزّ وجلّ الذين وافتهم المنية وهم في أفضل الأماكن وأفضل الحالات.

هذه الفاجعة التي حدثت في إيران ذكّرتنا بالحادثة الأليمة التي حدثت في مسجد «بابري» في الهند على أيدي الوثنيّين، والتي أدّت الى حصد أرواح المؤمنين الذين وقفوا لمواجهة الشيطان وأتباعه لآخر رمق في أرواحهم، حتّى فاضت تلك الأرواح الطاهرة إلى باريها. نعم، وقبل أن يلحق الوثنيّون الضرر ببيت الله، فإنّهم أقدموا على إتلافه بكلّ معنى الكلمة.

وكثيرة هي المساجد التي أُتلفت بيد الكفرة وأتباعهم، وكذلك من سقطوا في هذه المعركة الطويلة الأمد بين حزب الشيطان وحزب الرحمان، ليس للمؤمنين غاية إلّا ارتفاع كلمة لا إله إلّا الله.

وقد سألوني عن ذلك، وعن المستفيد من هذه الحادثة، ومن وراء كواليسها،

ولم يكن عندي أدنى شكّ في أنّ المتآمرين ليس عندهم ذرّة من الإيمان، وقد استطاع الأعداء والدول الاستعمارية أن يوجدوا شريحة كبيرة في مجتمعنا، ليس عندها أيّ إيمان بالمعاد، والقيامة، واليوم الآخر، والله عزّ وجلّ.

والأدهى من ذلك أنّهم تقلّدوا المناصب الحسّاسة في بلداننا الإسلاميّة، وحتّى إذا ماجاؤوا بالمنكرات، استوحش المؤمنين من ذلك، وامتلأت قلوبهم غيظاً وألماً.

وأنا أُناشد المسلمين في إيران، وأقول لهم: أن يتحلّوا بالصبر والفطنة واليقظة، وأُناشد جميع مسلمي العالم، وأطلب منهم توحيد صفوفهم، وجمع كلمتهم، واتّحاد مواقفهم.

والسبب: لأنّني لا أتصوّر أنّ حيل الأعداء وخداعهم وألاعيبهم سوف تتوقّف عند حدٍّ ما دون المساس بنا وبمقدّساتنا.

وهذه أُوربا وأمريكا تحتضن من أهان المسلمين وقلّل من شأن قادتهم، ألا وهو المرتدّ سلمان رشدي، ولم يهدأ لهم بال، إلّا بعد أن كرّموه وأثابوه على صنيعه!

ولم تكن تلك الإهانات التي وجّهوها لنا رادعةً عن تعاون العرب معهم، وقد وصلت بنا الحال الى اجترار الخلافات في القرون الأُولى، وإلى الكذب على بعضنا، وتكلّف الأيمان الكاذبة، وإلى القول: بأنّ الشيعة لهم قرآن آخر غير الذي عندنا! هذه التهمة الشنيعة التي وجّهت إلى إحدى الفرق الإماميّة الكبيرة!

ذكرت مراراً وتكراراً: أنّه منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا ـ والذي هو القرن الخامس عشر الهجري ـ لم يشاهد أحد في كافّة أنحاء الكرة الأرضيّة وعند أيّ فرقة من الفرق الإسلاميّة قرآناً آخر، غير الذي هو بأيدينا. فهذه الشائعة

الرائجة ـ وهي: أنّ الشيعة عندهم قرآن آخر ـ ستكون حينئذٍ بمصلحة من ولمنفعة من؟!

نحن نريد أن نجلس مع بعضنا البعض، ونطرح اختلافاتنا الدينيّة، والسياسيّة، والطائفيّة، الخلافات التي تهدّد مصيرنا، وتجعله على شفا حرف هار.

إنّ الفرنسيّين قاموا أيضاً بعمل شنيع في نفس هذا الخصوص، ألا وهو تخريب أحد المساجد، وتبديله إلى كنيسة، وقتلوا أيضاً فيه الكثير من المصلّين، ولم ينبس أحد ببنت شفة!

وهذا هو الاستعمار يحوك ضدّنا المؤامرات والخطط الخبيثة لإفشال جهودنا وسعينا لتوحيد صفوفنا ولمّ شملنا، فالحذر الحذر!»[١].

(١) روزنامه اطّلاعات (صحيفة الأخبار) (٢٣/٤/١٣٧٤ هـ ش) / صفحة: ٢.

الفصل الخامس:

رحلات الغزالي

السفر إلى فلسطين

قضى الغزالي مدّة من عمره إلى جانب مأساة الشعب الفلسطيني المظلوم، وتحسّس خلال تلك المدّة آلام ومصائب هذا الشعب، وقال عن سفره إلى فلسطين:

«بعدما خرجت من السجن في عام ١٩٤٩م أرسلني الشيخ مأمون الشنّاوي[١] الذي كان شيخ الأزهر حينذاك مندوباً عنه إلى غزّة، وبقيت هناك ثلاث سنوات، ولمست هناك حياة وعناء الشعب الفلسطيني، وذهبت خلال تلك المدّة إلى مخيّمات البريج، والنصيرات، ودير البلح، وخان يونس، ورفح، وشعرت بما يكابدونه من حزن وأسى»[٢].

لقد أدرك الغزالي أثناء إقامته في فلسطين حقيقة أهداف الصهيونيّة

---

(١) ولد الشيخ الشنّاوي في عام ١٨٨٥م في مصر، وحفظ القرآن الكريم في قريته وهو في الثانية عشرة من عمره، وأرسله والده إلى الأزهر الشريف بالقاهرة يطلب العلم، فعاش عيشة طلّاب الأزهر، يوجّهه أخوه الأكبر الشيخ سيّد الشنّاوي الذي كان قد سبقه بسنوات إلى المجاورة في الأزهر. وتمكن الإشارة إلى الإمام الشيخ محمّد عبده، والشيخ أبي الفضل الجيزاوي، باعتبارهما أهمّ الأساتذة الذين درس الشنّاوي على أيديهم. عيّن مدرّساً بمعهد الإسكندرية الديني بعد تخرّجه من الأزهر، ثمّ اختير عام ١٩١٧م قاضياً شرعيّاً. وفي عام ١٩٤٨م عُيّن شيخاً للأزهر الشريف بعد وفاة الشيخ مصطفى عبد الرزّاق. توفّي الشيخ مأمون الشنّاوي عام ١٩٥٠م في مصر. (الأزهر في ألف عام ١: ٢٩٦ ـ ٣٠٥).

(٢) روزنامه اطّلاعات (صحيفة الأخبار) (١٣٦٩/١١/٤ هـ ش)، نقلاً عن مجلّة «منبر الإسلام»، شباط ١٩٩٠م / العدد: ٧.

وخططها لعزل المسلمين، ولمس أثناء تلك المدّة أنّ أحد الأعمال التي تقوم بها إسرائيل هي تربية أطفال اليهود على كراهية المسلمين، فقال في هذا المجال:

«يقوم اليهود بكثير من الأعمال للحفاظ على كيانهم. نذكر من ذلك مثلاً: أنّ اليهودي يصنع تمثالاً، ويلبسه ثياب العرب، ويأمر ابنه بإطلاق النار عليه؛ لكي يزيل من نفسه مشاعر الخوف أو الاحترام لمثل هؤلاء الأشخاص! والنساء اليهوديّات يخدمن إسرائيل بما أُوتين من قوّة، ومن ذلك: عندما حدّدت بريطانيا سفر اليهود إلى إسرائيل لجأت النساء إلى حيلة، وهي: أنّه إذا قالوا لليهود مثلاً: إنّهم يسمحون بسفر عشرين ألف يهودي إلى إسرائيل، فقد كانت كلّ واحدة من النساء تسعى إلى أن تكون حاملة؛ لكي تنجب في إسرائيل، وبذلك يكثر عدد اليهود هناك! أجل، لقد فعلوا ويفعلون مثل هذه الأُمور»(١).

الصهيونيّة من وجهة نظر الغزالي

من النيل إلى الفرات

ظهرت دولة إسرائيل اللقيطة إلى الوجود في تاريخ ١٤ مايس (آيار) من عام ١٩٤٨م (١٣٦٨هـ) بدعم مباشر من بريطانيا وأمريكا(٢). وقد عبّر الأحرار المسلمون عن معارضتهم لهذا العمل منذ بداية قيام هذه الدولة الغاصبة، وحذّروا العالم الإسلامي من خطر هذا الكيان، وبيّنوا بأنّ إسرائيل سوف لن تكتفي بالاستيلاء على أرض فلسطين، وإنّما هدفها على المدى البعيد إقامة دولة كبرى تمتدّ من النيل إلى الفرات.

---

(١) انظر المصدر المتقدّم.

(٢) لاحظ موسوعة السياسة ٥: ٣١٢.

وقال الغزالي ضمن تحذيره للمسلمين:

«مشروعهم القادم الذي يريدون تنفيذه لا يجعل حدود إسرائيل ضمن الضفّة الغربيّة والشرقيّة وقطاع غزّة أو الخليل فحسب، بل إنّ القضيّة أكبر من ذلك، القضيّة من النيل إلى الفرات. وهذه الخريطة معلّقة على جدار الكنيست الإسرائيلي[١]. وقبل هذا كان مكتوباً على جلد العهد القديم: من البحر الكبير إلى النهر الكبير»[٢].

القضاء على الإسلام

يرى الغزالي أنّ هدف اليهود وإسرائيل في العالم الإسلامي هو القضاء على الإسلام، ويقول في هذا المعنى:

«سياسة اسرائيل اليوم هي: أن تتخلّوا ـ أيّها المسلمون ـ عن الإسلام، وتسيروا تحت راية اللادينيّة. فاذا نحن تخلّينا عن ديننا ولم يتخلّ غيرنا عن دينه بل سار تحت رايته، ماذا ستكون النتيجة؟ ستظهر نتائج هذا العمل في أوائل القرن الحادي والعشرين وأواسط القرن الخامس عشر الهجري. ففي ذلك الوقت سيصبح المصريّون والعراقيّون لاجئين، وستكون دمشق في داخل إسرائيل الكبرى»[٣].

---

(١) الكنيست: الهيئة التشريعيّة (البرلمان) في إسرائيل منذ عام ١٩٤٩ م، عدد أعضائه ١٢٠ عضواً، ويحتلّ أهميّة دستوريّة شكليّة كبرى؛ نظراً لعدم وجود دستور مكتوب في إسرائيل. وله دورتان، ويعتمد أُسلوب اللجان في العمل، وعددها تسع لجان. (موسوعة السياسة ٥: ١٧٣).

(٢) روزنامه اطّلاعات (صحيفة الأخبار) (١٣٦٩/١١/٤ هـ ش) / صفحة: ١٢.

(٣) روزنامه اطّلاعات (صحيفة الأخبار) (١٣٦٩/١١/٤ هـ. ش) / صفحة: ١٢.

مؤامرات إسرائيل

لا يرى الغزالي أنّ مخطّطات ومؤامرات إسرائيل تنحصر في نطاق البلدان الإسلاميّة فحسب، بل يذهب إلى أنّ مؤامرات اليهود تهدّد العالم بأجمعه.

يرى الغزالي أنّ مؤامرات الصهاينة في العالم تشمل ما يلي:

١ـ من مصلحة اليهود إشعال الحروب بين الدول حتّى يتيسّر نقل الحرب إلى الميدان الاقتصادي، ممّا يضطرّ الفريقين المتحاربين إلى وقوعهما في قبضتهم.

٢ـ خلق الضائقة الماليّة للحكومات والأزمات الاقتصاديّة، وذلك لأنّ في أيديهم الصحافة.

٣ـ الهجوم الثقافي لزعزعة الإيمان والعقائد في القلوب، حتّى لا يبقى على الأرض سوى اليهوديّة.

٤ـ الانتشار في كلّ المنظّمات السريّة في شتّى أطراف العالم[1].

أمريكا شريكة إسرائيل

لا شكّ في أنّ أمريكا لعبت دوراً مهمّاً في تأسيس دولة إسرائيل. وبعد قيام هذه الدولة سارعت أمريكا إلى الوقوف إلى جانبها في جميع الأزمات التي حدثت في الشرق الأوسط.

والكثير من خبراء القضايا السياسيّة يرون لو أنّ أمريكا كفّت عن حمايتها لإسرائيل، لما استطاعت الصمود يوماً واحداً أمام المسلمين.

ويرى الغزالي أنّ أمريكا شريكة في الجنايات التي تقترفها إسرائيل، ويقول:

---

(١) الاستعمار أحقاد وأطماع: ٣٢٢.

«إنّ عرب فلسطين خاصّة والأُمّة العربيّة عامّة يعتبرون الولايات المتّحدة الأمريكيّة وإلى جانبها بريطانيا، المسؤول الأوّل عن كارثتهم العظمى في فلسطين، وهي تلك الجريمة الإنسانيّة التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً»[١].

معركة فلسطين معركة إسلاميّة

ينظر بعض المثقّفين إلى قضيّة فلسطين من زاوية قوميّة، أي: تحرير الأرض المغتصبة، بينما يرى الشيخ الغزالي أنّ معركة الفلسطينيّين مع اليهود معركة إسلاميّة، فيقول:

«إنّ التضامن الإسلامي بمثابة حجر الأساس لجهاد فلسطين. معركة فلسطين كانت منذ بدايتها معركة دينيّة، ويجب أن تبقى كذلك، فأعداؤها يستحضرون مشاعرهم الدينيّة وذكرياتهم المذهبيّة، ولكنّنا نرى في المقابل أنّ الكثير من العرب يبتعدون عن الإسلام، أو لا يحبّذون اسمه، ولا يقبلون السير تحت لوائه! وهذه هزيمة لهم في الدنيا وخزيٌ لهم في الآخرة. لدى اليهود منطق ثابت في هذه الحرب، فهم يريدون طمس هويتنا والقضاء على ديننا»[٢].

وقد انتقد الغزالي من ينظرون إلى القضيّة الفلسطينيّة بمنظار غير ديني، وقال:

«قضيّة هؤلاء القوم (اليهود) قضيّة سياسيّة ذات جذور دينيّة، ولذلك فإنّ كلّ من يريد إبعاد الدين الإسلامي عن هذه القضيّة الدينيّة ـ وهي قضيّة فلسطين ـ فإنّما يكون قد ارتكب خيانة عظمى، بل وحتّى يمكننا القول بأنّه متحالف مع الاستعمار العالمي والصليبيّين أعداء ديننا»[٣].

---

(١) المصدر السابق: ٣٨٦.

(٢) روزنامه اطّلاعات (صحيفة الأخبار) (١١/٤/ ١٣٦٩ هـ ش) / صفحة: ١٢، نقلاً من مجلّة «منبر الإسلام»، شباط ١٩٩٠م / العدد: ٧.

(٣) نفس المصدر السابق.

نبذة تاريخيّة عن الجزائر

تقع الجزائر في شمال غرب أفريقيا، يحدّها من الشمال البحر الأبيض المتوسّط، ومن الشرق تونس وليبيا، ومن الجنوب مالي والنيجر وموريتانيا، ومن الغرب المغرب.

عاصمتها الجزائر التي يبلغ عدد سكّانها أكثر من مليوني نسمة.

والغالبية العظمى من سكّان الجزائر مسلمون[١].

أرض الجزائر الحاليّة كانت قبل الميلاد بثلاث آلاف سنة موطناً لأجداد البرابرة. وقبل الميلاد بألف ومائتي سنة حوّل الفينقيّون[٢] سواحلها الشماليّة إلى مركز تجاري مهمّ. وقبل الميلاد بمائتي سنة استولى عليها الروم، وبقيت تحت حكمهم حتّى القرن السابع بعد الميلاد.

وفي ذلك القرن ـ أي: القرن السابع ـ فتحها المسلمون، واعتنق أهلها الإسلام.

وبعد ظهور الدول الاستعماريّة خضعت الجزائر في عام ١٥٠٠م للاحتلال الإسباني، غير أنّ سيطرة الإسبان عليها لم تدم طويلاً، وصارت في أوائل القرن

---

(١) فرهنگ جامع سياسي(القاموس السياسي الشامل): ١٧٤، موسوعة السياسة ٢:٥٤.
ولملاحظة ما يأتي بعد ذلك من المعلومات في المتن حول الجزائر راجع موسوعة السياسة ٢: ٥٤ ـ ٦٠.

(٢) الفينقيّون: شعب سامي، سكن فينقيا حوالي العام ٣٠٠٠ قبل الميلاد. ويقال: إنّ موطنهم الأصلي هو منطقة الخليج، وكانوا مشهورين بالنشاط التجاري البحري، فكانت سفنهم تجوب حوض البحر الأبيض المتوسّط حاملةً إلى بلدانه خشب الأرز والصبغ الأرجواني والزجاج والمنسوجات. وقد أسّسوا عدّة مستعمرات أو محطّات تجارية، أعظمها قرطاجة، ووصلوا إلى الجزائر البريطانيّة، وأبحروا حول القارّة الأفريقيّة. يعدّ استنباطهم الأبجدية الفينقيّة ونشرها في العالم أعظم مآثرهم الحضاريّة على الإطلاق. (موسوعة المورد ٨: ٢٧).

السادس عشر ضمن أراضي الدولة العثمانيّة.

وفي عام ١٨٣٠م (١٢٥٦هـ) خضعت الجزائر لاحتلال فرنسا لها. ولكنّها واجهت ـ بعد مدّة ـ مقاومة شعبيّة، فلجأت إلى قمع تلك المقاومة؛ لمواصلة استيلائها على هذا البلد. وكانت النتيجة أن قُتل مليون مسلم جزائري.

وبعد القضاء على المقاومة الشعبيّة فرضت فرنسا اللغة الفرنسيّة على أهالي هذا البلد، وجعلتها اللغة الرسميّة، وجلبت مليون فرنسي إلى هذا البلد؛ لتحويل ثقافته إلى ثقافة غربيّة.

وفي عام ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ) بدأت جبهة التحرير الجزائرية بشنّ هجمات فدائيّة ضدّ القوّات الفرنسيّة. وبفضل جبهة التحرير الجزائريّة ودعم الشعب الجزائري لها، اعترفت فرنسا عام ١٩٦٢م (١٣٨٢هـ) باستقلال الجزائر رسمياً، وسحبت قوّاتها من الأراضي الجزائريّة[١].

سفر الغزالي إلى الجزائر

بعدما برز خلاف بين الشيخ الغزالي وحكومة أنور السادات[٢]، هاجر

---

(١) فرهنگ جامع سياسي (القاموس السياسي الشامل): ١٧٦.

(٢) محمّد أنور السادات: عسكري سابق ورجل دولة ورئيس جمهورية مصري. ولد في المنوفيّة سنة ١٩١٨ م، وأتمّ دراسته في الكلّية الحربيّة عام ١٩٣٨ م، وتخرّج برتبة ملازم ثان في سلاح الإشارة، وتقلّب في المناصب إلى أن أصبح رئيساً لمصر بعد وفاة جمال عبدالناصر سنة ١٩٧٠ م، واتّبع سياسات غير صحيحة، من أبرزها صلحه مع إسرائيل والاعتراف بها في اتّفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٨ م والتي تسبّبت في عزلة مصر وطردها من جامعة الدول العربيّة، واغتيل السادات على أثرها عام ١٩٨١ م من قبل الثوري خالد الإسلامبولي. من مؤلّفاته: معنى الاتّحاد القومي، ياولدي هذا عمّك جمال، القاعدة الشعبيّة، نحو بعث جديد. (موسوعة السياسة ٦: ٧٣ ـ ٧٦).

الشيخ إلى المملكة العربيّة السعوديّة، وبعد مدّة هاجر منها إلى قطر، ودأب هناك على التأليف والتدريس في إحدى جامعات قطر.

ونظراً إلى الظروف الحسّاسة التي كانت تمرّ بها الجزائر، فقد عرض الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد[١] على الشيخ الغزالي العمل في الجزائر بسبب حاجة الحركة الإسلاميّة هناك إلى الترشيد.

وممّا قاله الشاذلي بن جديد للغزالي عن هذا الموضوع:

«إنّ الحركة الإسلاميّة قادمة في الجزائر، وتحتاج لترشيد رأي، وأعلم أنّ العمل في قطر أكثر مالاً، ولكن الجزائر تحتاج إلى الإسلام الصحيح دون تشويش، وأودّ لو أنشأت في الجزائر جامعة إسلاميّة على غرار جامعة القاهرة»[٢].

استجاب الشيخ المجاهد تاركاً العمل في قطر، بعد أن خدم الدعوة فيها خمس سنوات، وبدأ رحلة جديدة إلى الجزائر.

وعندما وضع قدمه هناك كانت الجزائر تموج بالفتن، وكانت مبادئ الإسلام الصحيحة مغيّبة عن عمد، واللغة العربيّة غير مستخدمة حتّى بين البدو، وإنّما حلّت محلّها اللغة الفرنسيّة، كما ما زالت مظاهر الحياة الأُوربيّة الجامحة تُهيمن بكلّ قوّتها على المجتمع الجزائري المسلم، فالاستعمار متى ما استولى على بلد فإنّه يعمد إلى مسخ ثقافته وهويته.

---

(١) الشاذلي بن جديد: عسكري ورجل دولة ورئيس لجمهورية الجزائر المستقلّة. ولد بالقرب من مدينة عنابة سنة ١٩٢٩ م من عائلة فلّاحين متواضعة الحال، وانخرط في صفوف الجيش الفرنسي حتّى عام ١٩٥٤ م، وفي مطلع عام ١٩٥٥ م انضمّ الى مناضلي جبهة التحرير الوطني، وقد امتاز بشجاعته وتمرّسه بحرب العصابات. تقلّب في عدّة مناصب، من ضمنها: الحاكم العسكري لوهران، ووزير الدفاع، إلى أن انتخب رئيساً للجمهورية عام ١٩٧٩ م. (موسوعة السياسة ٣: ٤٢٦).

(٢) العطاء الفكري للشيخ محمّد الغزالي: ١٩٢.

وفي تلك الظروف الحالكة تمّ إنشاء جامعة الأمير (عبد القادر الجزائري)، وعيّن الشيخ محمّد الغزالي مشرفاً عليها[(١)].

وأتاح التلفاز الجزائري للشيخ الغزالي ساعات كثيرة ومواعيد أُسبوعية ثابتة، يقدّم فيها كلمة الإسلام جليّة نقيّة.

ويذكر البعض أنّ الشارع الجزائري كان يخلو من المارّة أثناء حديث الشيخ في التلفاز، وكانت محاضراته زاداً ثقافيّاً، عرض فيه الإسلام بمنطق سهل وأداء رائع.

وكانت كتبه تنفذ من الأسواق بعد صدورها بفترة وجيزة.

ولا شكّ في أنّ النهضة التي حصلت لدى الشباب الجزائريّين بعد سنوات من ذلك، لم تكن بعيدة عن تأثير محاضرات الشيخ الغزالي.

لقد استطاع الشيخ خلال المدّة التي عمل فيها بالجزائر أن يخدم الإسلام والمسلمين خدمة جليلة. ولذلك حصل ـ قبل عودته إلى مصر ـ على أرفع وسام في الجزائر[(٢)].

سفر الغزالي إلى إيران

أحدث انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران تيّاراً عارماً في البلدان الإسلاميّة، يدعوها إلى الإسلام. فقد استطاعت إيران صياغة نموذج مناسب للحكومة الدينيّة، وصار هذا النموذج مثالاً يُقتدى به في أرجاء العالم الإسلامي. وطالما عبّر المثقّفون في البلدان الإسلاميّة عن حبّهم لإيران معتبرين إيّاها أملاً للبلدان الأُخرى.

عندما سأل مراسل مجلّة «نامه فرهنگ» الشهرية عن رأى الشيخ الغزالي

---

(١) المصدر المتقدّم: ١٩٣.

(٢) مجلّة آينه پژوهش (مجلّة مرآة التحقيق)/العدد: ٣٧/ صفحة: ١٠٢.

في الثورة الإسلاميّة أجاب قائلاً:

«المدّ الإسلامي مشهود حاليّاً، وكان الذي بدأ به في بلدان العالم السُنّي هو حسن البنّا، ولكن كانت ولا زالت هناك ضغوط سياسيّة ضدّ هذا التيّار. وقد شاء القدر أن يحالفكم الحظّ فانتصرتم، وكانت ثمرة انتصاركم إقامة دولة إسلاميّة. والمبادئ التي نؤمن بها هي التي جعلتني أعيش آلام وآمال هذه الثورة»[١].

إنّ المحبّة الحارمة التي يحملها الغزالي تجاه إيران دفعته إلى السفر إلى هذا البلد في عام ١٩٨٥م، بدعوة من آية الله جنّتي (دام عزّه العالي) للمشاركة في مؤتمر الفكر الإسلامي[٢].

وقد قدّم الغزالي في هذا المؤتمر مقالاً بعنوان: «رسالة خير الأُمم»، وعرض فيه الإطار الكلّي لأفكاره الإصلاحيّة.

نعرض في ما يلي مقتطفات من هذا المقال :

«الحكومة التي تحمّلت أعباء ثقل الرسالة السماوية، وأخذت على عاتقها إيصال رسالة الإسلام إلى الأجيال القادمة، هي الحكومة الحقّة. ونشير إلى بعض تلك المهام الثقيلة:

١ـ من أُولى مهام الحكومة الإسلاميّة هي أن تجسّد الخير والصلاح والمُثل العليا، وأن تكون مثالاً يُحتذى به عند سائر الأُمم والشعوب.

ولابدّ أن يكون أدائها بصورة متكاملة في جميع المجالات، من: الآداب العامّة، والعادات، والتقاليد، إلى المعاملات، والصناعات، والفنون، وغيرها، ممّا هو من شؤون الحكومة الإسلاميّة.

وأن تمارس تطبيق نظرية الإسلام الحقيقي، حتّى يكون تأثيره في نفوس الآخرين أعمق، ونتائجه أكبر.

---

(١) مجلّة نامه فرهنگ (مجلّة رسالة الثقافة) / السنة الأُولى / الرقم: ٢ / صفحة: ٢٥.

(٢) مجلّة آينه پژوهش (مجلّة مرآة التحقيق)/العدد: ٣٧/ صفحة: ١٠٢.

٢ـ تحدي الصعوبات، وإزالة الحواجز عن طريق مصادر العلوم الدينيّة وتفعيلها عمليّاً في المجتمع، وتوجيه الطلبة إلى الاهتمام بالمسائل الاجتماعيّة والحقوقيّة والقضائيّة.

٣ـ معالجة جميع الخلافات والضغائن بين الفقهاء، ومحو البدع والخرافات من كتب العلوم الإسلاميّة عن طريق مطابقتها مع الكتاب والسنّة.

٤ـ إنّ العقل وحده غير قادر على إيصال الإنسان إلى الكمال المنشود. وتوضيح هذا الأمر يتوجّه إلى الفقهاء والفلاسفة. هذا، وناهيك عمّا ابتليت به كثير من العقول بالنفاق والبؤس.

٥ـ إنّ أكثر المجتمعات الإسلاميّة تحتاج إلى تخصّصات إداريّة وعلميّة لإدارة شؤون مجتمعاتهم، وطالما أنّ هذه التخصّصات ليست بيد المسلمين، فهم محتاجون للأجانب وهذا ما سينعكس على قدرة واستقلال المسلمين، فلابدّ من معالجته».

الفصل السادس:

الوحدة من وجهة نظر الغزالي

يمكن القول بكلّ ثقة: بأنّ الشيخ محمّد الغزالي أحد حـملة لواء الوحـدة الإسلاميّة في القرن الأخير.

فالغزالي يرى أنّ الإسلام دين الوحدة ؛ إذ قد استطاع في مـطلع ظـهوره توحيد شمل جميع القبائل والشعوب العربيّة والأعجميّة، وبنى في مدّة سبعين سنة أكبر حضارة إنسانيّة وإسلاميّة.

ولكن من المؤسف ان بعض الخلافات بذرت بذور الفرقة بين المسـلمين وشتت شملهم وكانت النتيجة أنّ الأُمّة الإسلاميّة تشرذمت إلى أجزاء شتّى[1].

نشير في ما يلي إلى آراء وأفكار الشيخ الغزالي في هذا المجال :

الإسلام هو الوطن الحقيقي

ما كان الغزالي لم يكن الغزالي يؤمن بالحدود الجغرافيّة المفتعلة بين البلدان الإسلاميّة، بل كان يفكّر بأفق وحدوي ابعد مدىً.

فهو يرى بأنّه حيثما يعيش المسلمون فهناك البلد الإسلامي الكبير.

وهو يقول بهذا الصدد:

«العناية بوطننا القريب في وادي النيل، والعناية بوطننا الكبير فـي أرض العروبة كلّها، والعناية بوطننا الأكبر في الدائرة الممتدة التي تضمّ المسلمين جميعاً، تلك أُصول نتقيّد بها، ويجمعنا عقل وفكـر واحـد، يـقرّبان قـلوبنا بـعضها مـن بعض»[2].

---

(١) مقدّمة الترجمة الفارسية لكتاب: «الاستعمار أحقاد وأطماع».

(٢) ظلام من الغرب: ٢٣١.

نقده للقوميّة العربيّة

يعتقد الغزالي بأنّ الوحدة العربيّة اطار من دون محتوى اسلامي لا تساوي شيئاً.

ويقول في سياق نقده الحادّ للقوميّة العربيّة :

«إذا كانت الوحدة العربيّة والدعوة إلى القوميّة العربيّة على طريقة حزب البعث العربي، فإنّي أسأل الله أن لا تنجح هذه الوحدة، ولا تتوفّر لها مقوّمات النجاح! إنّ العرب بغير الإسلام لا قيمة لهم. وإذا كان هذا الاتّحاد بدون الإسلام فلا قيمة له، ولا حاجة لنا به»[١].

اتّحاد أهل الباطل وتفرّق أهل الحقّ

إحدى التحديات التي تثير الأسف والأسى في العالم الإسلامي هي الفرقة التي تنخر جسدهم. بينما نرى الاستكبار وأصحاب القوّة والمال ينهبون باتّحادهم خيرات البلدان الإسلاميّة. فالمسلمون عاجزون بسبب خلافاتهم الداخلية عن إقامة دولة واحدة، وأُوربا المسيحيّة تجعل بينها عملة واحدة واقتصاداً واحداً. ولكن ممّا يؤسف له حقّاً أنّ بعض قادة الدول الإسلاميّة يتأمرون مع أمريكا وإسرائيل للنيل من دول إسلاميّة أُخرى!

وهذه الظاهرة لا تقتصر على عصرنا هذا، بل عانى منها الإمام علي عليه السلام، حيث قال ـ بعدما بلغه خبر تقاعس أنصاره عن مجابهة هجوم أعدائه ـ:

«أُنْبِئْتُ بُسْراً قَدِ اطَّلَعَ الْيَمَنَ، وَإِنِّي ـ وَاللَّهِ ـ لَأَظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَ تَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ، وَبِأَدَائِهِمُ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُم»[٢].

---

(١) روزنامه جمهوري إسلامي (صحيفة الجمهورية الإسلاميّة) ١٣٦٩/٧/١٩هـ. ش.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٥.

كتب المفكّر المصري الشيخ محمّد الغزالي في نقده لظاهرة الفرقة والاختلاف بين المسلمين وتوحد الكفّار قائلاً:

«لقد تناسى المسيحيّون الحروب الدينيّة التي اندلعت نارها بينهم خلال القرون الوسطى، ونبذوا الخلافات الكبيرة التي تباعد بينهم أحياناً في أُصول العقيدة، وقرّروا أن يجابهوا الإسلام وأهله صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص. أمّا المسلمون فأن التضامن والاتحاد الذي يجب ان يلّم شملهم اصبح حلماً بعيداً المنال وروح الصفاء الذي ينبغي ان ينير طريقهم ويوحدهم لازال بعيداً»[1].

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ضدّ مطاعن المستشرقين: ٣٣٥.

أسباب فرقة المسلمين

١ـ عدم الوعي

أحد أسباب تفرّق المسلمين عدم وعيهم لما يحمله الآخرون من معتقدات وما يتّصفون به من سلوك وأخلاق. ومن الطبيعي أنّ عدم الوعي يقود إلى إصدار أحكام مغلوطة بهذا الشأن.

فعندما أصدر العلّامة الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر فتواه بجواز اتّباع والتعبد بمذهب أهل البيت، ثارت حفيظة بعض المتحجرين؛ لعدم ادراكهم وتقديرهم لأهميّة هذه الفتوى.

وكتب الغزالي معلقاً حول هذا الموضوع ما يلي:

«جاءني رجل من العوام مغضباً يتساءل: كيف أصدر شيخ الأزهر فتواه بأنّ الشيعة مذهب إسلامي كسائر المذاهب المعروفة؟! فقلت للرجل: ماذا تعرف عن الشيعة؟ فسكت قليلاً، ثمّ أجاب: ناس على غير ديننا!! فقلت له: لكنّي رأيتهم يصلّون ويصومون كما نصلّي ونصوم!! فعجب الرجل وقال: كيف هذا؟ قلت له: والأغرب أنّهم يقرأون القرآن مثلنا، ويعظّمون الرسول، ويحجّون إلى البيت الحرام...!! قال: لقد بلغني أنّ لهم قرآناً آخر، وأنّهم يذهبون إلى الكعبة ليحقّروها! فنظرت إلى الرجل راثياً، وقلت له: أنت معذور! إنّ بعضنا يشيع عن البعض الآخر ما يحاول به هدمه وجرح كرامته»[1].

٢ـ الكتّاب المغرضون

لا ريب في أنّ الآثار المكتوبة لها تأثيرها البالغ في صياغة ثقافة المسلمين.

---

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ضدّ مطاعن المستشرقين: ٢٥٦.

فإذا كان هناك كاتب ينشر في كتاباته النفاق والفرقة والضلال، فإنّ المجتمع سيسير في هذا الاتّجاه أيضاً.

قال الغزالي ضمن نقده لهذا النوع من الكتّاب:

«إنّ الكتّاب الذين لا يكترثون لجمع كلمة المسلمين، أو الذين يرسلون مقالاتهم على عواهنها، بحيث تثير الحفائظ وتحرّك السخائم[١]، إنّما يرتكبون في حقّ دينهم جرماً هائلاً»[٢].

٣ـ إثارة اختلافات الماضي

أحد عوامل فرقة المسلمين تأجيج اختلافات الماضي وتضخيمها. ففي صدر الإسلام أضحت الخلافة الموضوع الأساسي لاختلاف المسلمين، ولا زالت حتّى اليوم.

يقول الشيخ الغزالي في هذا المجال:

«نحن متخلّفون من أعماقنا. فما الذي ينبغي على الإسلام فعله؟ فالمسلمون في وضع مزرٍ. فهم يثيرون تاريخهم الماضي، ويحيون الاختلاف بين أبي بكر وعمر وبين أبي بكر وعلي. هذا الموضوع يعتبر من الناحية التاريخيّة بحكم المنتهي. فأنا ابن يومي. وهل استعادة وطرح هذه القضايا تحلّ لنا مشكلة، سوى أن تؤجّج نار الاختلاف بين الأحفاد مثلما أثارتها بين الأجداد؟! لا جدوى من ورائها أبداً»[٣].

---

(١) السخيمة: الحقد والضغينة والموجِدة في النفس. (لسان العرب ٢: ١٧٧٨).

(٢) ظلام من الغرب: ٢٠٧.

(٣) روزنامه رسالت (صحيفة الرسالة) (١٣٧٠/٤/٣ هـ ش) / صفحة: ١٢.

عوامل الوحدة

الازدهار الثقافي والعلمي

السبيل إلى زوال الاختلافات وتحقيق الوحدة من وجهة نظر الشيخ الغزالي يتمثّل في تنمية الطرح الثقافي والعلمي في المجتمعات الإسلاميّة.

فقد كتب في هذا المجال قائلاً:

«سعة المعرفة، وغزارة المادّة العلميّة، والاطّلاع الواسع على حقائق الحياة ومذاهب الفلاسفة والعلماء، هو أوّل الطرق التي تؤدّي إلى التعايش السلمي مع غيري على قاعدة حق الاختلاف والاجتهاد في شؤون الدين»[١].

ومن عوامل الوحدة:

١ـ علماء الدين

يعتقد الغزالي بأنّ أحد العوامل المهمّة والفاعلة في بلورة الوحدة بين جماهير الشعوب الإسلاميّة هو الدور الوحدوي الذي يؤدّيه علماء الدين في تقريب الفرق الإسلاميّة على تعددها.

ومن البديهي أنّ علماء الدين لو التزموا بهذا التوجه الوحدوي وأكّدوا عليه في خطبهم ومؤتمراتهم وكتاباتهم، فإنّ الأجواء في المجتمعات الإسلاميّة سوف تتجه نحو الوحدة وتتكرس في واقع المسلمين.

يقول الشيخ الغزالي في هذا المجال:

«جزى الله العاهل الفارسي نادر شاه[٢] على جهاده لجمع الكلمة ولَمِّ

---

(١) ظلام من الغرب: ٢١٧.

(٢) نادر شاه: ملك إيران. ولد في مشهد عام ١٦٨٨ م، وكان أوّل أمره جمّالاً، دخل في خدمة ←

الشمل، غير أنّ دور التقريب يقع في عصرنا على عاتق العلماء قبل أن يقع على عاتق الحكّام»[١].

٢ـ المسؤولون

أكّد الشيخ الغزالي ضمن بيان هذه القضيّة أنّ أهمّ عوامل هم الحكّام الفاسدون الذين حكموا البلدان الإسلاميّة، ولابد من تغيير الحكام. لتتوجه الأمور من الاختلاف صوب الوحدة ولمّ الشمل.

وهو يقول في هذا المجال:

«صحيح أنّ الخلاف نشأ سياسيّاً ووسّعت شقّته تصرفات الحكّام ومصالحهم الذاتية، إلّا أنّ على الساسة أن يصلحوا ما أفسد أسلافهم»[٢].

مسؤوليّة المسلمين تجاه الوحدة

وصف الشيخ الغزالي الظروف التي يعيشها العالم الإسلامي في العصر الراهن وما يُحاك ضدّه من مؤامرات الاستكبار العالمي، بأنّها ظروف حسّاسة وخطيرة، ونتيجة لذلك فهو يرى المسؤوليّة الملقاة على عاتق المسلمين بالغة الأهميّة، ويقول في هذا الصدد:

← الشاه حسين الصفوي، وبعد سقوط العاصمة أصفهان بيد الأُفغان ثار عليهم نادر، وقاد جيش طهماسب الثاني، فبويع له بالملك. فتح آسيا الوسطى وقسماً من الهند حتّى دهلي. قتله قوّاده في فتح آباد عام ١٧٤٧ م. (المنجد في الأعلام: ٧٠٣).

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ضدّ مطاعن المستشرقين: ٣٢٨.

(٢) نفس المصدر السابق: ٣٢٨.

«على المسلمين أن يجمعوا قواهم أمام ضربات الغزو الغربي، وأن يثبتوا على دينهم في معركة البقاء التي فرضتها عليهم الأقدار. وعار عليهم أن يتفرّقوا وقد تجمّع عليهم الأعداء من كلّ جانب، أو يتأخّروا في مضمار اللحاق بالعلم وهم يواجهون تطوراً علمياً هائلاً، أو يضعف أخذهم بدينهم الحقّ وقد استمسك كلّ ذي نحلة بعقيدته على ما بها من علل»[١].

مسؤوليّة المسلمين تجاه الاختلاف

لقد أبلغوا الشيخ الغزالي ذات يوم بوقوع خلاف ونزاع في أحد المساجد، حتّى أنّهم أوشكوا على الاقتتال؛ إذ قد اختلف المصلّون حول الصلاة على النبي، وهل يمكن إضافتها إلى الأذان الشرعي، أم أنّ أيّة زيادة في الأذان تعتبر بدعة؟

دعا الشيخ الغزالي الطرفين المختلفين إلى الاجتماع، وألقى على مسامعهم خطبة بليغة، حذّرهم فيها من الفرقة قائلاً لهم:

«إنّني أُرجّح إلغاء الأذان من هذا المسجد على الاختلاف والنزاع بينكم. فالأذان مستحبّ، بينما الوحدة والتضامن والأُخوّة الإسلاميّة فريضة وأمر واجب»[٢].

مبادئ الوحدة

كان المفكّر والمجاهد المصري الكبير حسن البنّا قد وضع عشرين أصلاً لترسيخ الوحدة الإسلاميّة.

وقد شرح الغزالي هذه الأُصول العشرين للبنّا في كتابه: «دستور الوحدة

---

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ضدّ مطاعن المستشرقين: ٣٥١.

(٢) مجلّة ميقات حجّ (مجلّة ميقات الحجّ)/العدد:٢٣/ صفحة: ٢٠٥.

الثقافيّة بين المسلمين»، وأضاف إليها عشرة أُصول أُخرى، هي:

١ـ النساء شقائق الرجال[١]، وطلب العلم فريضة على الجنسين كليهما، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وللنساء حقّ المشاركة في بناء المجتمع وحمايته وذلك في حدود الاداب الاسلامية.

٢ـ الأُسرة أساس الكيان الخلقي الاجتماعي للأُمّة والمحضن الطبيعي للأجيال الناشئة، وعلى الآباء والأُمّهات واجبات مشتركة لتهيئة الجوّ الصالح بينهما. والرجل هو ربّ الأُسرة، ومسؤوليته محدودة بما شرّع اللّه لأفرادها جميعاً.

٣ـ للإنسان حقوق مادّية وأدبيّة تناسب تكريم الله له، ومنزلته الرفيعة على سطح الأرض، وقد شرح الإسلام هذه الحقوق ودعا إلى احترامها.

٤ـ الحكّام ـ ملوكاً كانوا أم رؤساء ـ وكلاء لدى شعوبهم، يرعون مصالحها الدينيّة والدنيويّة، ووجودهم مستمدّ من هذه الرعاية المفروضة، ومن رضا الأمة بهم، وليس لأحد أن يفرض نفسه على الأُمّة كرهاً، أو يسوس أُمورها استبداداً.

٥ـ الشورى أساس الحكم، ولكلّ شعب أن يختار أُسلوب تحقيقها، وأشرف الأساليب ما تمحّض للّه، وابتعد عن الرياء والغشّ وحبّ الدنيا.

٦ـ الملكيّة الخاصّة مصونة بشروطها وحقوقها التي قرّرها الإسلام، والأُمّة جسد واحد لا يهمل منها عضو، ولا تزدري فيها طائفة، والأُخوّة العامّة هي القانون الذي ينظّم الجماعة كلّها فرداً فرداً، وتخضع له شؤونها المادّية والأدبيّة.

٧ـ مجموعة الدول الإسلاميّة مسؤولة عن الدعوة الإسلاميّة، والذود عنها، ودفع الأذى عن أتباعها حيث كانوا، وعليها أن تبذل الجهود لإحياء النظام الاسلامي النظام الاسلامي في الشكل اللائق بمكانتها الدينيّة.

---

(١) هذا حديث شريف، راجع: مشكاة المصابيح ١: ١٥٧، كنز العمّال ١٦: ٤٠٧، كشف الخفاء ٢: ٤٣٥ ـ ٤٣٦.

٨ـ اختلاف الدين ليس مصدر خصومة واستعداء، وإنّما يتمُ الردُ إذا وقع عدوان، أو حدثت فتنة، أو ظلمت فئات من الناس.

٩ـ علاقة المسلمين بدول العالم الآخر تحكمها مواثيق الإخاء الإنساني المجرّد، والمسلمون دعاة لدينهم بالحجّة والإقناع فحسب، ولا يضمرون شرّاً لأحد.

١٠ـ يتعاون المسلمون مع الأمم الأُخرى ـ على اختلاف دينها ومذاهبها ـ في كلّ ما يرقى مادّياً ومعنوياً بالجنس البشري، وذلك من منطق الفطرة الإسلاميّة والقيم التي توارثوها عن نبيهم المرسل محمّد(ص)[١].

---

(١) الشيخ الغزالي كما عرفته: ٣٤ ـ ٣٥.

الفصل السابع:

آراء الغزالي

آراؤه السياسيّة

التبعيّة للغرب

أدّت الثورة الصناعيّة في الغرب وما تلاها من ازدهار اقتصادي إلى نشوء فكرة فصل الدين عن السياسة، وتقلّصت دائرة الدين ضمن الشؤون الشخصيّة والفرديّة (علاقة الفرد بالله).

وكانت النتيجة أن غدت اللاأُباليّة والإباحيّة الجنسيّة من الأُصول المسلّم بها ومن المتبنيات القانونية في الدول الغربيّة.

وتزامناً مع هذه الأوضاع في أُوربا، ظهرت لدى مفكّري الاسلام نظرتان إزاء الغرب، هما:

١ـ التبعيّة للغرب.

ويرى أصحاب هذه النظرة بأنّ تقدّم البلدان الإسلاميّة والتعويض عمّا تعانيه من التخلّف لا سبيل إليه الّا بالتماهي والألتحاق بركب الغرب والتبعيّة له، وعلى المسلمين أن يسيروا على خطاه في جميع المجالات: العلميّة، والاقتصاديّة، والثقافيّة، والتشريعيّة، والعسكريّة، أي: أن يصبحوا غربيّين فى مفاهيمهم وطبائعهم ومثلهم وقيمهم وعاداتهم وتطلعاتهم. لأن الاسلام في عرفهم الا العادات القديمة البالية وانحرافات وغير ذلك.

٢ـ عدم التبعيّة للغرب.

يذهب أصحاب هذه الرؤية إلى القول بأنّ تخلّف المسلمين ناجم عن عدم اهتمامهم بأكتشاف العلوم الطبيعة والتطور التقني، وهو اللحاق بالغرب ومواكبته علمياً وتقنياً هو الأخذ بالعلم والتقنيّة، ولا مانع من الاستفادة من الغرب في هذه

المجالات، ولكن على الصعيد الثقافي وبسبب الطبيعة المادية للثقافة الغربية وجذورها الوثنية لا ينبغي تقليد الغرب في هذا المجال أبداً.

ينظر الشيخ الغزالي إلى الغرب من زاويتين: فهو يرى أنّ التقدّم العلمي قد امتزج هناك بالفساد الأخلاقي، ويذهب إلى القول بجواز بل حتّى وجوب تقليد الغرب في ميادين العلم والتطوّر التقني، ولكنّه يرفض تقليد الغرب في ميدان الثقافة.

وقد كتب ضمن نقده لدعاة التبعيّة إلى الغرب ما يلي:

«الرجال الذين اتّصلوا بالغرب ولم يحسنوا فهمه ولا النقل عنه هم في نظري المتّهمون الأوائل في هذه القضيّة. إنّ الحضارة الحديثة لباب وقشور، وعمل ولهو، وجدّ ومجون. فمن ينقذنا من أقوام لا يريدوننا إلّا مقلّدين للقشور والمجون واللهو فحسب[1]؟!».

وهو يقول في موضع آخر:

«الغرب من أقذر شعوب الأرض فكراً وروحاً»[2].

الغزو الثقافي

في أعقاب انبثاق الثورة الصناعيّة في أُوربا وما أحرزته من تقدّم في المجالات: العسكريّة، والتقنيّة، والاقتصاديّة، هجمت الدول الأُوربيّة كالبرتغال، وفرنسا، وبريطانيا، وغيرها على البلدان الشرقيّة والإسلاميّة ونهبت ثرواتها.

ومن الأمثلة على هذا النهب الذي لم يشهد له التاريخ مثيلاً غزو فرنسا للجزائر والسودان، وغزو بريطانيا لمصر والهند.

وبعد أن لقيت تلك القوى مقاومة عنيدة من شعوب المنطقة أدركت أنّ الغزو

---

(١) ظلام من الغرب: ٢٥٧.

(٢) المصدر السابق: ٢٨.

العسكري لا يحقّق لها مآربها، ومن الأفضل لها غزو المسلمين ثقافيّاً.

أدرك الشيخ الغزالي طبيعة الغزو الثقافي المعادي، بعد استقلال بلده من قبضة الاستعمار العسكري البريطاني، وكتب عن هذا الجانب قائلاً:

«كما تعلمون مضى حتّى الآن على مقاومة شعبنا للاستعمار أكثر من قرن، الاستعمار الذي احتلّ أرضنا ونهب خيرات شعبنا. ولكن بعدما استطاع آباؤنا وأجدادنا ومن بعدهم نحن هزيمة الاستعمار العسكري، أدركنا فجأة بأنّ الاستعمار العسكري قد خلّف وراءه أساليب أُخرى من الاستعمار، ومن ذلك الاستعمار الثقافي والاستعمار الحقوقي الذي بدّل هويّتنا كلّياً وجعلنا غرباء عن ميراثنا كلّياً. ومن هنا فانّنا سنستعيد كامل استقلالنا وهويّتنا يوم نعود إلى تراثنا الأصيل»[١].

ويحثّ الشيخ الغزالي جميع المسلمين على مقاومة الغزو الثقافي المعادي، قائلاً:

«نحن ـ أخصّ المسلمين ـ كما حاربنا الاستعمار العسكري، علينا أن نحارب الاستعمار الثقافي، وعلينا أن نحاربه في ميدان الحقوق، وفي ميدان التعليم والتربية، لكي ترحل عن أرضنا المبادئ المستوردة التي وجدت طريقها إلى بلداننا برفقة الأجانب، ويعود الإسلام إلى أهله»[٢].

أهداف الاستعمار

١ـ تثبيط العزائم

أهمّ أهداف الاستعمار في جميع البلدان الإسلاميّة تثبيط العزائم، وبثّ

(١) روزنامه اطّلاعات (صحيفة الأخبار) (١٣٧١/١/١١هـ ش)، نقلاً عن «المسار»، ١٩٩٢/٢/٢م.

(٢) نفس المصدر السابق.

اليأس في النفوس، والإيحاء بأنّ الإسلام عاجز عن تلبية كلّ متطلّبات الحياة.

حيث قال في هذا المعنى ما يلي:

«والاستعمار الغربي ـ بنوايا صليبيّة قديمة ـ دائب على اضعاف قوى الإسلام، وتمزيق شمله، وتشتيت سعيه، وبذل الجهود الماكرة ترهيباً وترغيباً باستخدام العنف والقوة العسكرية ودحر العالم الاسلامي وجعله هامشاً يدور فى فلک الغرب وسوقاً مفتوحاً للبضائع الاستهلاكية وبضمنها الثقافة»[١].

٢ـ تربية جيل مسلوخ عن الإيمان

أحد الأهداف التي يسعى إليها العدوّ للهيمنة على الثروات الهائلة للبلدان الإسلاميّة تربية جيل لا يمتّ إلى الاسلام بصلة، جيل مسلوخ عن الإيمان بالله وبالجهاد، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإذا نجح الاستعمار في تطبيق خطّته هذه، فسيُتاح له بكلّ سهولة ويسر نهب ثروات وخيرات ذلك الجيل.

وقضيّة الأندلس عبرة لكلّ المسلمين، حيث نجحوا باستعمال خطط غربيّة في تحويل بلد إسلامي إلى بلد مسيحي، وتبدّلت مساجد الى كنائس كان يُصلّى فيها على مدى قرون.

قال الشيخ الغزالي في هذا المجال في سياق تحذيره للمسلمين من الاستعمار:

«وغايته التي ظهرت من طول سعيه لها هي القضاء على الإسلام في أوطانه وتشويه المصادر التي تمدّ الناشئة بالعلوم، وتبصّرهم بحقوقهم. ومن السذاجة أن تحسب أهداف الاستعمار الصليبي انتهت عند حد نشر الاباحية والرذائل بل لها اهداف اخطر واكبر من ذلك»[٢].

---

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ضدّ مطاعن المستشرقين: ٣٤٢.

(٢) الاستعمار أحقاد وأطماع: ٢٣.

٣ـ إشاعة الفساد والتحلّل

أحد الأهداف الكبرى التي يسعى إليها المستعمرون هي نشر الفساد والاباحية الأخلاقية ونبذ الدين؛ لكي يحولوا بذلك بينهم وبين التفكير الاستراتيجي بالقضايا المهمّة للعالم ولبلدانهم.

يقول الشيخ الغزالي في هذا الصدد:

«لا شكّ في أنّ إشاعة فصل الدين عن السياسة كانت الشغل الشاغل للمستعمرين الغربيّين. ومنذ اليوم الذي استولوا فيه على الاراضي الإسلاميّة، ولم يغب عن بالهم الهجوم على أعراضنا ومقدّساتنا»[١].

٤ـ القضاء على الإسلام

ويرى الشيخ الغزالي أنّ الغاية النهائيّة من وراء جميع الممارسات التي قام بها الاستكبار في البلدان الإسلاميّة هي اقصاء الاسلام تمهيداً للقضاء عليه، حيث يقول:

«إنّ أمواج الشرّ تتدافع، كلّما انزاحت بيننا موجة هجمت بعدها موجة أُخرى. وقد نجح الغرب في اقصاء اسلام الحكم بما أنزل الله على صعيد المجالات الجنائيّة والمدنيّة والدوليّة. وبقي أن يجتاح كذلك ميدان الأحوال الشخصيّة، فإذا استكان له هذا الميدان الآخر فعلى الإسلام كلّه العفا!

ويا موت زُر إنّ الحياة ذميمةٌ ويا نفس جدّي إنّ دهرك هازلُ»[٢].

---

(١) ظلام من الغرب: ١٥٧.

(٢) المصدر السابق: ١٢٩.

وهذا البيت الشعري لفيلسوف المعرّة أبي العلاء المعرّي، كما نُسب إليه في الموجز في الأدب العربي وتأريخه ٢: ٥٠٢.

الاستعمار والجامعات

ممّا لا ريب فيه أنّ أحد الأركان المهمّة في كلّ بلد هي جامعاته. ولو نجح العدوّ في تربية الأشخاص الذين يبتغيهم وفقاً لثقافته، فإنّه بذلك سيكسب الجيل الصاعد في ذلك البلد.

وقد قال الشيخ الغزالي في تحذيره للمسلمين من المؤامرات الاستعمارية إزاء حصوننا العلمية (الجامعات) ما يلي:

«وقد مرّت سنون طوال ـ منذ أن سقط الشرق الإسلامي فريسة الاستعمار الحديث ـ وهذا التيّار يقوى ولا يضعف، ويُقدم ولا يُحجم، فتفاقمت حدته وزادت شراهته وسقط الستار فجأة عن أفاعيله بالشباب المتعلّم، فإذا هو قد فتك بأُصول الأخلاق بينهم بعدما أفرغ أفئدتهم من حقائق الإيمان وزعزع وأركان الدين. هذا الشباب المتعلّم الذي يصل إلى العشرين من عمره ويحتلّ مقاعده في الجامعات، وهو لم يتلق من المعارف الإسلاميّة شيئاً يُذكر؛ وخصوصاً أنّ الغزو الصليبي الثقافي وضع مناهج الدراسة قديماً، وهو يخطط عمداً أن يُجَهِّل الطلبة في دينهم؛ ليعيشوا غرباء عن دينهم»[١].

الاستعمار والمراكز الثقافيّة

لقد بدأ الاستعمار من بعد احتلاله للعالم الاسلامي بشنّ هجوم ثقافي عنيف. وكان من جملة الأساليب التي اتّبعها في غزوه الثقافي إنشاء مؤسّسات ومراكز ثقافيّة وبحوث في العالم الاسلامي بحجة خدمة الثقافة فيها، ولكنّها كانت في واقع الحال تُمارس نشاطها لصالح مشروع التغريب*.

---

(١) ظلام من الغرب: ١٠٧.

(*) ومن جوانب الإصلاح المهمّة عند الشيخ الغزالي: تحرير الأُمّة الإسلامية في مشارق ←

← الأرض ومغاربها من كلّ سلطان أجنبي يشلّ إرادتها أو فكرها أو يدها.

ولهذا قاوم الشيخ الاستعمار غربيه وشرقيه، قديمه وجديده، كما قاوم عملاءه واذنابه في ديار الإسلام، الذين يشيعون فكره، ويتبنّون خطّه، ويسيرون في دربه، من بني جلدتنا، وممّن يتكلّمون بألسنتنا.

قاوم الشيخ الاستعمار سواء تمثّل في احتلال عسكري، أم في تسلّط سياسي، أم في تحكّم اقتصادي، أم في غزو فكري أو تعليمي أو إعلامي أو اجتماعي.

الاستعمار أحقاد وأطماع:

وبيّن الشيخ أنّ الاستعمار لا تدفعه «الأطماع» وحدها في ابتلاع خيرات بلاد الإسلام، بل هناك دوافع أخرى كامنة هي «الأحقاد» الموروثة منذ ايام الحروب الصليبية، بل منذ اصطدم الإسلام بالنصرانية وانتصر عليها في آسية وأفريقية، وأخذ منها بلاداً كثيرة غدت جزءاً مهمّاً من «دار الإسلام».

وقدّم الأدلّة على هذه البواعث التي ورثّت هذا الحقد الدفين من وقائع التاريخ الماضية ومن أحداث الواقع الراهن.

يقول الشيخ: «كنّا نفكّر أنّ سيطرة الغربيّين على بلادنا كانت مجرّد غلب القوي على الضعيف، حتّى صحونا من منامنا، أو استفقنا من بلاهتنا، فوجدنا الأوروبيّين الغزاة يطوون أفئدتهم على جميع المشاعر التي حرّكت أسلافهم الأقدمين، حين حاربونا باسم «الصليب» زهاء قرنين من الزمان.

إنّهم هم هم، بغضاؤهم للإسلام لم تنقص، بل ظلّت في نماء، وسخطهم على أهله لا تزيده الليالي إلّا ضراماً.

كلّ ما أفادوه من تقدّم علمي في إبّان غفوتنا الأخيرة أنّهم غيّروا الوسائل، والآليات ليضيفوا إليها مقداراً أكبر من الختل والخبث، وطوّروا السلاح؛ ليجعلوه أشدّ فتكاً، وأوسع هلاكاً، حشدوا كلّ ما لديهم ليجهزوا على الكتاب والسنّة، أي: على رسالة محمّد(ص) عدوّهم الألد، ثمّ ليمزّقوا أمّته شرّ ممزّق، فيسلّطوا عليها من صنوف البلاء ما يجعلها تتعثّر في طلب النجاة دون جدوى».

←

الاستعمار الشيوعي:

كما بيّن الشيخ أنّ الاستعمار ليس هو فقط الاستعمار الغربي الذي احتلّ أوطان المسلمين من أندنوسيا إلى المغرب الأقصى: بريطانيا وفرنسا وإسبانيا وهولندا وإيطاليا وغيرها، بل يشمل الاستعمار الشرقي الذي هو أحدّ أنياباً وأقوى أظافر وأشدّ شراسة من الاستعمار الغربي، أعني: الاستعمار الشيوعي الذي احتلّ عدداً من الجمهوريات الإسلامية في آسيا: أوزبكستان، وطاجيكستان، وكازاخستان، وآذربايجان... إلخ، وهي أقطار إسلامية عريقة في إسلامها، ضمّها الاتّحاد السوفيتي إليه بالحديد والنار، فغدت جزءاً من إمبراطوريته خلف الستار الحديدي.

وأبرز ما ظهر فيه موقف الشيخ من الاستعمار الأحمر كتابه: «الإسلام في وجه الزحف الأحمر» الذي نشر طبعته الأولى في سنة ١٩٦٦م، أي: في أوج عهد عبدالناصر.

وقد كان الشيوعيّون في ذلك الوقت لهم سطوة وسلطان، وكانوا ممكّنين من جميع أجهزة الثقافة والإعلام، وكانت صلة مصر بالسوفيت وثيقة متينة. لا غرو أن قال الشيخ في مقدّمة كتابه هذه العبارات:

«... لذلك رأيت أن أكتب هذه الصحائف الحافلة بالحقائق العلمية والتاريخية، وأُودعها صرخات قلب غيور على دينه شفيق على أُمّته.

وأعرف أنّني بكتابتها سأتعرّض لعداوات مميتة، ولكن بئست الحياة أن تبقى ويفنى الإسلام!

إنّ الضربات تنهال من كلّ ناحية على هذا الدين الجلد! وعلى بُعد ما بين الخصوم الضاربين من منازع وغايات فقد جمعهم حبّ الإجهاز على الإسلام واقتسام تركته!

وقد فرض الله على العلماء أن يقولوا الحقّ ولو كان مرّاً، وألّا يخشوا في الله لومة لائم. وعشّاق الحقّ لابدّ أن يحيوا معه، وإلّا فبطن الأرض خير لهم من ظهرها.

والأُمّة التي أعنيها ليست عشيرتي الأقربين، ولا العرب أجمعين.. كلّا، إنّني أعني الأُمّة الإسلامية حيث انتشرت في الأرض ولمس ترابها جبهات الساجدين، وكلّ منهم يهمس في خشوع: «سبحان ربي الأعلى».

هذه الأُمّة التي أحاط بها الطامعون والحاقدون هي الأُمّة التي أحذر عليها، وأعمل لها».

→ لم ينس الشيخ في كتاباته ومحاضراته وخطبه الأُمّة الإسلامية، ولم يغفل يوماً عن قضاياها، بل كان هو المحامي الدائم عن قضاياها، والمدافع العنيد عن مظالمها، والمحرّض المستمرّ لها لمواجهة أعدائها وإبطال مكائدهم.
وكتبه شاهدة على ذلك: «الاستعمار أحقاد وأطماع»، «الإسلام في وجه الزحف الأحمر»، «ظلام من الغرب»، وغيرها.

قضية فلسطين:

وفي مقدّمة القضايا الإسلامية التي تبنّاها الشيخ واحتلّت بؤرة شعوره وصميم قلبه وفكره، وعدّ نفسه حارساً لها بقلمه ولسانه ووجدانه: قضية فلسطين، أرض الإسراء والمعراج، والمسجد الأقصى، وأُولىٰ القبلتين.
واهتمامه بقضية فلسطين يأخذ وجهتين:
الأُولى: تحريك الأُمة الإسلامية؛ لتنهض بواجبها في الدفاع عن أرض المقدّسات، ونسيان ما بينها من خلاف لتقف صفّاً واحداً ضدّ العدوان اليهودي المغتصب.
الثانية: المقارنة بما تمارسه إسرائيل ويهود العالم من تخطيط وتنظيم وبذل وتعاون، وكيف استخدموا علوم العصر وتكنولوجياته المتطوّرة في خدمة دولتهم؛ لتكون هذه المقارنة ذريعة لنا عسى أن نغيّر ما بأنفسنا، ملتمسين العبرة من عدوّنا.
وقف الشيخ بقلمه ولسانه مع قضايا المسلمين في العالم، مع الإسلام في كلّ مكان: الإسلام الجريح في الحبشة، الإسلام المقاتل في كشمير والفلبّين، الإسلام المقاوم في فلسطين والاسلام المذبوح فى البوسنة والهرسك، الإسلام الصامد في أندونيسيا وفي بنجلاديش في آسيا، وفي نيجيريا والصومال في إفريقيا، أمام موجات التنصير والعلمانية، الإسلام المقاوم ضد التغريب والعلمنة في تركيا وفي البلاد العربية..
وقف الشيخ مع اللاجئين المشرّدين من أبناء الإسلام في أنحاء العالم، أبناء بورما وتشاد والصومال وإريتريا وغيرهم..
لقد وقف الشيخ مع كلّ قضايا المسلمين، بحيث تستطيع أن تقول: إنّه (محامي الأُمّة الإسلامية) حيثما كان لها قضية.

←

←

توحيد الأُمّة بعد تحريرها:

ولا يقف الشيخ عند قضية التحرير، بل يتعدها للعمل على «توحيد الأُمّـة» كـما أمـر الله سبحانه، فهي (أمّة واحدة) وليست أُمماً، وعندها من عوامل التوحيد ما يقرّب بينها.

العقبة الكأداء في سبيل وحدتها هو ما صنعه الاستعمار من افتعال أنظمة وثقافات ومناهج وأفكار، باعدت بين شعوب الأُمّة وقادتها .

ويرى الشيخ أنّ إعادة النظام الاسلامي فرض عين على الأُمّة، وهي لازمة شرعاً وواقعاً لتبليغ الدعوة إلى العالم وحمايتها، والدفاع عن المستضعفين من المسلمين وعن قضايا الإسلام في أنحاء الأرض.

يقول الشيخ في ألم وأسىٰ: «إنّ قلبي يتفطّر عندما أرى الدم الإسلامي أرخص دم يهدرُ على الأرض.. لقد استباحه المجوس واليهود والنصارى والوثنيّون والملحدون وحكّام مسلمون!!

ولا ريب في أنّ المدافعين عن الإسلام تحيطهم ظروف موضوعية صعبة ومعقّدة، غير أنّه بين الحين والحين ينبجس من روح الله ندى يواسي الجراح، ويهوّن الكفاح، ويبشّر بالصباح..

ومهما كانت الظروف محرجة فلابدّ من بقاء الدعوة الإسلامية مرفوعة الراية واضحة الهداية، تعلن الحقّ وتبسط براهينه، وتلقف الشبه وتوهي إسنادها..

إنّ محمّداً ليس وقفاً على عصر أو جنس، إنّ رسالته للعالم اجمعين ما بقي الزمان، وعلينا أن ننهض بهذا العبء والمسؤولية الثقيلة.

وحتّى تعود النظام الاسلامي ـ وإعادتها فرض عين ـ لتتولّى هذه المهام يجدر بنا أن نتّبع ما يأتي...»

ويذكر الشيخ هنا جملة من المقترحات النافعة.

مسؤولية النظام الاسلامي عن الدعوة في العالم:

وفي موضع آخر تحدّث الشيخ عن «الدعوة الإسلامية والحكّام الخونة»، وقال في مقدّمة هذا الفصل:

«المسلمون مكلّفون بنشر دينهم في كل العالم. ويجب أن تكون لديهم أجـهزة مـتخصّصة

←

← تعرّف العالم كلّه: مَن محمّد؟ وما رسالته؟ ما الذي يتغياه للناس كي يسعدوا في دنياهم وآخرتهم.

يجب أن تكون تعاليم الإسلام تحت أبصار الناس قاطبة، فمن شاء قبلها، ومن شاء ردّها، المهمّ أن يعرفها على حقيقتها، وأن يزول الجهل بها، وألّا يكون الدخّان الذي أطلقه أعداؤها حائلاً دون هذا الإدراك الواعي السليم.

وقد كانت «الخلافة» الكبرى مسؤولية عن ذلك، إذ كان رمزاً للإسلام وشاخصاً عالمياً يلفت الأنظار إليه ويذود الأعداء عنه.

ومع أنّ «الخلافة الاسلامية» عندما تولّاها الجنس التركي قد أصبحت شبحاً عليلاً، ومع أنّ الخلفاء الأتراك كانوا أقرب إلى السلاطين الجبابرة منهم إلى أُمراء المؤمنين وحرّاس اليقين ودعاة الحقّ وهداة الخلق!! مع ذلك كلّه، فإنّ وجود الخلافة فيهم كان له أثره في وحدة المسلمين وتقليل الخسائر النازلة بهم من هنا وهناك.

وحسبنا أن نشير إلى موقف السلطان «عبدالحميد» من فلسطين، فقد ساق إليه اليهود قناطير الذهب ليسمح بوجود يهودي فيها، فأبى الرجل إباءً قطع كلّ محاولات الإغراء، وأحبط جميع المؤامرات لتقسيم العالم الإسلامي بهذا العنصر الغريب.

ولمّا كان لوجود «الخلافة» من آثار ماديّة وأدبية بعيدة المدى، فقد كان همّ العالم الصليبي أن يجهز عليها. وقد استطاع أن يبلغ غرضه بعد الحرب العالمية الأُولى مستغلّاً أطماع القائد التركي «مصطفى كمال» الذي باع الإسلام والمسلمين من أجل البقاء رئيساً للدولة التركية الجديدة!!

إنّ الشروط الأربعة التي عرضها «الحلفاء» المنتصرون عليه هي: أن يقطع صلة تركيا بالعالم الإسلامي وبالعرب خاصّة، وأن يلغي نظام الخلافة، وأن يحكم الشعب بدستور علماني مبتوت الصلة بالدين».

تذويب الفِرق المنشقّة عن الأُمّة:

وللشيخ الغزالي رأي له أهميته في وجوب تذويب الفِرَق المنشقّة عن الجماعة والأُمّة الإسلامية، نسجّله هنا. يقول شيخنا:

←

→ «في الأُمّة الإسلامية الآن فرق تذكّرنا بمذاهب الباطنية وفلسفاتها الدخيلة التي نجحت قبل ألف عام: هناك النصيرية، والدروز، والإسماعيلية الأغاخانية وأمثال أُولئك جميعاً ممّن ينتمون إلى الإسلام انتماءً غامضاً.

وقد يزعمون أنّهم مسلمون شيعة! بيد أنّ جماهير الشيعة ترفضهم وتتنكّر لهم..

إنّهم سلالات باطنية تلبس الإسلام على خليط من الأفكار التي لا سنّد لها، وهم في نظري ضحايا الإهمال الغريب من الدولة والأُمّة معاً..

لماذا تمرّ القرون الطوال وهؤلاء الناس معزولون داخل دار الإسلام على هذا النحو المتوارث؟

أكثر من ألف عام والحكم الإسلامي غير مكترث بالتجميد الأدبي لأُلوف مؤلّفة من الناس تعيش في صميمه، لا هم منه، ولا هم من عدوّه!!

إنّ هذا الخطأ لابدّ أن يوضع له حدّ، ولابدّ من التعفية على آثاره!

ولدت الباطنية ونمت في الفراغ الحقيقي الذي كان موجوداً بين الحكّام والشعوب. أغلب الحكّام كان جائراً جاهلاً وإن لبس ثوب الخلافة أو لاذ بمن يلبس هذا الثوب.

وتعلّقت القلوب بمنقذ من آل البيت، ينسخ الجور ويؤنس المستوحشين.

وحول هذا الأمل الحبيب تكوّنت في الظلام عصابات، لم تجد لها في وضح النهار مكاناً.

وحول قليل من الحقّ تكوّنت مذاهب مستوردة من الهندوكية والمجوسية واليونانية وغيرها، فكان التفكير الباطني، وكانت فرقه العديدة.

نصوص من القرآن يتمّ تفريغها من محتواها الصحيح، لتحلّ محلّه أوهام المستغلّين، وخيالات ما أنزل الله بها من سلطان!

واتّسعت دائرة المخدوعين المستغلّين خصوصاً في القرنين الثالث والرابع، وبلغ من سطوة الباطنية أنّ إحدى فرقهم انتزعت الحجر الأسود من مكانه في الكعبة المشرّفة، فلم يعد إلّا بعد نيف وعشرين سنة بشفاعة فرقة أُخرى.

وإذا كان ذلك عجيباً فإنّ ردّ الفعل أعجب لدى الحاكمين والمحكومين على سواء.

ولقد استيقنت ـ وأنا أقرأ هذه الصحائف السود ـ أنّ نظام الحكم من قديم كان القشرة العفنة في كياننا كلّه.

ولقد نهض عدد كبير من العلماء بدحض الفكر الباطني وفضح خرافاته، حتّى انصرف عنه ←

→ جمهور العقلاء، وانكسرت حدّته السياسية انكسارا تامّاً.
لكن حكّام المسلمين ـ في غيبوبتهم الفكرية ـ لم يكملوا ما بدأه العلماء المجاهدون، بل لقد خيّل إليّ أنّهم جمّدوا عن عمد بقايا الباطنية، مع أنّ قضاياها أمست بلا موضوع.
وجمهور المنتسبين إلى هذه الفرق انقطع عن المنابع التي كانت تمدّه في القديم، وبقيت نسبته إلى الإسلام أبرز في وعيه من النسبة إلى أفكار أُخرى.
والخطوة التالية والواجبة أن يستلحق الكيان الإسلامي الكبير هذه الطوائف التي اقتطعت منه لظروف مؤسفة، يستطيع بالتعليم الموصول والإعلام الدائم أن يجعل راية الكتاب والسنّة ترفرف عليها وعلى جميع المسلمين.
نعم، فليس لهذه الطوائف دين تنتسب إليه إلّا الإسلام كما يقولون، وليست لها فلسفات عقلية أو اجتماعية تمثّل مذهباً مستقلّاً في الحياة، وربّما كانت الروابط التي تمسك أبناءها روابط قبلية أو عصبيات جنسية. وخطأ الجماعة الإسلامية في الحفاظ عى كيانها الكبير لايجوز أن يستمرّ بعد اليوم.
لقد دخل الصليبيّون الأندلس، فلم يبقوا فيه إلّا مذهباً واحداً هو «الكثلكة».
وسيطر الإسلام على ما يسمّى الآن «الشرق الأوسط»، وبقي فيه أربعة عشر قرناً، ومع ذلك فإنّ الطوائف الكثيرة لا تزال تكوّن فيه عصبة أُمم!
ربّما كان ذلك شاهداً على ما انفرد به الإسلام من سماحة مستغربة في التاريخ البشري الحافل بفنون التعصّب. لكن هذه السماحة لا يسوغ أن تتحوّل إلى فتوق تأتي عليه من القواعد وتأذن للخيانات والمخادعات أن تنال منه.
وعلى الجماعة الإسلامية أن تدفع عن وجودها بالوسائل العادية التي فاتتها من قديم، أي: أنّ عليها تذويب هذه الفرق كلّها في الكيان العامّ».

مبادئ للتصالح بين السنّة والشيعة:

كما يرى شيخنا الإمام أنّ أوضاع المسلمين الراهنة، والأخطار المحدقة بهم، وتداعي الأُمم عليهم من كلّ أُفق، كما تتداعى الأكلة على قصعتها، كلّ ذلك يوجب الدعوة من عقلاء أهل السنّة والشيعة إلى التفاهم والتضامن بين الفريقين لمواجهة التحدّيات.

←

وفي ذلك يقول: «من الخلافات الموروثة ما بين الشيعة وأهل السنّة من فجوات ملأتها الدماء في بعض الأعصار، وزادها البهت والافتراء بين الحين والحين!

وما أنكر أنّ أسباباً علمية وعاطفية تختفي أو تظهر وراء هذا الخلاف، بيد أنّ للسياسة ومطالب الحكم أسباباً أُخرى.

وقد تحدّثت في كتب أُخرى عن حقيقة ما بين الفريقين من الناحية العلمية، ولا مجال هنا لتفصيل أو زيادة. وأعترف بأنّ لي أصدقاء من الشيعة أعزّهم وأحبّهم.

ومن أجل ذلك أعرض هذه المبادئ لدفع الأُمور إلى طريق التصالح والإخاء:

(أ) يتّفق الفريقان في مؤتمر جامع على أنّ القرآن الكريم هو كتاب الإسلام المصون الخالد، والمصدر الأوّل للتشريع، وأنّ الله حفظه من الزيادة والنقص وكلّ أنواع التحريف، وأنّ ما يتلى الآن هو ما كان يتلوه النبي ﷺ على أصحابه، وأنّه ليس هناك في تاريخ الإسلام كلّه غير هذا المصحف الشريف.

(ب) السنّة هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، والرسول أُسوة حسنة لأتباعه إلى قيام الساعة، والاختلاف في ثبوت سنّة ما أو عدم ثبوتها مسألة فرعية.

(ج) ما وقع من خلاف بين القرن الأوّل يدرس في إطار البحث العلمي والعبرة التاريخية، ولا يسمح بامتداده إلى حاضر المسلمين ومستقبلهم، بل يجمّد من الناحية العلمية تجميداً تامّاً، ويترك حسابه إلى الله وفق الآية الكريمة ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٤١).

(د) يواجه المسلمون جميعاً مستقبلهم على أساس من دعم الأُصول المشتركة ـ وهي كثيرة جدّاً ـ وعلى مرونة وتسامح في شتّى الفروع الفقهية ووجهات النظر المذهبية الأُخرى.

إنّني لا أستطيع خلال سطور أن أحلّ مشكلة ترامت عليها العصور، لكنّني ألفت النظر إلى أنّ أوهاماً وأهواءً تملأ الجوّ بين الشيعة وجماعة المسلمين لا يسيغ العقلاء بقاءها وقبولها.

ولو وضع كلّ شيء في حجمه الطبيعي وأُغلقت الأفواه التي تستمرئ الوقيعة والإفك لتلاشت أنواع من الفرقة لا مبرر لوجودها.

وإنّي إذ أرسل هذه الكلمات إلى إخواني في كلّ قطر، أستشعر الخطر الذي يكتنف المسلمين هنا و هناك وكثافة القوى التي تتجمّع في هذه الأيّام للإجهاز عليهم واستئصال شأفتهم.

← لقد اتّفقت أحزاب أهل الكتاب وأحزاب الوثنية وأحزاب المادّيين جميعاً على استئصال شأفتنا، فإلى متى نتفرّق؟!

لماذا يتباعد أتباع المذاهب الفرعية؟

لماذا تُجترُّ خلافات بين السلف، وتُمنح القدرة على الحياة والأذى؟!».

الدعوة إلى التقدّم والخروج من التخلّف

وممّا أخذ من جهد وعناية الشيخ الغزالي جانباً غير قليل: دعوته الدائبة إلى استخراج الأُمّة من دائرة التخلّف، والعمل على إلحاقها بركب التقدّم البشري الصاعد أبداً إلى الأمام.

إنّ التخلف ليس من طبيعة هذه الأُمّة ولامن لوازم تديّنها، فقد كانت هذه الأُمّة هي الأُمّة الوسط في العالم كلّه قرابة ألف عام، وكانت حضارتها هي الحضارة الغالبة والسائدة، وكان علماؤها في كلّ فرع من العلوم هم قادة العلم والفكر في الدنيا القديمة.

ومن ذا الذي يجحد ما قدّمه أمثال: ابن حيّان في الكيمياء، وابن الهيثم في الفيزياء، والخوارزمي في الجبر، والبيروني في الرياضيات، والرازي وابن سينا والزهراوي وابن النفيس في الطبّ، وابن رشد في الطبّ والفلسفة؟

ومن ينكر ما قدّمه المسلمون للعالم بإقرار المنهج الاستقرائي التجريبي، إقراره عملياً في شتّى العلوم الطبيعية والكونية، والدفاع عنه نظرياً بنقد المنهج الصوري القياسي الذي قام على أساس المنطق الأرسطي؟

ومن هنا اقتبست أُوربا من الحضارة الإسلامية المنهج التجريبي؛ وأسّست عليها نهضتها، كما شهد بذلك شهود منصفون من أهلها، أمثال: بريفولت، وغوستاف لوبون، وجورج سارطون.

فالتخلّف إذاً طارئ على الأُمّة، وعلّة لها، وليست من طبيعتها ولا طبيعة دينها الذي جعل منها من قبل خير أُمّة أُخرجت للناس، وبوّأها مكان الأُستاذية للبشرية كلّها.

وحرام على الأُمّة المسلمة أن تظلّ في مؤخّرة الأُمم في مجال العلم والعمران والتكنولوجيا، ومكانها الطبيعي أن تقود هي الركب!

وهذا ما شغل فكر الشيخ الغزالي، وكوى قلبه بنار الأسى على مصير الأُمّة القائدة أن تنتهي إلى هذا الوضع الذي صارت إليه اليوم تستورد ولا تصنع، تستهلك ولا تكاد تنتج إلّا التوافه، ←

← حتّى قوتها اليومي لا تنتج منه ما يكفيها برغم خصوبة أراضيها، وحتّى سلاحها الذي تذود به عن بيضتها لا تصنعه، بل تشتريه من غيرها بشروطه المجحفة طبعاً!

عجز الأُمّة عن توفير غذائها:

لأسباب شتّى أخذت أُمّتنا تتراجع أمام خصومها، وتترنّح تحت ضربات موجعة، وظهر عجزها عن تبليغ رسالتها، بعد عجزها عن العمل بها بداهة، وعجزها عن حماية نفسها؛ لأنّها لم تعد تصنع السلاح الذي يحميها. وتبع ذلك عجز أنكى وأخزى، هو عجزها عن صنع رغيفها الذي تأكله.

يقول شيخنا: «وقد قرأت أنباء «ندوة الغذاء العربي» التي انعقدت في دمشق، وقد استوقفني عنوان كبير: «٧٧٪ من قمح رغيف الخبز من الأقطار العربية مستورد!، سنة ٢٠٠٠ يستورد العرب غذاء قيمته ١٢٠ مليار دولار»..

يقول المحرّر: لندخل في التفاصيل. لقد وصلت تكلفة المستوردات العربية للمنتجات الغذائية سنة ١٩٨١م إلى ٢٢,٥ مليار، أي: أنّها تضاعفت أكثر من اثنتي عشرة مرّة خلال اثني عشر عاماً.

أمّا الصادرات في العام نفسه فلم تتجاوز ٣,٥ مليار دولار، أي: أنّ العجز في الميدان الغذائي وحده بلغ ١٩ مليار دولار..

ثمّ قال المحرّر: إنّنا ننحدر عاماً بعد عام! فإنّ نسبة الاكتفاء الذاتي من الحبوب في أوائل السبعينيات كانت ٨٤٪، ثمّ هبطت في نهاية هذا العقد إلى ٦٠٪، وكانت نسبة الاكتفاء الذاتي في السكّر ٤٠٪، وفي المنتجات الحيوانية انخفضت النسبة من ٨١٪ إلى ٦٥٪، حتّى القطن الذي كان لدينا من أهمّ المحصولات الزراعية انخفضت نسبة الاكتفاء الذاتي فيه من ٢٤٠٪ إلى ١٩٠٪».

ثمّ قال: والوطن العربي يستورد ١٧٪ من صادرات القمح العالمية، و١٥٪ من صادرات الأرز العالمية، و٤٠٪ من صادرات الأغنام في العالم، و٥٣٪ من الصادرات العالمية لزيت بذرة القطن، و١٢٪ من زيت عبّاد الشمس، و١٣٪ من الألبان المجفّفة.

لِمَ هذا الاستيراد كلّه؟ ولماذا لا ينتج العرب ما يستهلكون؟ وما نتيجة اعتمادهم على غيرهم ←

← فيما يأكلون؟!
النتيجة نفهمها من قول وزير الزراعة الأمريكي سنة ١٩٧٥ م لمجلّة «دير شبيجل» الألمانية: السلطة في العالم تتركّز في موردين لا ثالث لهما، هما: النفط والغذاء، وسلطة الغذاء أشدّ قوّة! ولهذا يصبح الغذاء أخطر مكانة وأعظم أثراً في تعاملنا مع ثلثي سكّان الأرض.
ونضيف نحن أنّ الذين يملكون موارد الغذاء هم الذين يحمون موارد النفط لضمان مصالحهم.
وقد أكّد أكثر من مسؤول أمريكي أنّ الولايات المتّحدة حريصة عند تقديم مساعداتها للدول النامية على أن تكون مصحوبة بشرط تحقّق المصالح الأمريكية الثقافية والسياسية.
نقول: وكذلك المصالح الصهيونية والصليبية، فإنّ خصوم «إسرائيل» لا يجوز أن يحصلوا على دولار واحد! وكذلك خصوم التبشير الاستعماري والغزو الفكري، ليس من حقّ صاحب اليد السفلى أن يعترض على السادة في قليل أو كثير، إلّا أن يكون الاعتراض من باب التمثيل أو من قبيل الاستهلاك المحلّي.
إنّ المتخلّفين صناعياً وحضارياً ليس لهم أن يغالوا بعقائدهم وشرائعهم، ليس لهم أن يحتفظوا بمعالم شخصيتهم. يجب أن يفتحوا أبوابهم لكلّ ما هو أجنبي، وأن يتواروا خجلاً بكلّ ما هو قومي ووطني».

أسباب تخلّف الأمّة:

صنّف الشيخ الغزالي كتاباً في «سرّ تأخّر العرب والمسلمين» لا أجده أمامي الآن، ولكنّي وجدت الشيخ في كتاب آخر تحدّث بإسهاب عن أسباب انهيار الحضارة الإسلامية، وأحسب أنّها تصلح أسباباً لتأخّر الأمّة وتخلّفها.
حصر شيخنا الإمام هذه الأسباب في تسعة أساسية، نتحدّث عنها إجمالاً في ما يلي:
١ـ سوء الفهم للإسلام، وتقديم ما حقّه التأخير، وتأخير ما حقّه التقديم، وشيوع خرافات باسم الدين مثل قراءة البخاري عند الأزمات، لا اتّخاذ الأسباب وفق السنن، كما حدث في استقدام بعض المشايخ لقراءة البخاري في سفن الأسطول التركي للبركة، فعلّق بعض الظرفاء، فقال: إنّ السفن تسير بالبخار لا بالبخاري! وقبل معركة التلّ الكبير أقام أحمد عرابي باشا حفل ذكر، كي ينصره الله على الإنجليز، وكانت النتيجة أن انهزم بعد معركة
←

← استغرقت ثلث الساعة!

٢ـ وقوع الخلل الكبير في الثقافة الإسلامية التي هي الغذاء الفكري والروحي للأُمّة، والتي تصنع عقولها وأذواقها وإراداتها.

وهذا سنعرض له بتفصيل في المبحث القادم.

٣ـ جهل المسلمين بالدنيا.

وهذا ناشئ عن اختلال الثقافة. يقول الشيخ: «قد استطاع ناس كثيرون أن يعرفوا من دراسات الأرض والسماء ما جعل أيديهم باطشة وأسلحتهم فاتكة، فأين منزلة المسلمين من هؤلاء؟».

يقول الشيخ: «عندما كنت أقرأ الهجوم الفرنسي على مصر في القرن الثالث عشر للهجرة، كنت أحسّ طنيناً في دماغي؛ لكثرة ما سفك من دمائنا دون جدوى. كان الفرسان الشجعان يذوبون أمام المدافع الحديثة والذخائر الخبيئة. وكانت خبرة الفرنسيّين بالحياة وعلومها وكشوفها تساعدهم على التوغّل بقدرة، وترغم الأحرار على الفرار أو الموت الرخيص! لماذا جهلنا الحياة وبحوثها على هذا النحو؟ إنّ العلم الواسع بالدنيا والقدرة التامّة عليها كانت أُموراً بديهية عند أسلافنا».

٤ـ انتشار التفكير الجبري في العالم الإسلامي.

فالإنسان مسيّر لا مخيّر، والمرء لا حول له ولا طول، ولا قدرة ولا إرادة. ومن أين له والقدر يحرّكه ذات اليمين وذات الشمال برغمه؟!

كريشة في مهبّ الريح حائرة لا تستقرّ على حال من القلق

فالغنى والفقر، والسعادة والشقاوة، والنجاح والفشل، حظوظ مقسومة، وأنصبة مكتوبة، والمكتوب ما منه هروب! وبذلك اهتزّت الشخصية المسلمة، وسيطر عليها لون من التسليم والسلبية.

وسبب ذلك ـ فيما يرى الشيخ ـ علم الكلام، وعلم التصوّف، وبعض مفسّري القرآن، وشرّاح السنن. وانضمّ إلى ذلك ضعف الصلة بين الأسباب والمسبّبات، وانتشار فكرة الكرامات وخوارق العادات، حتّى كادت تبطل السنن الإلهية التي أقام الله عليها هذا الكون.

٥ـ تقاليد الرياء في المجتمعات الإسلامية.

→ فقد كان السلف أسلم الناس فطرة، وأصفاهم طبيعة، جعلوا الله ورضوانه غايتهم، والرسول أُسوتهم، فيما يفعلون ويتركون.
أمّا مسلموا العصور الأخيرة، فقد استحدثوا في حياتهم تقاليد كثيرة، تقوم على التكلّف والتزويق والتظاهر الزائف، وتبتعد عن فطرة الإسلام السمحة السهلة.
تأيّمت حفصة بنت عمر، لم ير الأب غضاضة في أن يفاتح صديقه أبا بكر في الزواج منها، وكذلك عثمان، بحكم عاطفة الأُبوّة.
واليوم وقبل اليوم يجيء الخطّاب للبنات، فيرفضهم الآباء، لا لشيء إلّا تحكيم تقاليد بالية، يرفض فيها من يرضى دينه وخلقه. وتغلق البيوت على عوانس كثيرات بائسات يائسات!
إنّ الربا شرك، وهذا الشرك سيطر على أعراف وعادات جعلت المسلمين يرقب بعضهم بعضاً ويتّقي، وجعلت الرجل ـ باسم كرامته أو كرامة الأُسرة التي ينحدر منها ـ يعيش طول عمره وفق أوضاع وقيود من صنع الاستعلاء والتزمّت.
إنّ الأُمّة المسلمة في القرون الأخيرة جمعت الكثير من الجاهليات في مسالكها الخاصّة والعامّة: في نفقاتها، في صداقاتها، في أحزانها وأفراحها، في علاقاتها بحكّامها، ولم تكن تفسيراً عملياً لأحكام الإسلام وحدوده، وفطرته وسماحته.
٦ـ وضع المرأة في عصور الضعف.
منعت المرأة من التعلّم بناءً على حديث مكذوب: «لا تعلموهنّ الكتاب»، وآخر واهٍ جدّاً: «ألّا ترى رجلاً، ولا يراها رجل».
وحرمت من الذهاب إلى المسجد بناءً على مرويات مكذوبة أُخر، تخالف المتواتر والصحيح من السنن، فأقفرت منهنّ بيوت الله، وانقطعت من التوجيه الديني، فلا قرآن و لاحديث ولا فقه.. وبذلك أصبحت المرأة المسلمة دون غيرها من نساء العالم أقلّ ارتباطاً بالدين واتّصالاً بالمجتمع، فاضطرب حبل التربية في العالم الإسلامي اضطرابا شديداً.
٧ـ ذبول وضعف الأدب العربي.
فعندما ضعف المسلمون أصاب ملكاتهم الأدبية ضمور شائن، فانحطّ الشعر والنثر، وقلّ الأُدباء المصوّرون، كما قلّ المؤلّفون والمفكّرون. ونظرة إلى الأدب ورجاله منذ القرن السادس تجعلنا نشعر بهذه الحقيقة، وانكمش الأدب شعراً ونثراً انكماشاً يثير الاشمئزاز.
←

٨ ـ السياسة المالية في المجتمع.

فقد اضطربت السياسة المالية، وساء تداولها في المجتمع الإسلامي، ونشأ عن ذلك فقر مدقع وترف مفسد. ورغم أنّ الإسلام هو أوّل من سيّر الجيوش لأخذ حقوق الفقراء من الأغنياء الباخلين، فإنّ أغلب الحكّام لم يهتمّ بهذا الجانب، وتعرّضت جماهير الفقراء لضيم كبير. كما انتشرت الرشوة ـ وخصوصاً بين الكبار ـ برغم لعن النبي ﷺ للراشي والمرتشي، وانتشرت البطالة الصريحة والمقنّعة، وامتلأ العالم الإسلامي بالطاعمين الكاسين من فضول أموال، لا يدري كيف نبتت أصولها. وقد تحدّثنا عن هذا الموضوع في مبحث خاصّ.

٩ ـ الفساد السياسي.

ففي الحديث: «إذا وسّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»، وما وسّد الأمر إلى أهله، وما حاول الذين وسّد إليهم الأمر أن يرتفعوا إلى مستواه، ولا قنعوا مادّياً وأدبياً بالعيش في نطاقه المحدود.

أُهملت الشورى في الحكم، مع أنّ الإسلام قرّر أنّ المجتمع يقوم على التناصح، والتواصي بالحقّ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتعاون على الخير، ورفض الإعجاب بالرأي، والافتيات على الجماعة. كما بدا العجز الإداري للدولة عجزاً فاضحاً، وفقدت الأجهزة المسؤولة عن الدعوة في الداخل والخارج، فلم يحدث أن انعقد مؤتمر يبحث عن أسباب سقوط القدس أو بغداد أو الأندلس، ويأخذ العبرة منها للمستقبل. ومع الغفلة عاشت داخل الكيان الإسلامي فرق دينية أبطنت الخيانة والمروق، وظلّت تنتظر الفرصة لضرب الإسلام وطعن الأُمّة في ظهرها، وقد تحرّكت هذه في زحف الاستعمار، وكانت له عوناً على الأُمّة الغافلة.

طريق الأُمّة للخروج من التخلّف:

يرى شيخنا أنّ طرد المسلمين من أماكن القيادة العالمية لم يكن ظلماً نزل بهم، بل كان العدل الإلهي مع قوم نسوا رسالتهم وحطّوا مكانتها وشابوا معدنها بركام هائل من الأهواء والأوهام في مجالي العلم والعمل على سواء: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ * كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥١ـ٥٢].

ولم يكن أعداء الإسلام نياماً! لقد انتهزوا الفرصة، وبلغوا ما بلغوا! !
وأُحبّ أن أُحدّد الأوضاع السليمة لعلاقتنا بديننا، كما أُحبّ أن أُحدّد الأوضاع السليمة لعلاقتنا بدنيا الناس.
إنّ أُولي الألباب يرفضون أن تكون العودة إلى الإسلام عودة إلى الأيّام العجاف من تاريخه، ويرفضون أن تكون هذه العودة امتداداً لتعصّب في فقه الفروع، ينصر مذهباً على مذهب أو قولاً على قول، مع تجاهل الآثار الاجتماعية لهذا التجميد.
إنّ الإسلام دين مضبوط الأُصول محكّم الشرائع، ولا نقبل أن يعبث به المعلولون ووعّاظ السلاطين هواة الاستبداد السياسي!
أمّا صلتنا بالدنيا فيجب أن تتّسع دائرتها إلى أبعد الحدود، وأن نهجر أخطاءنا إلى صواب غيرنا، وألّا نستحي من التعلّم والاقتباس، وأن نحثّ الخطىٰ إلى الأحسن حيث كان في شرق أو غرب..
وفي ميدان الوسائل المرنة للأهداف الثابتة أرى أنّ خدمة مبدأ الشورى بالوسائل الغربية أفضل من خدمته بالوسائل العربية..
أمّا في ميادين الزراعة والصناعة فإنّ تخلّفنا الواضح يفرض علينا أن نكون متلقين، وأن نطلب هذه العلوم من الغرب أو الشرق على سواء..
ومحمّد علي باشا ـ رأس الأُسرة المالكة السابقة ـ لم يخطئ حين أرسل البعوث إلى أُروبا لنقل تفوّقها الصناعي والعلمي، وإنّما أخطأ أفحش الخطأ حين جعل ذلك لخدمة أطماعه في إقامة دولة علوية، يملك فيها مصر هو وأُسرته من بعده. كما أخطأ حين تجاهل الإسلام، ورنا ببصره إلى فرنسا ينقل منها التشريع والقوانين والتقاليد..
وخطيئة محمّد علي باشا تبعه فيها زعماء معاصرون يدّعون التقدّمية، وأُدباء صحافيّون من أمثال طه حسين، ورؤساء ثورات عسكرية ظاهرها التحرّر، وباطنها التبعية الكافرة للغرب الصليبي أو الشرق الشيوعي..
من قال: إنّ تصحيح أخطائنا المدنية يتطلّب ترك الإسلام؟ إنّ هذا منطق العاملين لمصلحة إحدى المعسكريين الكبيرين، وليس منطق العاملين لأُمّتهم بأيّ حال..
نحن نرفض استيراد الإلحاد والتحلّل باسم استيراد العلم والمدنية! ما علاقة هذا بذلك؟!

← جهدنا يتوزّع على جبهتين متوازيتين: إحداهما تقوم على تصحيح الوعي الديني، والأُخرى تنعشنا من الإغماءة الطويلة التي غبنا فيها عن الدنيا، فبقينا في موضعنا وغزا غيرنا الكواكب..

وأعرف أنّ الغزو الثقافي سوف يحاول مخادعتنا عن عقائدها وشرائعنا، وربّما ظنّ أنّه يبيعنا تقدّمه الصناعي باستلاب تراثنا كلّه، وتحويل المسلمين إلى شعوب باحثة عن الطعام والجنس، زاهدة في الوحي الذي شرّفها الله به، ودون هذا الموت!

وقد وضع الأُستاذ خلدون حمادة أربعة شروط للاستفادة من الحضارة الغربية، وهي:

١ـ يجب أن يتمّ الاقتباس بشكل إرادي واعٍ وظمن ا طار اصول الشرع الحنيف، وعن طريق الانتقاء لما يلائمنا، فنأخذ ما نراه أوفق لناً وندع غيره، ونضع ما نقتبسه في مكانه الصحيح من حياتنا.

٢ـ ولنعلم أنّ الاقتباس يتمّ لمصلحة المقتبس لا لترسيخ قدم المقتبس عنه، وتمكينه من أعناقنا، كما يأمل الاستعمار الثقافي.

٣ـ أن يقع ذلك على جرعات متراخية ونظام رتيب ييسّر النفع ويمنع الأزمات الحضارية والاختناقات الاجتماعية، وعقد النقص التي قد تعتري المقتبسين.

٤ـ ولا بأس بين الحين والحين أن نراجع ما نقلنا وما أفدنا، وأن نحسب مدى الربح والخسارة في هذا التلاقي الحضاري، وذلك على ضوء ما نقدّس من كتاب ربّنا وسنّة نبيّنا.

لقد سبقتنا اليابان إلى هذا اللون من الاقتباس ونجحت، واستطاع الشيوعيّون أن يستفيدوا من العلم الغربي، مع بقائهم أعداءً للرأسمالية الغربية، واستطاع الأُوربيّون في العصور الوسطى أن يأخذوا العلم عن آبائنا، فأخذوا كلّ شيء، ونقلوا إلى بلادهم مكتبات ملأى بنفائسنا، وأحسنوا الانتقال إلى عصر الإحياء، ثمّ استداروا إلينا ليستعبدونا!

ونحن يجب أن ندفع ضريبة تكاسلنا، وما يفكّر في الانتحار الأدبي إلّا أحمق.

والناس تقسّم طلّاب الإصلاح والتغيير في عصرنا إلى قسمين: المحافظين على القديم، والمتطلّعين إلى الجديد. وهذه قسمة ساذجة، وقبل أن نعترف بها نريد أن نسأل المحافظين: ما الذي تحتفظون به؟ ما كلّ قديم يستحقّ البقاء! ونسأل المتطلّعين إلى الجديد: ما الذي تريدون اقتباسه أو نقله؟ فما كلّ جديد يستحقّ الاحترام!

←

وقد وصف الشيخ الغزالي هذه المراكز بقوله:

«وقريب من عمل هذه المعاهد الأجنبيّة عمل المدارس المدنيّة التي تضع مناهج مبتورة الأواصر بالدين واللغة، أي؛ بالإسلام والعروبة. ويبدو أنّ الاستعمار الأُوربي يريد تكوين شعوب على درجة كبيرة من الأُميّة العقليّة والاجتماعيّة، وعلى درجة أكبر من الأُميّة الدينيّة والتاريخيّة! ومن ثمّ فهو يريد القضاء على سياسة التعليم في كثير من البلاد التي وقعت في قبضته؛ حتّى يشبّ أبناؤها غرباء عن بيئتهم وتأريخهم»(١).

آراؤه في العقائد

السيادة للّه

يرى الغزالي ـ مثلما يرى المفكّر المصري المجاهد سيّد قطب ـ أنّ للّه تعالى حقّ السيادة، خلافاً لما تذهب إليه الديمقراطيّة الغربيّة من القول: بأنّ السيادة حقّ من حقوق الشعب(٢).

وهو يقول في هذا المعنى:

«الدين الإسلامي هبة من الله لجميع بني الإنسان؛ إذ أنّه نظام عالمي، والمَلِك الوحيد فيه هو الله، ولا فرق بين عربي وغيره، وأرضه تحكمها الإرادة

← إنّ ولاء المسلم لشيء واحد، هو الوحي الأعلى، أمّا ما ألقاه الشيطان في هذا الوحي فهو دبر آذاننا وتحت أقدامنا، وسيتحقّق فيه الوعيد الإلهي: ﴿فَيَنْسِخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجّ: ٥٢]، وكذلك ما استحدثه فلاسفة المذاهب الحديثة وزاحموا به الإسلام في دياره، منتهزين غفلة أهله، وجمود فقهائه، وزيغ ساسته. إن هذا كلّه لا قيمة له، ولا يصرفنا عن كتاب ربّنا وسنّة نبيّنا. (الشيخ الغزالي كما عرفته: ٢٣٣ ـ ٢٤٩).

(١) ظلام من الغرب: ١١٢.

(٢) كما ذهب إلى ذلك جان جاك روسو وغيره من الفلاسفة. لاحظ موسوعة السياسة ٣: ٣٥٧.

الإلهيّة لا غير، والحقوق المفوّضة فيه من الله مصدر للقضاء والتشريع، وكلّ المؤمنين فيه متساوون في الحقوق، ولا ظلم فيه ولا سلطان مطلق»[١].

ضرورة التحوّل الثقافي

كان الغزالي يرى ضرورة التحوّل الثقافي في العالم الإسلامي أكثر من أيّ شيء آخر. وعلى الرغم من ماضيه المشرق في العمل السياسي، كان يعقد كثيراً من الآمال على زوال النواقص الداخلية التي تعتور[٢] معرفة الحقائق الدينيّة، وكان يؤمن بأنّه في حالة عدم المبادرة إلى خلق فكر وثقافة إسلاميّة حيّة وفاعلة، فلن تكون هناك مقدرة على صدّ الهجوم السياسي والثقافي العالمي[*].

---

(١) رويا رويي مسلكها وجنبشهاي سياسي در خاور ميانه عربي تا سال ١٩٦٧م. (المواجهة فيما بين الأحزاب والحركات السياسيّة في الشرق الأوسط العربي حتّى عام ١٩٦٧م): ٥٥.

(٢) تعتور: تتداول. (صحاح اللغة ٢: ٧٦٢).

(*) عنى الشيخ الغزالي بالصحوة الإسلاميّة، ويُعدّ واحداً من أبرز آبائها، إن لم يكن أبرزهم.. عنى ببعثها، كما عنى بترشيدها، حتّى لا تهدم من الداخل، أو تضرب من الخارج، وكتبه الأخيرة تكاد تدور حول هذا المحور.

من هذه الكتب:

- دستور الوحدة الثقافية للمسلمين.
- مشكلات في طريق الحياة الإسلاميّة.
- هموم داعية.
- علل وأدوية.
- جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج.
- الدعوة الإسلاميّة تستقبل قرنها الخامس عشر.
- الغزو الثقافي يمتدّ في فراغنا.

←

→ ـ مستقبل الإسلام خارج أرضه.

ـ الطريق من هنا.

ـ الحقّ المرّ.

ـ السنّة بين أهل الفقه وأهل الحديث.

وهذه الكتب امتداد لكتبه القديمة الناقدة للتديّن المعلول، مثل: «تأمّلات في الدين والحياة»، و: «ليس من الإسلام»، و: «ركائز الإيمان بين العقل والقلب».

وهو يريد للأُمّة أن تلتفّ حول هذه الصحوة، لا أن تتفرّج عليها، فهي منها ولها.

معالم لترشيد الصحوة:

يقول في أحد كتبه راسماً بعض المعالم الرئيسيّة للصحوة المرجوّة:

«إنّ العالم الإسلامي لا يبيع دينه، ويؤثر أن يهلك دونه. ولا يغضّ من موقفه نفر شذّاذ من الخونة والجبناء، فقدوا الدين والشرف، ونشدوا العيش على أيّ حاجة، وبأيّ ثمن!

ولكي نحسن الوقوف أمام عدوّ الله وعدوّنا يجب أن تتوافر لجبهتنا العناصر الآتية:

أوّلاً: يعود الولاء للإسلام ويستعلن الانتماء إليه، وفي حرب تعلن علينا باسم الدين لا مجال لإطفائها بالتنكّر لديننا!

لماذا يتقرّر إبعاده عن المعركة؟ ولحساب من؟ إنّ رفض الإسلام في هذه الساعة هو الانتحار وطريق الدمار، بل هو هدف الاستعمار بعينه.

ثانياً: الولاء الشكلي للإسلام مخادعة مرفوضة، ومن المستحيل أن نرتبط روحيّاً ومنهجيّاً بالماركسيّة أو بالصليبيّة، وفي الوقت نفسه ندّعي الإسلام.

يجب أن تعود الروح لعقائدنا وشعائرنا وشرائعنا، والمسلم الذي يستحي من الصلاة بينما يستعلن اليهودي بصلاته في أرقى العواصم لا يمكن عدّه مسلماً! ولن ننال ذرّة من عناية الله إذا اتّخذنا الدين لهواً ولعباً..

ثالثاً: اقصاء العلماء المداهنون الذين يحرقون البخور بين أيدي الساسة المنحرفين، ويزيّنون لهم مجونهم ونكوصهم..

والعلماء الذين يشغلون الناس نظرية بقضايا عفى عليها الزمن، أو خلافات فرعية لا يجوز أن ←

← تصدع الشمل أو تمزّق الأهل..
والعلماء الذين يظلمون الإسلام بسوء الفهم، ويرونه في سياسة الحكم والملل ظهيراً للاستبداد والاستغلال وإضاعة حقوق الشعوب.
إن المسلمين في المشارق والمغارب مهيّئون ليقظة عامّة تحمي كيانهم وتستبقي إسلامهم.
وهم كارهون أشدّ الكره لأن تكون الأحوال المعاصرة صورة طبق الأصل لما كان عليه المسلمون قبل الغزو الصليبي في العصور الوسطى.
أطلب من عباد الله الصالحين أن يصغوا السمع للنذير، قبل أن يأخذنا الطوفان، فإنّ الأقدار تقتصّ من المستضعفين المفرّطين، كما تقتصّ من المحرمين المعتدين.
وينبغي أن نزيد الأُمور وضوحاً فيما يفعل اليهود، وفيما يراد منّا فعله، فإنّ مسافة الخلف واسعة بين الموقفين.
لقد تأمّلت في الأحداث المثيرة التي وقعت، فوجدت أنّ الذي أضرم النار في المسجد الأقصى من بضع سنين يهودي أُسترالي، وأنّ الذي أطلق الرصاص على المصلّين فقتل وجرح عشرات وصوّب طلقاته على قبّة الصخرة فكاد يهدّها يهودي أمريكي!
إنّ الأُخوّة الدينية جمعت بين الأُستراليّين والأمريكيّين لدعم «إسرائيل» وحمايتها، وكذلك جمعت هذه الأُخوّة بين شرقي أُوربا وغربيّها، وبين اليهود العرب في أفريقية وآسيا! وعدّ أُولئك كلّهم أولاد الأنبياء، ونسل يعقوب المبارك!
والعالم المتحضّر لا يرى في هذا الرباط شيئاً ينكر.. الشيء الذي ينكر حقّاً هو الإخاء الديني بين المسلمين وحدهم، وتحوّل هذا الإخاء إلى سياج يحمي عرب فلسطين من المعتدين عليهم!!
ومن ثمّ كانت قضية فلسطين عنصرية لا دينية، كما يصوّرها لنا الخادعون المخدوعون!
والوجود اليهودي في فلسطين المحتلّة لا يجوز أن يستغربه العرب، لماذا لا يكون إحساسهم به على أنّه واقع طبيعي لابدّ منه؟ ونتساءل: هل الوجود العربي إلى جوار اليهود له أيّ احترام في توراة اليهود وتلمودهم؟ إنّ إسرائيل من الفرات إلى النيل، ومن دمشق إلى المدينة! وبلوغ الهدف يتمّ خطوة خطوة عند قوم يستغلّون الزمن، ويحسنون التريّث، ويعرفون متى يضربون!

←

← وهدف الاعداء هو تنويم الأُمّة المثخنة من الداخل والخارج، حتّى يتمّ الإجهاز الكامل عليها.

إنّ المأساة المقلقة وقوع الغارة اليهودية، ومن قبلها الغارة الصليبية في أيّام نحسات من تاريخنا المديد! فالعلم بالدين سيّئ، والعمل به أسوأ، وقد استطاع الاستعمار الثقافي خلق جيل مهزوز الإيمان والفقه، ضعيف الثقة بنفسه وأُمّته، فهو يعطي الدنية في دينه ودنياه، غير شاعر بأُولاه وعقباه.

إنّنا بحاجة إلى صحوة عامّة تتناول أوضاعنا كلّها، حتّى نحسن الدفاع عن وجودنا ورسالتنا في عالم لا تسمع فيه إلّا عواء الأقوياء».

الدفاع عن الرموز والأعلام:

ومن ميادين إصلاح الصحوة وترشيدها لدى الشيخ الغزالي: العمل على تجميع الجبهة الإسلامية، وتقريب بعضها من بعض، وضمّ جهودها للتشييد لا للتقويض، والوقوف في وجه الكيد الصهيوني والمكر الصليبي والتخريب العلماني.

إنّه يأسف أشدّ الأسف حين يرى الجبهة الإسلامية يناوش بعضها بعضاً، أو يكيد بعضها لبعض، أو تحاول فئة منها هدم غيرها لبناء نفسها على أُنقاض الآخرين.

وهو يأسى كلّ الأسى إذا وجد بعض الصغار يتطاولون على الكبار، ويحرصون على هدم القمم وتشويه الرموز في تاريخ الأُمّة وتراثها الفكري.

دفاع عن الإمام الغزالي:

ولكم تملّكه الغضب والحزن حين بلغه أنّ رجلاً قام يلقي محاضرة في إحدى الجمعيات عنوانها: «أبو حامد الغزالي الكافر»!

يقول الشيخ: «فزعت لشناعة التهمة الموجّهة إلى إمام ضخم من قادة الفكر الإسلامي.لقد كان أبو حامد عالماً أديباً، وفقيها أُصولياً، ومربّياً فيلسوفاً.

وهو أذكى من أرسطو وأفلاطون وسقراط، الذين تشمخ بهم اليونان، وتعتزّ بهم أُوربا. لماذا يقوم امرؤ بتكفيره؟

←

← وإذا كانت للرجل أخطاء في الأحاديث النبوية، فقد استدركت عليه من أصحاب هذا الفنّ، ليتيسّر ـ بعد ذلك ـ الانتفاع بعلمه الغزير.
ويوم طغت الفلسفة اليونانيّة على العقل الإسلامي اجتاحها أبو حامد بكتابه: «تهافت الفلاسفة» ليعيد إلى الأُصول الإسلامية مكانتها. ويوم استهلك الترف أُمّتنا، حكومات وشعوباً، وأعاقها عن رسالتها الكبرى، عمل على «إحياء علوم الدين».
هذه العلوم كانت تحتضر، وكان المسلمون قد فقدوا جدارتهم بالحياة، فعندما هجم الصليبيّون على الشام واستباحوا بيت المقدس لم يكن في مواجهتهم أحد.
إنّ هؤلاء الصليبيّين الزاحفين لو قاومهم جيش من الكلاب لهزمهم، فقد كانوا يجرّون أقدامهم جرّاً من الإعياء والمجاعة، ولكنّهم لم يجدوا أمامهم أحداً! أين كنّا؟
واجتهد الغزالي في الإحياء، وقد وقع في أخطاء شتّى، بيد أنّ الكتاب من أخصب المؤلّفات في شرح آفات النفوس، وتقويم الطباع البشرية، واقتياد البشر إلى ربّهم تبارك اسمه، فهل جزاء الرجل ـ بعد ذلك ـ أن يتّهم بالكفر؟!
إنّ المسارعة في التكفير دأب الرعاع والحمقىٰ! وهناك علماء مبرّزون في ميدان ومقصّرون في ميدان آخر يعطون أنفسهم حقّ إصدار أحكام علمية وتاريخية في كلا الميدانين، وهم يعينون الجهلة على تكوين أفكار منحرفة ضدّ رجال أبرياء.
ولو اتّجهنا إلى البناء بدل الهدم وإلى الإنصاف بدل الحيف لكنّا أهدى سبيلاً».
إنّ الشيخ يؤلمه ويحزنه ما يراه من تفرّق العاملين للإسلام، وتشتّت الجبهة الإسلامية، في حين أنّ خصومهم المهاجمين لرسالتهم من دعاة اليمين واليسار متفاهمون على الغاية المنشودة، متعاونون في الطريق الطويل، يقيم بعضهم بعضاً إذا كبا، ويغطيه إذا تعرّى، ومع أنّ للكثير منهم أخطاء مذلّة فقلّما تجد من يتّتبعها، وقد وزّعوا الأدوار بينهم، ومشوا إلى هدفهم متساندين.
أمّا الإسلاميّون فما بينهم متقطّع، وإذا تصالح ندامى الحان، وتشاكس إخوان المسجد، فستنكسر المئذنة، ويستوْلي السكارى على المحراب!
يقول الشيخ:
«اطّلعت أمس على مجلّة أُحبّها، فقرأت فيها لمزاً للأديب الحرّ المصلح عبدالرحمٰن ←

← الكواكبي، وتفسيقاً لرجلين من بناة النهضة الإسلامية الحديثة.. وأنا أحد تلامذة «المنار» وشيخها محمّد رشيد، وأستاذه الشيخ محمّد عبده.

وأنا أعرف أنّ المتنبّي ـ غفر الله له ـ كان يحبّ المال إلى حدّ البخل! ويحبّ الإمارة إلى حدّ الهوس ومع ذلك أطرب لشعره، وأستجيده وأستزيده، وإذا لم يكن أمير الشعراء العرب فهو من قممهم.

إنّني لا أجعل عيباً ما يغطّي مواهب العبقري، ثمّ لحساب من أهدم تاريخنا الأدبي والديني؟!

ولمصلحة من أشتم اليوم علماء لهم في خدمة الإسلام وكبت أعدائه كفاح مقدور؟!

ومن يبقى من رجالنا إذا أخذت تاريخ الشيخين أبي بكر وعمر من أفواه غلاة الشيعة، وتاريخ علي بن أبي طالب من أفواه الخوراج، وتاريخ أبي حنيفة من أفواه الإخباريّين، وتاريخ ابن تيمية من ابن بطّوطة وابن فلان، وتاريخ محمّد بن عبدالوهاب من أفواه الأتراك... إلخ؟!

وددت لو أعنت على محاكاة أبي حامد الغزالي مؤلّف «إلجام العوام عن علم الكلام»، فألّف كتاباً عنوانه: «إلجام الرعاع والأغمار عن دقائق الفقه ومشكل الآثار» لأمنع الصغار عن مناوشة الكبار، وأشغلهم بما يصلحون له من أعمال تناسب مستوياتهم، وتنفع أممهم بهم».

وجهة نظر في أقدار الرجال:

أكره التعصّب المذهبي، وأراه ضيق عقل وقلّة علم، أو ضيق خلق وقلّة مروءة.

وأستحبّ التقليد المذهبي للعامّة وأشباههم، وللأخصائيّين في علوم الكون والحياة وشؤون الدنيا، حتّى لا تشغلهم الفضول عن الأُصول، وأعني بالأُصول: ما توفّروا عليه من مهارات فنّية وحيوية مدنية أو عسكرية لابدّ منه لدعم أجهزة الجهاد ورفع كفايتها، فإنّ مصاب المسلمين في هذه الميادين فادح أو فاضح.

أمّا المشتغلون بعلوم الدين التقليدية فلا بأس أن يوازنوا بين وجهات النظر المختلفة، ويرجّحوا دليلاً على دليل ومذهباً على مذهب.

مع إكنان الاحترام للرجال الذين قادوا ثقافتنا القديمة. وليس هذا تفضّلاً عليهم نتطوّع به، بل هو أدب ننزل به على قول رسولنا الكريم ﷺ: «ليس منّا من لم يوقّر كبيرنا، ويرحم ←

← صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقّه».
واحترامي لك لايعني بتاتاً أن أُسلّم بكلّ ما تقول، وتخطئتي لإنسان ما لا تعني أبداً أنّي أفضل منه، إنّ حقيقة الفضل لايعلمها إلّا الله، والأئمّة الراسخون قد تقع منهم هنات، وما يهدم ذلك مكانة حصّلوها بالسهر والإخلاص والدأب والتفاني.

مع محمّد عبده:

وقد نبتت في عصرنا هذا نابتة سوء تغمز الأكابر بما تراه مأخذاً عليها، وتتعامى عن كلّ ما لهم من حسنات.
فمن من عباقرة الأرض رزق العصمة؟ ذاك لو سلّمنا بأنّ ما ذكروا مأخذ.. أقول ذلك لمناسبة ما قرأت من تهجّم على الشيخ محمّد عبده، وهو أحد روّاد الإصلاح الحديث، وروح الفقه المتجدّد في مدرسة المنار.
أوّل ما عرفت الشيخ في كتابه: «رسالة التوحيد»، وهو عرض جديد لعلم الكلام، ردم الفجوة بين السلف والخلف، وشرح العقائد شرحاً يمزج بين العقل والنقل، وتجاوز الترف العقلي والجدل اللفظي ومنهج المتون والشروح، وقدّم أصول الإسلام تقدمة دقيقة جيّدة.
ثمّ قرأت كتابه عن «الإسلام والعلم» الذي ردّ به على وزير خارجية فرنسا، فرأيت رجلاً عليماً بالإسلام وتاريخه وفضله على الحضارة الإنسانية، عليماً في الوقت نفسه بالنصرانية والهندوكية وتاريخهما وما يكتنفه من غموض.
وقد ألّف الكتاب في ليلة واحدة لشدّة غضبه من الهجوم الفرنسي، وملأه بالوثائق التي تشرّف الحقّ وتخزي الباطل.
مَنْ مِنْ علماء المسلمين في عهده تحرّك بهذه العاطفة وردّ بهذا القوة؟
ثمّ قرأت تفسيره للقرآن الكريم، ووجدت بواكير التفسير الموضوعي للسورة فيما كتب، اهتدى إليها ذهن لمّاح مستوعب، وبصر حديد في إدراك الخيوط التي تشدّ أجزاء السورة، كما تشدّ الأعصاب أجزاء الكائن الحي.
ويمكن عند متابعة المنار أن يعرف فضل الرجل في تجلية المعنى والحكمة ودفع الشبهات ودعم اليقين.

←

→ قال صديق: لا تنس أنّ الرجل ـ من الناحية العلمية ـ متّهم بتجاوز أحاديث صحاح، وهو اتّهام ـ لو صحّ ـ يسيء إلى مكانته! قلت: نعم، إنّ الذين يرفضون السنّة النبوية مصدراً للتشريع بعد القرآن الكريم أقرب إلى الكفر منهم إلى الإيمان، وإذا كان رفضهم للمتواتر والآحاد جميعاً فهم كافرون يقيناً.. بيد أنّ هنا خلطاً مزعجاً ينبغي كشفه، فإنّ جماهير أهل العلم تعترف بالسنّة جملة، ويقوم لديها بعدئذٍ من الأسباب الوجيهة ما تردّ به حديثاً من مرويات الآحاد.

والذين يفعلون ذلك لا يسمّون مكذّبين بالسنّة، فإنّ ردّهم لهذا الحديث إنّما وقع لأنّهم يستبعدونه من السنّة المطهّرة، كأنّهم يقولون عنه: هو موضوع، أو فاقد لشرط من شروط القبول المقرّرة.

وخصوم محمّد عبده يكادون يتّهمونه بالزيغ؛ لأنّه رفض حديث سحر الرسول ﷺ، مع أنّه رفضه تعلّقاً بظاهر القرآن الكريم وإعلاءً لقدر المصطفى.

وأخلص من هذا التطويل إلى أنّ اتّهام الرجل برفض السنّة كلّها ـ لأنّه اعترض أثراً محدّداً ـ جور شديد، ومدرسة المنار شديدة الاحترام للسنّة، ولكن القرآن عندها الدليل المقدّم، ومن يعترض هذا؟

قال الصديق: في كلامك وجهة نظر قد تقبل، لكن ما لايقبل تطويع القرآن لنظريات علمية أو مفاهيم حديثة، إنّ تفسير الشيخ للملائكة وللطير الأبابيل لا مساغ له!

قلت: قد يكون تطرّف في تقريب المعاني من أذهان المعاصرين، ولست ممّن يرتضون هذا المنهج، غير أنّي أتساءل: لماذا يحسب عليه ذلك، ولا يحسب له تفسيره القيّم النقي لآيات سورة الأحزاب في زواج بنت جحش، وتفسيره الرائع لآيات سورة الحجّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ آيَاتِهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجّ: 52]؟!

إنّ الرجل دمّر خرافة الغرانيق التي وجدت لها أسانيد عند بعض المحدّثين الكبار، وذاد عن السيرة الشريفة أوهاماً تعكّر صفاءها، وبدا من أُسلوبه في الاستدلال أنّه استدرك على بعض المحدّثين اهتمامهم بالسند وذهولهم عن المتن، وأنّه رفض تقوية الفرع على حساب توهين الأصل.

←

← والواقع أنّه لا يردّ أوهام المستشرقين ولا يصدّ مفتريات المبشرين إلّا فكر على هـذا الغرار، فهل ذلك عيبه؟!

صحيح أنّ الجانب السياسي في حياة الرجل موضع أخذ وردّ، وأعرف أنّه كان فـي وضـع لا يحسد عليه بين محتلّ غاشم وقصر خائن. وليست لي دراسة مفصّلة لهذا الجانب، وإنّما أعلم أنّ دواعي التزكية والترجيح والإهانة والتجريح طيّعة لمن أراد المدح والقدح، والمصير إلى الله الخبير بالنيّات، وإنّما عناني فقط الجانب العلمي الذي يعني المسلمين كـلّهم، وله بحاضر المسلمين ومستقبلهم علاقة وثيقة.

مع جمال الدين الأفغاني:

وأذكر في سطور قلائل رأيي في جمال الدين الأفغاني، لوددت أن يكون علماء الدين على صفته في عزّة النفس وشموخ الأنف والتوكّل على الله.

عندما ذهب إلى الآستانة طلب منه السلطان عبدالحميد أن يدع مهاجمة شاه إيران، وأنصت جمال الدين دون أن يردّ، فلمّا طال إلحاح السلطان عليه قال منهياً الحديث: قد عفوت عنه! وشده السلطان، وذعرت الحاشية! قد عفوت عنه؟ العهد بعلماء الدين أن يكونوا مدفوعين بالباب ينتظرون الجدا، ويشكرون الندى. فما بال هذا الرجل يـناصي المـلوك ويـحاكـم أخطاءهم؟!

قال المؤرخّون: ما كان جمال الدين يرى نفسه دون الخليفة.

هل هذا السمو خلق عميل للماسونية كما يقال؟! إنّه خلق متوكّل وثيق الصلة بربّه، راسخ القدم في دينه، وما سمعت قبله ولا في عصره من كشف أحقاد الصـليبية العـالمية، وألّب الجماهير ضدّها، وشنّ الغارات شعواء على المستبدين والظلمة، ونفخ من أنفته في الشعوب الراكدة المستعبدة يحضّها على العمل لدينها ودنياها.. إنّ الرجل وحده كان صاحب هـذا الصوت، ويظهر أنّ تلك كانت جريمته!

قالوا: كان منتسباً لأحد المحافل الماسونية، ولا أنفي هذا، وإنّما أسأل: في أيّ كتاب إسلامي شرحت آثام الماسونية وحذّر المسلمون منها قبل عصر الأفغاني؟

إنّه خدع بكلمات الإخاء والحرّية والمساواة، كما خدعت أُمّتنا اليوم في المؤسّسات العالمية ←

← الكثيرة. والمهمّ أنّه منذ ظهر إلى أن مات عليلاً أو قتيلاً لم يؤثر عنه إلّا العمل على استنهاض المسلمين وإحياء جامعتهم وحضارتهم ورسالتهم، وذاك حسبه من الشرف.
أذكر أنّ «بابا روما» الأسبق مات عقب مرض ألّم به، فألّف طبيبه الخاصّ رسالة لا أدري ما فيها عن حياته الخاصّة، فصودرت الرسالة، وفصل الطبيب من النقابة، وانتهت حياته الاجتماعية!
وقد أُلّفت عشرات الكتب عن «نابليون»، تنوّه بأمجاده، وتتواصى بالسكوت عن غدره وشذوذه وخسّته!
القوم إن رأوا من عظمائهم خيراً أذاعوه، وإن رأوا شرّاً دفنوه! أمّا نحن فمبدعون في تضخيم الآفات إن وجدت، واختلاقها إن لم يكن لها وجود، والنتيجة أنّه لن يكون لنا تاريخ!
والعجيب أنّ غلاة الإسلاميّين اتّفقوا في موقفهم من الأفغاني مع غلاة العلمانيّين، على بعد ما بين الفريقين في المفاهيم والأهداف والمواقف!
فالدكتور لويس عوض ـ وهو نصراني الديانة غربي الثقافة علماني التوجه ـ يصبّ جام غضبه على جمال الدين، ويصفه بكلّ موبقة، فهو عنده «مغامر مجهول، كافر مجنون، مخاطر مغمور، زنديق مخبول، ملحد مأجور، أفّاك دسّاس، دجّال متلوّن... إلخ»!
وقد كتب الأُستاذان أحمد بهجت وسامح كريم في الأهرام ١٩٨٣/٨/٢٩ تعليقات على طريقة لويس عوض في البحث والحكم، وبيّنا أنّ الرجل كان يرجع إلى تقارير المخابرات الدولية، ويستقي من مصادر لا تعرف بالنزاهة والصدق. كما بيّن الأُستاذ الدكتور جابر قميحة أنّ «لويس» كان قاصر البحث غائب المنهج.
والدكتور لويس ـ كما يقول الغزالي ـ يرى أنّ المعلّم يعقوب الذي خان مصر وانضمّ إلى الحملة الفرنسية هو زعيم قومي عظيم القدر! وأنّ جمال الدين موقظ الشرق الإسلامي في العصر الحديث جاسوس ملحد!
ولا عجب في موقف الدكتور، إنّما العجب في موقف الذين تلاقوا معه من المتديّنين في ضرب رجل الإسلام، والجنون فنون!!
إنّ تشويه الرموز الإسلامية وتحطيم الأعلام وتدمير القمم عملٌ لا يستفيد منه غير أعداء الإسلام وخصوم المسلمين. وهو للأسف ما أصبح هواية لبعض المنتمين إلى الدين!
←

يقول في هذا المجال:

«أعتقد بأنّه حتّى لو انهارت الحضارة الشيوعيّة الشرقيّة والحضارة الصليبيّة الغربيّة، أو لنقل بعبارة أدقّ: لو انتحرتا، فلن تنحلّ عقدة من مشاكل العالم الإسلامي؛ وذلك لأنّ مصائبنا نابعة من داخلنا، وليست كلّها ناجمة من أسباب خارجيّة. هناك بطبيعة الحال ضغوط خارجيّة، ولكن ينبغي فهم العامل الأساسي للمصائب، والبحث عن مكوّناتها الداخليّة. فاليهوديّة والمسيحيّة قد تلاحمتا الآن بعد قرون من الصراع والتناحر، ولكن الأُمّة الإسلاميّة تُجرّ الآن في كلّ اتّجاه، وتظهر فيها كلّ يوم قضيّة مثيرة للخلاف، تارةً على شكل فرق ومذاهب، أو قد

← لقد زرت المملكة العربية السعودية في العام الماضي، فوجدت أمراً رابني وساءني: مجموعة من الكتب تتّهم العلماء والدعاة، وتوسعهم سبّاً وقذفاً. صنّف هذه الكتب بعض الأُخوة الغلاة ممّن ينسبون أنفسهم إلى السلفية، والحقّ أنّ السلفية منهم براء.

لم يكد هؤلاء يدعون عالماً كبيراً سابقاً أو لاحقاً معاصراً، يخالفهم في قضية ما، إلّا كالوا له الذمّ بأوسع مكيال.

لم يسلم من طول ألسنتهم: الباقلاني، ولا إمام الحرمين، ولا الإسفرايني، ولا الغزالي، ولا الرازي، ولا النووي، ولا ابن حجر العسقلاني، ولا السيوطي، ولا غيرهم من المتقدّمين.

كما لم يسلم منهم من المحدثين: الأفغاني، ومحمّد عبده، والكواكبي، ورشيد رضا، وفريد وجدي، وغيرهم من دعاة الإصلاح.

وكذلك لم يسلم منهم من بعدهم من المفكّرين والدعاة: المودودي، والندوي، وحسن البنّا، وسيّد قطب، والغزالي، والقرضاوي، ومحمّد عمارة، وفهمي هويدي، وغيرهم من الأموات والأحياء.

وهو ما جعل بعض العقلاء من علماء السعودية يردّ عليهم هذا الإسراف والتطاول، داعياً إلى وجوب التثبّت بين الناس بعضهم وبعض.

ونسى هؤلاء أنّ حسن الظنّ بالمسلمين أولى من سوءه، وأنّ الأصل حمل حال المسلمين على الصلاح، والتماس المعاذير لأهل الإسلام، وافتراض نيّة الخير منهم. (الشيخ الغزالي كما عرفته: ٢٦٢ ـ ٢٧٢).

تظهر تارةً أُخرى على شكل قوميّة وعرق، يبذر فيها بذور الشقاق والفرقة»[١].

تداخل الدين والسياسة

إنّ بحث فصل الدين عن السياسة من البحوث والموضوعات المهمّة في القرون الأخيرة، وقد حظي باهتمام الأوساط العلميّة والسياسيّة.

وقد حذا بعض المثقّفين في البلدان الإسلاميّة حذو المثقّفين الغربيّين، ودعوا إلى فصل الدين عن السياسة، بينما أصرّ البعض الآخر منهم على الترابط بين الدين والسياسة وعدم الفصل بينهما.

ويمكن اعتبار الشيخ الغزالي ممّن قالوا بفكرة تداخل الدين والسياسة، فهو يقول في هذا المجال:

«الإسلام فيه منظومة تعليمات مفصّلة معنويّة وعلميّة، وقد وضع للإنسان أُصولاً علميّة للإصلاحات العامّة ممّا يتعلّق بحياته الفرديّة والاجتماعيّة والحكوميّة.. ومن يستطيع الادّعاء بأنّ دعوة إصلاحيّة يمكنها التخلّي عن الحكومة ولا تجعل منها أداةً لخدمة توجّهاتها؟!»[٢].

نقد للعلماء الخاضعين لنفوذ السلطان

من الطبيعي أنّ انقياد بعض علماء الإسلام لحكّام الظلم والجور يؤدّي إلى تقوية أُولئك الحكّام، ويكون مدعاة لاستغلال الدين. ففي كلّ العصور وفي جميع البلدان هناك عدد من العلماء الذين يرتبطون بحكّام الفساد والجور، ويؤيّدونهم في بعض مواقفهم وأعمالهم.

---

(١) مجلّة آينه پژوهش (مجلّة مرآة التحقيق) / الرقم: ٣٧/صفحة: ١٠٢.

(٢) رويا روي مسلكها وجنبشهاي سياسي در خاورميانه عربي تا سال ١٩٦٧م (المواجهة فيما بين الأحزاب والحركات السياسيّة في الشرق الأوسط العربي حتّى عام ١٩٦٧م): ٥٦.

يقول الشيخ الغزالي في معرض نقده لبعض علماء مصر:

«أعرف من بين شيوخ الأزهر رجالاً يعيشون مثلما تعيش الديدان في دم وأمعاء المريض! هؤلاء العلماء يضعون أيديهم في أيدي الحكّام، وتتظافر جهودهم لتحقيق مآرب مشتركة. وهكذا فهم يسيئون إلى سمعة الدين الذي يتحدّثون باسمه»[١].

الوهابيّة

إنّ أحد الأساليب التي يتّبعها الإعداء على طريق بثّ الفرقة بين صفوف المسلمين تأسيس مذاهب وفرق جديدة؛ لكي يزيدوا شقّة الخلاف فيما بين المسلمين.

وقد جاء تأسيس فرقة الوهابيّة المتطرّفة ضمن هذا السياق أيضاً، حيث قامت هذه الفرقة بأعمال وممارسات للنيل من وحدة المسلمين وعقائدهم.

قال الشيخ محمّد الغزالي حول هذه الفرقة:

«لقد ظهر المذهب الوهابي في بلاد المملكة العربيّة السعوديّة قبل خمسين سنة أو أكثر، وفيه نوع من الغلو، والابتعاد عن حقائق الإسلام، والاستهانة بالناس واتّهامهم، ولا يمكننا القول بأنّهم يعكسون الإسلام الصحيح»[٢].

الغزالي والفلسفة

إحدى القضايا التي بقيت موضع اختلاف بين علماء الدين طيلة تاريخ

---

(١) إخوان المسلمين، دكتر بهمن آقاي وخسرو صفوي (حركة الإخوان المسلمين، بقلم: د. بهمن آقاي وخسرو صفوي): ١٧٧.

(٢) روزنامه رسالت (صحيفة الرسالة) (١٣٧٠/٤/٣هـ ش) / صفحة: ٣.

المسلمين هي الفلسفة اليونانيّة وتمازجها مع المفاهيم الإسلاميّة.

فالبعض من علماء المسلمين أقرّ الفلسفة اليونانيّة، بينما واجهها آخرون بالنقد الصارم ولم يجيزوا تداخلها بالمفاهيم الإسلاميّة.

وذهب الغزالي إلى أنّ الدين نعمة إلهيّة، قد جاء بها إنسان معصوم، وليس لنا أن نمزجها بتخيّلات رجل معتكفٍ وبصورة بعيدة عن الناس.

وقد عارض بحزم خلط الفلسفة بالدين قائلاً:

«وليت أهل النصرانيّة وأهل الإسلام صانوا أديانهم عن مقالات الفلاسفة، إذن لبقي لها رواؤها السماوي، ولما التبس الوحي الأعلى بتخرّصات الأرض»(١).

بيّن الشيخ الغزالي أنّ أحد أسباب انحطاط المسلمين هو تداخل الفلسفة بالدين، وكتب في هذا المجال ما يلي:

«إنّ من العوامل الأُخرى لانحطاط الثقافة الإسلاميّة نفوذ الثقافة الخرافيّة اليونانيّة وأكاذيب أهل الكتاب في الثقافة الإسلاميّة. وبالنتيجة فقد حفلت كتب العقائد والتفسير والتاريخ بترهات ما كان يجوز أن تنقل، بله أن تُدرس وتروى»(٢).

الغزالي وحريّة الفكر

التعصّب داء وبيل يتّصف به بعض علماء الدين، حيث إنّ قسماً من هؤلاء العلماء يتمسّكون بمنهجهم ويصرّون عليه وكأنّ كلّ المناهج والأساليب الأُخرى باطلة ولا قيمة لها.

---

(١) ظلام من الغرب: ٢٥٢.

(٢) حقوق بشر، مقايسة تعاليم إسلام با منشور ملل متّحد (حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأُمم المتّحدة): ٢٤٩.

وفي مقابل هذه الفئة هناك علماء مثقّفون ومتفتّحون وبعيدون عن أيّ نوع من أنواع التعصّب، ومتى ما رأوا خطأً فإنّهم يُنبّهون عليه بكلّ بساطة.

والشيخ الغزالي من الطراز الثاني. فهو يستنكر أقوال المتعصّبين الذين يشيعون بأنّ الشيعة يقولون: بأنّ الإمام علي عليه‌السلام كان أحقّ من الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله بالنبوّة، ويقول:

«أشاع بعض المغرضين أنّ السنّيين هم أنصار النبي محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله، بينما الشيعة هم أنصار علي رابع الخلفاء الراشدين.. وأنّ الشيعة يرون علياً أحقّ بالرسالة، أو أنّها أخطأته إلى غيره!! وهذا لغو قبيح وتزوير شائن..إنّ الشيعة يؤمنون برسالة محمّد، ويرون شرف علي في انتهائه إلى هذا الرسول وفي استمساكه بسنّته. وهم ـ كسائر المسلمين ـ لا يرون بشراً في الأوّلين والآخرين أعظم من الصادق الأمين، ولا أحقّ منه بالاتّباع، فكيف يُنسب لهم هذا الهذر؟!»[1].

وقد ردّ الشيخ الغزالي على الذين يقولون: بأنّ للشيعة قرآناً آخر غير قرآننا المعروف، وذلك بقوله:

«سمعت واحداً ممّن يكيلون التهم جزافاً يقول في مجلس عامّ: إنّ للشيعة قرآناً آخر يزيد وينقص عن قرآننا المعروف! فقلت له: أين هذا القرآن؟ إنّ العالم الإسلامي الذي امتدّت رقعته في ثلاث قارّات ظلّ من بعثة محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله إلى يومنا هذا ـ بعد أن سلخ من عمر الزمن أربعة عشر قرناً ـ لا يعرف إلّا مصحفاً واحداً مضبوط البداية والنهاية معدود السُوَر والآيات والألفاظ، فأين هذا القرآن؟»[2].

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ضدّ مطاعن المستشرقين: ٣٣٦.

(٢) المصدر السابق: ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

الفصل الثامن:

مؤلّفات الغزالي

ترك المفكّر المصري الشيخ محمّد الغزالي طيلة أكثر من نصف قرن من حياته العلميّة ما يربو على عشرات المقالات فضلاً عن ثلاثة وخمسين كتاباً في موضوعات مختلفة، منها ما هو قرآني، ومنها ما يتعلّق بالإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي.

وقد تُرجمت أكثر مولّفاته إلى الإنجليزيّة، والفرنسيّة، والأُورديّة، وغيرها. ونشرت في شتّى أرجاء العالم، وكان لمؤلّفاته تأثيرها البالغ في الصحوة الإسلاميّة.

وقد قُدّمت لجامعة هارفارد الأمريكيّة رسالة علميّة عن نشاط الدعوة الإسلاميّة في العصر الحديث، أكّد فيها الباحث على أهميّة أفكار الغزالي في المجتمعات الإسلاميّة[١].

ونعرض في ما يلي نبذة عن كلّ واحد من كتبه ومؤلّفاته:

١ـ الإسلام والأوضاع الاقتصاديّة.

تقع الطبعة السابعة من هذا الكتاب في ٢١٤ صفحة، وقد صدرت عن دار الصحوة، الطبعة الأُولى، عام ١٩٨٧م.

وهذا الكتاب هو أوّل ما صدر عن الغزالي من كتب، وقد كتبه في أيّام شبابه.

ترجمه إلى اللغة الفارسيّة السيّد خليل خليليّان بعنوان: «إسلام وبيان‌هاي اقتصادي»، وطبعته شركة سهامي للنشر.

٢ـ الإسلام والمناهج الإشتراكيّة.

يقع الكتاب في ٢٧٠ صفحة، وهو من منشورات دار الكتب الحديثة.

---

(١) العطاء الفكري للشيخ محمّد الغزالي: ١٨٥.

هذا الكتاب هو الكتاب الثاني الذي ألّفه الشيخ الغزالي، يدعو فيه جميع المسلمين ومفكّريهم إلى العودة إلى منابع الإسلام الأصيلة، وبلورة النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي على أساس دين الإسلام.

٣ـ الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيّين والرأسماليّين.

يقع الكتاب في ١٧٨ صفحة، وكانت الطبعة الأُولى من الكتاب قد صدرت عن دار الكتاب العربي في القاهرة عام ١٩٥٠م.

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة مقالات كان قد نشرها الغزالي في مجلّات مختلفة سابقاً. ويُعدّ ثالث مؤلّفاته، وصدر قبل صدور كتاب: «العدالة الاجتماعيّة في الإسلام» لسيّد قطب[١].

٤ـ الإسلام والإستبداد السياسي.

يقع الكتاب في ٢٢٧ صفحة، وهو من منشورات دار الكتب الإسلاميّة في بيروت، الطبعة الثالثة، عام ١٩٨٤م.

في عام ١٩٥١م اعتقل الشيخ محمّد الغزالي وأُودع السجن بسبب تعاونه مع الإخوان المسلمين، وكان يلقي في السجن سلسلة محاضرات على السجناء، وفي أعقاب خروجه من السجن جمعها في كتاب ونشره بعنوان: «الإسلام والاستبداد السياسي».

أكّد الشيخ الغزالي في هذا الكتاب على أنّ الإسلام لا يقرّ حكم الفرد ولا الحكم الدكتاتوري، بل إنّ تعاليمه تدعو إلى الشورى وإلى الرأي الجماعي[٢].

٥ـ من هنا نعلم.

يقع الكتاب في ٢٤٣ صفحة، وهو من منشورات دار الكتب الحديثة، الطبعة

---

(١) الشيخ الغزالي كما عرفته: ١٦.

(٢) هذا الكلام يقوم على الأُسس التي يؤمن بها الإخوة أهل السنّة من أنّ الخلافة وإمامة الأُمّة تقرّر من قبل الناس أنفسهم، على عكس الشيعة الذين يؤمنون بأنّ الخلافة والإمامة تكون بالنصّ وليس بالانتخاب.

السادسة لعام ١٩٦٥م.

يتضمّن هذا الكتاب ردود الشيخ الغزالي على ما أثاره خالد محمّد خالد من شبهات. ويمثّل الكتاب ردّاً على النظريّات الليبراليّة، ودفاعاً عن تعاليم الإسلام، وبياناً لقيمه.

وأهمّ الموضوعات التي حواها هذا الكتاب: شبهات الشيخ خالد محمّد خالد حول القصاص والحدود، وضرورة إجراء الحدود الإسلاميّة، وبدعة فصل الدين عن الدولة، والقوميّة العربيّة والإسلام.

٦ـ تأمّلات في الدين والحياة.

يقع الكتاب في ٢٥٧ صفحة (الطبعة الثانية لدار الدعوة لعام ١٩٩٢م).

الكتاب مجموعة من المقالات والخواطر والبحوث واللفتات، كُتب الكثير منها عندما كان الغزالي يحرّر مجلّة «الإخوان المسلمين»، وهو يشوّق ويشجّع الناس نحو الحركة والحياة الإسلاميّة الناصعة.

٧ـ عقيدة المسلم.

يقع هذا الكتاب في ٢٦٢ صفحة، الطبعة الثالثة لدار الدعوة، عام ١٩٩٠م.

فيه بحوث ميسّرة في العقيدة الإسلاميّة، ويمتاز عن كتب الفلاسفة والمتكلّمين في أنّه يخاطب العقل والقلب، وأكثر ما استند فيه مؤلّفه إلى نصوص الكتاب والسنّة، خلافاً لأكثر الكتب الكلاميّة التي تعالج هذه الأُمور من منظار عقلي فحسب.

ويُعتبر هذا الكتاب عمل حاسم في ميدان الإصلاح الديني.

ومن عناوين الكتاب: الحقيقة الأُولى، الكمال الأعلى، القضاء والقدر.

٨ـ خُلق المسلم.

(طبعة دار القلم السادسة، سنة ١٩٨٧، في ٢٤٨ صفحة).

كتب المؤلّف في مقدّمة هذا الكتاب بأنّه يعدّ الكتاب حلقة ثانية بعد كتاب: «عقيدة المسلم».

يضمّ هذا الكتاب مقدّمة و٢٦ فصلاً، وقد بحث فيه المؤلّف مبادئ الأخلاق من وجهة نظر الدين الإسلامي، ثمّ بحث في أعقاب ذلك موضوعات مثل: الصدق، الأمانة، الحلم، الحياء، من وجهة نظر القرآن الكريم والسنّة النبويّة.

٩ـ التعصّب والتسامح بين المسيحيّة والإسلام.

يقع الكتاب في ٣٦٦ صفحة، من منشورات دار التوزيع والنشر الإسلاميّة، الطبعة الثانية لعام ١٩٩٣م.

قام أحد المسؤولين بالطعن في الإسلام، فكلّف حسن الهضيبي العالم الكبير في جامعة الأزهر الشيخَ الغزالي بالردّ على ذلك الكتاب، فتصدّى له الغزالي وفنّد أفكاره المنحرفة إلى جانب الدفاع عن مبادئ الإسلام وقيمه، وبحث فيه عن طبيعة العلاقة بين المسلمين وأهل الذمّة من وجهة نظر الدين.

وقد كتب الشيخ الغزالي في مقدّمة ذلك الكتاب ما يلي:

«وقد كان ديدن هذا الدين منذ أن بدأ معاشرة غيره على المياسرة واللطف، والإسلام لم يقم على اضطهاد مخالفيه أو مصادرة حقوقهم من أنفس وأموال وأعراض».

وأهمّ موضوعات الكتاب: المسلمون وأهل الذمّة، الإسلام بين التعصّب والتسامح، افتراءات المستشرقين.

١٠ـ فقه السيرة.

يقع في ٤٩٨ صفحة، طبعته دار الريّان للتراث في القاهرة عام ١٩٨٧م.

١١ـ في موكب الدعوة.

يقع في ٢٦٢ صفحة، (طبعة دار الكتاب العربي الثانية لعام ١٩٥٧م).

واجهت الحركات الإسلاميّة طيلة تاريخها مشاكل عدّة بهدف إرباك قادة

القوى الإسلاميّة وثنيها عن الجهاد وممارسة دورها. والكتاب في جملته نقد لسياسة الجبهة الداخليّة الإسلاميّة باعتبار أنّ تراضي تلك السياسات واعوجاجها مكّن الدجّالين والمنافقين من التغلغل في صفوفها.

وأهمّ العناوين التي وردت في هذا الكتاب: موت الأبطال في الطريق، الوطنيّة الضيّقة والوطنيّة الواسعة.

١٢ـ ظلام من الغرب.

يقع في ٣٤٣ صفحة، صدرت الطبعة الثانية منه عام ١٩٦٥م عن دار الكتب الحديثة.

يدرس هذا الكتاب أحد أسباب شيوع المنهج الغربي بين المسلمين، وهذا السبب هو التفكير الغربي. وفي مصر أيضاً هناك من ولدوا في هذا البلد، إلاّ أنّهم يحملون الفكر الغربي.

وقد تحدّث الشيخ الغزالي في هذا الكتاب عن حملة الفكر الغربي وأهدافهم في البلدان الإسلاميّة مؤكّداً على أهميّة فضح هذا الصنف من الناس، وإزاحتهم عن الحياة العامّة السياسيّة والاجتماعيّة في مصر.

ويبيّن الغزالي أنّ ضعف العقول والضمائر هو الذي أدّى إلى ظهور التغرّب عند المثقّفين.

وأهمّ العناوين التي حملها هذا الكتاب: العقل والعاطفة، عروبة وإسلام، الإسلام والمدنيّة الحديثة.

١٣ـ جدّد حياتك.

يقع الكتاب في ٢٣٢ صفحة، (طبعة دار الدعوة الأُولى لسنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م).

هذا الكتاب عبارة عن محاولة لإرجاع كتاب: «دع القلق وابدأ الحياة» لمؤلّفه «ديل كارينجي» إلى بعض الأُصول الأخلاقيّة الإسلاميّة.

وقد شرح فيه المؤلّف وظيفة الفطرة السليمة في تعرّف الحق وتعريفه. وقد سجّلت الفطرة السليمة في كتاب كارينجي من التجارب والاختبارات ما يُعدّ صورة لحكمة الوحي على لسان رسول الإسلام. فاتّفق بذلك وحي التجربة ووحي السماء.

ومن عناوين الكتاب: عش في حدود يومك، روحانية الرسول.

١٤ـ ليس من الإسلام.

يأتي الكتاب في ٢٦٢ صفحة، وقد صدرت الطبعة السادسة منه عام ١٩٩١م عن مكتبة وهبة بالقاهرة.

لقد كان الدين الإسلامي عند ولادته خالياً من الأساطير والخرافات، ولكن أدخل بعض المغرضين والجهلة مفاهيم إلى دائرة الإسلام بإسم الإسلام.

والغزالي يعالج في هذا الكتاب هذه القضيّة، ويكشف أمثلة من تلك الخرافات. وهو يرى أنّ هذا الكتاب سوف يُغضب بعض الجامدين. والكتاب امتداد لجهاد أئمّة طال كفاحهم في سبيل إيقاظ العقل الإسلامي من سباته الطويل.

وأبرز عناوين هذا الكتاب: الشريعة الإسلاميّة، اختراع في الدين، بدع العادات، بدع العبادات.

١٥ـ من معالم الحقّ في كفاحنا الإسلامي الحديث.

يقع الكتاب في ٢٠٠ صفحة، بنشر دار الاعتصام بالقاهرة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

إنّ إحدى القضايا المهمّة التي واجهتها البلدان الإسلاميّة في القرن الأخير قضيّة الغزو الثقافي. فبعدما فشل الأوربيّون على صعيد الحرب العسكرية وقع اختيارهم على الجبهة الثقافيّة، لتشويه تراثهم واقصائهم عن الحياة.

وقد شرح الشيخ الغزالي في كتابه هذا مؤامرة العدوّ وعوامل انتصاره. وهو يرى بأنّ الرذائل الأخلاقيّة قد رسخت بين المسلمين، ولم يبق من سبيل إلّا سبيل الدفاع.

وأهمّ العناوين التي وردت في هذا الكتاب: ضدّ الإسلام، السلام المسلّح، سنن مضطردة، العلم يدعو إلى الإيمان.

١٦ـ كيف نفهم الإسلام.

يقع هذا الكتاب في ٢١٨ صفحة، صدر عن دار الدعوة، الطبعة الأُولى، عام ١٩٩١م.

١٧ـ الاستعمار أحقاد وأطماع.

يقع الكتاب في ٢٦٨ صفحة (مطبعة حسّان، الطبعة الثالثة، عام ١٩٨٣م).

يثبت المؤلّف في هذا الكتاب استناداً إلى وقائع التأريخ والمصادر الموثّقة أنّ للاستعمار حقداً دفيناً على الإسلام، بالإضافة إلى الأطماع الاقتصاديّة ببلاد المسلمين.

وقد تُرجم هذا الكتاب إلى اللغة الفارسيّة على يد المرحوم مصطفى زماني، وطبعته مؤسّسة خزر للطباعة في طهران.

١٨ـ نظرات في القرآن.

يقع الكتاب في ٢٥٤ صفحة، الطبعة السادسة، دار الكتب الإسلاميّة بالقاهرة، عام ١٩٨٦ م.

كتب الشيخ الغزالي في مقدّمة هذا الكتاب ما يلي:

«هذا الكتاب الثامن عشر الذي أكتبه خدمةً للإسلام وإبلاغاً لرسالة النبي»(١).

يتناول هذا الكتاب دراسة مفاهيم إسلاميّة، مثل: (الثروة، القصص، النبوّة، دراسة حول النسخ) من وجهة نظر القرآن الكريم(*).

---

(١) نظرات في القرآن: ٣.

(*) للشيخ دراسات قرآنية منها:

←

← (منها): «نظرات في القرآن»، وهو كتاب قديم يتحدّث عن بعض علوم القرآن بأُسلوب جديد.

و(منها): «المحاور الخمسة للقرآن الكريم»، وهو من كتبه الأخيرة التي بيّن فيها المحاور الأساسية التي تدور حولها سور القرآن وآياته، وهي: الله الواحد، والكون الدالّ على خالقه، والقصص القرآني، والبعث والجزاء، والتربية والتشريع.

و(منها): «التفسير الموضوعي للقرآن»، وفيه يتحدّث عن كلّ سورة من السور باعتبارها وحدة تدور حول موضوع معيّن. وهو يحاول أن يرسم «صورة شاملة» لها، وأن يربط أوائل السورة بأواخرها، ويصل بين أطرافها وأوساطها، وأن يتعرّف على الروابط الخفية التي تشدّها كلّها.

وللشيخ في هذا المقام نظرات جديرة بالتأمّل. وفي مقدّمة تفسيره ذكر: أنّه تأسّى في ذلك بالعلّامة الشيخ محمّد عبدالله دراز، عندما تناول سورة البقرة ـ وهي أطول سور القرآن ـ فجعل منها باقة ملوّنة نضيدة. وهو أوّل تفسير موضوعي لسورة كاملة فيما أعتقد.

وقد صدر من هذه الدراسة جزءان، كلّ جزء يشمل ثلث القرآن، وهو يعمل الآن على الثلث الأخير، ونسأل الله أن يوفّقه لإتمامه.

وقد ذكر الشيخ: أنّه استفاد في نظراته في التفسير من الإمام حسن البنّا ﷺ. ففي مجلّة «الدعوة» غرّة ربيع الأوّل عام ١٤١٥ هـ يقول: «حسن البنّا أُستاذي الأوّل في ميادين كثيرة، وكنت ـ وأنا طالب ـ أستمع إلى محاضراته في القرآن الكريم، وأتأمّل معه في النظرات التي كان يرسلها، وكنت أعود إلى بيتي فأُلخّص ما استطعت فهمه من هذه المحاضرات، حتّى تجمّع لديّ كتاب في هذا الصدد، لكنّه للأسف ضاع منّي، لكن معانيه بقيت في ذاكرتي. واستفدت من الإمام الشهيد في طريقة التفسير التي تعتمد على المعاناة الخاصّة والذوق الشخصي، وذلك لطول تدبّره في كتاب الله، وشدّة ارتباطه به، فقد كانت قدرته خارقة على فتح القلوب لأسرار الوحي...».

كما ذكر في كتابه: «الغزو الثقافي يمتدّ في فراغنا» أنّه لمح في نظرات الشيخ محمّد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا في «تفسير المنار» مبادئ النظرة إلى موضوع السورة، وأنّ لها هدفاً ومحوراً تدور حوله آياتها.

←

←

في التفسير الموضوعي:

عنى الشيخ الغزالي في تفسيره الأخير بالنظر في كلّ سورة باعتبارها وحدة متكاملة، يمهّد أوّلها لآخرها، ويتمّم آخرها أوّلها. وهو توجّه جديد في التفسير، سمّاه: (التفسير الموضوعي) باعتبار موضوعية السورة المفسّرة.

ولكن للشيخ عناية قديمة جديدة بالتفسير الموضوعي بالمعنى الآخر الذي يتبادر إلى الذهن، وهو النظر في الموضوع الواحد، من خلال الآيات المتعلّقة به في القرآن، وبيان نظرة الكتاب العزيز إليها، على غرار ما فعلناه في كتابنا: «الصبر في القرآن».

وللشيخ في هذا النوع من التفسير جهد مشكور أيضاً، ظهر قديماً في كتابه: «نظرات في القرآن»، وظهر حديثاً في كتابه: «المحاور الخمسة للقرآن الكريم».

وظهر في بعض كتبه قبسات منه، تدلّ على عمق صلة الشيخ بالكتاب المجيد، وعلى شمول نظرته لما تضمّنه من معان وموضوعات شتّى.

أُولو الألباب في كتاب الله:

ولا بأس بأن أذكر هنا نموذجاً لهذا اللون من التفسير عند الشيخ حول: «أُولي الألباب في القرآن».

يقول: «أشعر بغضاضة وغضب عندما يفهم الدين على أنّه ركون إلى غيبيات غامضة، أو انسياق وراء مشاعر مبهمة، كأنّ الإيمان فكر قاعد والإلحاد فكر متحرّك، أو أنّ الإنسان المؤمن يستكين للمجهول. أمّا الآخرون فيستكشفون الأسرار، ويبحثون عن المعرفة.

ربّما كان بعض المنسوبين إلى الدين رديء النظر عليل الفطرة، فما ذنب الدين إذ يحمل لهؤلاء أو يحمله هؤلاء؟!

لقد رأيت القرآن الكريم يتحدّث عن «أُولي الألباب» ـ يعني: أصحاب العقول ـ في ستّة عشر موضعاً، نستطيع عند تدبّر كلّ موضوع منها أن نعرف المستوى العالي لذوي الإيمان الصحيح، وكيف يتحرّك العقل المؤمن في كلّ اتّجاه ليقرّر الحقّ ويقود إليه.

ونكتفي الآن بسرد هذه الآيات المنوّهة بقيام الدين وأحكامه على الرشد والصواب لا على

←

← الجزاف والفوضى.

في سورة البقرة ثلاث آيات مختلفة السياق والموضوع، هي:

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي ٱلْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَا أُولِي ٱلْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا ٱلْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وللحكمة مواضعها الحميدة، سواء في تبليغ الدعوة أو في إنفاق المال، أو في أيّ شأن آخر.

وفي سورة آل عمران آيتان: الأُولى: تتحدّث عن عصمة الفكر من البحث فيما وراء المادّة؛ لأنّ هذا النوع من البحوث يقوم على التخمين والتوهّم. والثانية: تطلق العنان للفكر كي يبحث ويستنتج في المادّة وأسرارها وقوانينها وقيام الله عليها وإحكامه لوجودها.

قال تعالى في الموضوع الأوّل: ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهاتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

أمّا الحثّ على التأمّل في الكون فهو في الموضع الثاني من السورة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَابِ * ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١].

ومعرفة الحقّ لا تكترث بالتقاليد السائدة، ولا تتقيّد بالعرف الشائع، إنّها بحث حرّ لا علاقة له بكثرة الأصوات أو قلّتها.

والمغالاة بالحقّ مطلوبة في وجه المنكرين له أو النافرين منه مهما كثروا، فهم كما قيل:

إن شئت أن يسود ظنّك كلّه   فأجلهُ في هذا السواد الأعظم!

وذلك ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿قُل لَا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَاتَّقُوا ٱللهَ يَا أُولِي ٱلْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

ولمعرفة التاريخ العامّ أثر عميق في صوغ العقل ونفعه بتجارب لا حصر لها، فإنّ حاضر ←

← الإنسانية امتداد لماضيها البعيد ومهاد لمستقبلها المرتقب، وعلى المؤمنين أن يلتمسوا العبرة ممّا مضى؛ ليصونوا يومهم وغدهم، وهل للتاريخ ثمرة إلّا هذا؟! قال تعالى في سورة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ١١١].

وهذه الآية ختام لفصل متكامل من التاريخ البشري الحافل، وهو ختام صريح في أنّ القصص القرآني واقع لا خيال، وأخبارٌ صادق لا تأليف مفتعل، كما يشيع بعض المبشّرين التائهين.

في سورة الرعد حديث مفصّل عن الخلال النبيلة التي يستجمعها أُولو الألباب، وتضبط مسالكهم كلّها، والذي يثير الانتباه هنا هو ارتباط الفضائل الإنسانية بالبصر العقلي، وبراءة المؤمنين من التخبّط الذي يقع فيه العميان وكلّ من ضلّ الطريق!

قال تعالى في الموضع التاسع من ذكر أُولي الألباب: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد: ١٩ ـ ٢٠].

وفي سورة إبراهيم نجد وصفاً للصراع بين الحقّ والباطل، والآثار القريبة والبعيدة لهذا الصراع، سواء في دنيا الناس أو في اللقاء الأخير مع ربّ العالمين.

وقد ختمت السورة بهذه الآية: ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]».

واستمرّ الشيخ يتكلّم عن بقيّة المواضع التي ذكر بها (أُولو الألباب) بهذا النفس وبهذا البيان.

نظرة في ترتيب سور القرآن:

وللشيخ الغزالي نظرات وتأمّلات عميقة حول القرآن ينفرد بها، مثل هذه النظرة في ترتيب السور التي سجّلها في كتابه: «علل وأدوية».

كتب الشيخ يقول: «أحياناً أشعر ـ وأنا أتلو القرآن ـ ببعد المسافة الزمنية بين سورة وسورة، أو آية وآية، وأتساءل: هل إشعار القارئ بهذه المسافة البعيدة مقصود في سوق الآيات وترتيب السور؟

←

← ولأضرب مثلاً لما أعني: في الجزء الأخير من المصحف الشريف تعقب سورة «النصر» سورة «الكافرين»، وسورة «النصر» من آخر ما نزل بالمدينة المنوّرة، وسورة «الكافرين» من أوّل ما نزل بمكّة المكرّمة، أي: أنّ بين السورتين أكثر من عشرين سنة، يطويها القارئ في لحظات سريعة، وهو ينتهي من هذه ويبدأ في تلك.

السورة الأُولى نزلت في غربة الدين وعناء الدعاة وعناد الكافرين.. نزلت لترسي دعائم التوحيد العملي، وتمهّد له الطريق مهما فدح الثمن وازدادت العوائق.

والسورة الثانية نزلت وبشائر النصر تلوح في كلّ أُفق، والقبائل التي نفرت من التوحيد أوّل أمرها أخذت تثوب إليه وتقبل عليه، وصاحب الرسالة العظيم يستعدّ للعودة إلى ربّه بمزيد من التسبيح والاستغفار بعدما قضى العمر في جهاد يضني الأبطال ويوهي الجبال.

كلتا السورتين تقابل الأخرى، كأنّ الأُولى تصوّر البذر، والأُخرى تصوّر الحصاد!

وأتساءل مرّة أُخرى: هل هذا الشعور مقصود في ترتيب السور؟

ويعود السؤال على نحو آخر عندما نتدبّر سورة «ق» المكّية بعد سورة «الحجرات» المدنية.

إنّ السورة المدنية تبرز طائفة من الآداب المطلوبة في مجتمع مستقرّ، له قيادة يجب توقيرها وإحسان التلقّي عنها، مجتمع له مشكلات يجب التلطّف في حلّها؛ كي تبقى الأُمّة موحّدة الصفوف واضحة الهدف.. أمّا السورة المكّية فإنّ الكلام فيها طال عن البعث والجزاء، وعن قمع الطبائع المتمرّدة بأهوال النار وشدّة الحساب، أو استهواء النفوس النائية بالخيرات الحسان والمغفرة الشاملة.

وبين السورتين قرب معنوي وإن فصل بينهما مكان وزمان. فإنّ الأخلاق الزكية والسير الطاهرة إنّما تنبجس من قلب مؤمن، يعرف الله ويتهيّأ للقائه ويرجو وعده ويخشى وعيده.

إنّ الإيمان بالله واليوم الآخر هو العدوّ الأوّل للإباحية والفوضى، والعنصر الأوّل للتسامي والأدب، وكأنّ مجيء سورة «ق» بعد سورة «الحجرات» تذكير بمصدر الطاقة الروحية وراء كلّ تربية ناجحة واتّجاه سليم».

حاجة المسلمين إلى القرآن:

لقد ألّح الشيخ على بيان حاجة المسلمين الماسّة إلى القرآن: «حاجتهم أفراداً، وحاجتهم

←

← أمّة؛ ليعرفوا في ضوء آياته الفلسفة العامّة للدين وللحياة، ويؤسّسوا نظرتهم الصحيحة إلى الإنسان والكون وإلى ربّهما وخالقهما. وهذه الحاجة تشمل كلّ مسلم بخلاف السنن والأحاديث.
فقد يحتاج الصيّاد إلى كلّ ما ورد في الصيد من سنن، وقد يحتاج المغسّلون اللحّادون إلى كلّ ما ورد في الأكفان والأغسال من سنن.
أمّا الصورة العامّة للإسلام ورسالته العظمى فلها شأن آخر ينبغي أن يعرفه عارضو الإسلام في هذا العصر الموّار بشتّى الفلسفات والنزعات.
وعلاقة المسلمين بقرآنهم هي أسمى العلاقات وأرسخها، ولذلك يجب أن ندع نفوسنا للقرآن الكريم يشكّلها بتوجيهاته وهداياته، ويضبط اهتمامها بشعب الايمان، فلا يطغي فرع على أصل، ولا يموت فرع بإزاء أصل.
إنّ الموظّف في ديوان المحاسبة قد يحيا في عالم من الأرقام، ولكن هل العالم كلّه أرقام؟ إنّ الإسلام دين تحدّث في شؤون الحياة كلّها، بيد أنّ القرآن الكريم هو الكتاب الذي أعطى الخطّة العامّة والملامح الرئيسية ومجموعة الظلال والأضواء التي تكشفها».

ضرورة العناية بالقرآن الكريم:

وفي مقام آخر يؤكّد الشيخ ضرورة العناية بكتاب الله، وتقديمه على ما سواه. يقول: «الذي أراني مضطرّاً إلى التنبيه إليه هو ضرورة العناية القصوى بالقرآن نفسه، فإنّ ناساً أدمنوا النظر في كتب الحديث واتّخذوا القرآن مهجوراً، فنمت أفكارهم معوجّة، وطالت حيث يجب أن تقصر، وقصرت حيث يجب أن تطول، وتحمّسوا حيث لا مكان للحماسة، وبردوا حيث تجب الثورة! نعم، من هؤلاء من ظنّ الأفغانيّين من أتباع أبي حنيفة لا يقلّون شرّاً عن الشيوعيّين أتباع كارل ماركس، لماذا؟ لأنّهم وراء إمامهم لا يقرؤن فاتحة الكتاب! والذهول عن المعاني الأوّلية والثانوية التي نضح بها الوحي المبارك لا يتمّ معه فقه ولا يصحّ دين..
ذكر أبو داود حديثاً واهياً جاء فيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تركب البحر إلّا حاجّاً، أو معتمراً، أو غازياً في سبيل الله تعالى، فإنّ تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً».

←

← هذا الحديث الضعيف المردود خدع به الإمام الخطّابي، وعلّل النهي عن ركوب البحر بأنّ الآفة تسرع إلى راكبه، ولا يؤمن هلاكه في غالب الأمر!!

والكلام كلّه باطل، فقد قال المحقّقون: لا بأس بالتجارة في البحر، وما ذكره الله تعالى في القرآن إلّا بحقّ. قال عزّ وجلّ: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

إنّ الغفلة عن القرآن الكريم والقصور في إدراك معانيه القريبة أو الدقيقة عاهة نفسية وعقلية، لا يداويها إدمان القراءة في كتب السنّة، فإنّ السنّة تجيء بعد القرآن، وحسن فقهها يجيء من حسن الفقه في الكتاب نفسه. وقد ذكر ابن كثير: أنّ الإمام الشافعي قال: «كلّ ما حكم به الرسول ﷺ فهو ممّا فهمه من القرآن»، فكيف يفقه الفرع من جهل الأصل؟!

إنّ الوعي بمعاني القرآن وأهدافه يعطي الإطار العامّ للرسالة الإسلامية، ويبيّن الأهمّ فالمهمّ من التعاليم الواردة، ويعين على تثبيت السنن في مواضعها الصحيحة.

والإنسان الموصول بالقرآن دقيق النظر إلى الكون، خبير بازدهار الحضارات وانهيارها، نيّر الذهن بالأسماء الحسنى والصفات العلىٰ، حاضر الحسّ بمشاهد القيامة وما وراءها، مشدود إلى أركان الأخلاق والسلوك ومعاقد الإيمان، وذلك كلّه وفق نسب لا يطغى بعضها على بعض، وعندما يضمّ إلى ذلك السنن الصحاح مفسّرة للقرآن ومتمّمة لهداياته فقد أوتي رشده».

قرآن واحد:

ويؤمن شيخنا الغزالي بأنّ الله قد حفظ هذا القرآن، فنقلته الأُمّة نقلاً متواتراً بلفظه ومعناه، وتوارثته الأجيال، محفوظاً في الصدور، متلوّاً بالألسنة، مكتوباً في المصاحف، وأنّه لا يوجد عند المسلمين جميعاً إلّا قرآن واحد، يتعبّدون بتلاوته، ويرجعون إليه؛ ليأخذوا منه الهدى والنور، ويعرفوا منه حكم الله تعالى في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والآداب.

يقول الشيخ: «لا يعرف التاريخ إلّا قرآناً واحداً منشور النسخ بين جماهير المسلمين من ليلة القدر الأُولى إلى يوم الناس هذا، ولم يحدث خلاف على هذه الحقيقة خلال أربعة عشر قرناً مضت، فكتاب المسلمين واحد.

←

→ وقد حاول بعض المستشرقين الصغار أن يختلق شبهه حول ذلك، فزعم أنّ عند الشيعة مصحفاً آخر! وهو زعم ساقط كان أقلّ من أن نثبته هنا. ولكنّا ترخّصنا في ذكره ليعلم من يجهل أنّ القرآن الذي يحفظه جميع المسلمين ويحتفظون بنسخه في بيوتهم واحد.

ولم يؤثر عن شيعي أو سنّي أو خارجي أو صوفي أنّ لديه قرآناً آخر غير هذا الكتاب الفذّ. إنّ المصحف يطبع في القاهرة فيقتنيه مسلمو إيران والهند من الشيعة دون أيّ تردّد، عالمين بأنّ هذا هو الوحي الذي نزل على نبيّهم.

وظاهر أنّ الأقدار ضاعفت أسباب الصيانة لهذا الكتاب، حتّى انفرد بهذه المكانة التي لم يظفر بها كتاب سماوي آخر.

ومع كثافة الأسانيد المتواترة التي دفعت بهذا الكتاب إلينا، فإن هناك نظراً آخر جديراً بالاحترام كلّه.. إنّ حديث القرآن عن الله ولقائه ومطالبه من عباده يعلو كثيراً جدّاً عن نظيره في الكتب الأُخرى..

فتالي القرآن يشعر بأنّ الله واحد، واسع، عظيم، أعلى، جدير بالحمد كلّه والمجد كلّه، يستحيل أن ينسب إليه نقص، أو يكون فوق كماله كمال.

وتالي العهد القديم يشعر بأنّ الله يذكر وينسى، ويخطئ ويصيب، ويفعل ويندم، ويأكل مع الناس، ويلاكمهم أحياناً!

وتالي العهد الجديد يشعر بأنّ الله تجسّد وقتل في سياق غامض حافل بالمتناقضات!

وفي التوراة ـ كما سجّلها العهد القديم ـ لا توجد كلمة عن لقاء الله، ولا يوجد ذكر ليوم القيامة. الحديث كلّه عن الشعب المختار، وحقوقه في هذه الدنيا، وواجباته تجاه ربّ إسرائيل! فأيّ تديّن هذا؟!

والحديث عن يوم القيامة في العهد الجديد إمّا أن يؤخذ عن طريق الرؤىٰ في المنام، أو الإشارات الروحية ليوم الدينونة!

والبون بعيد بين هذا الأُسلوب الخافت وبين الهدير الذي يسمع دويه في الوعد والوعيد، ومشاهد القيامة، وصور الحساب، والثواب والعقاب، كما تكاثرت في سور القرآن.

والجانب الإنساني الحرّ ظاهر في القرآن الكريم، فأنت وحدك صانع مستقبلك ومصوّر ملامحك. إن أحسنت لم يستطع أحد أن يعترض طريقك إلى الجنّة، وإن أسأت لم يستطع ←

١٩ـ مع الله (دراسات في الدعوة والدعاة).

الطبعة الأُولى لدار القلم بدمشق، عام ١٩٨٩م.

كما يتّضح من عنوان هذا الكتاب فإنّ الغزالي قد كتبه حول اساليب التبليغ وشروط المبلّغ وما شابه ذلك. وقد كتبه الشيخ للدعاة حينما كلّفته مشيخة الأزهر بأن يُحاضر لطلبة الدعوة والإرشاد.

ومن أبرز عناوين فصوله: التعريف بالدعوة، السنن العامّة في دعوة الرسل إلى الدين، وسائل الدعوة.

٢٠ـ معركة المصحف في العالم الإسلامي.

يقع الكتاب في ٣٥٧ صفحة، الطبعة الثانية، من منشورات دار الكتب الحديثة.

بحث الشيخ الغزالي في هذا الكتاب حول مناهضة الاحتلال الأجنبي بجميع أشكاله عن طريق ثورة الشعوب، وخلق الأمل في النجاح، وتأسيس الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة على ضوء احكام الاسلام.

تُرجم هذا الكتاب إلى اللغة الفارسيّة من قبل محمّد صدّيق خالق پناه بعنوان: «نقش قرآن در جهان معاصر»، ونشرته دار «هژار» للنشر في مدينة سنندج الإيرانيّة عام ٢٠٠١م.

← أحد أن ينقذك من النار: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصّلت: ٤٦]، فلا وسطاء ولا شفعاء ولا قرابين، على نحو ما تصوّر الوثنية، أو على نحو ما تصوّر الأديان السماوية التي انحرفت.

والقرآن ـ بهذا الواقع المشرق ـ جدير بأن يكون الصوت الفذّ المنبعث من السماء، فلو لم تدعمه أسانيد التواتر الغنية السخية لقال العقل: ما يصحّ عن الله إلّا هذا.

ومن هنا فنحن نوقن بأنّ القارّات الخمس لا تحوي سجّلاً للوحي الأعلى إلّا في هذا الكتاب العزيز». (الشيخ الغزالي كما عرفته: ١١٤ ـ ١٢٢).

٢١ـ كفاح دين.

يقع في ٣١٢ صفحة (الطبعة الخامسة، مكتبة وهبة، عام ١٩٩١م).

تناول الشيخ الغزالي في هذا الكتاب ما يقع للإسلام وأهله من تحديات، حيث تنجح سياسة الاستعمار في إقامة حكومات موالية لها. وتتبّع في هذا الكتاب آثار الاستعمار في البلاد التي أُجبر على أنهاء الاحتلال منها.

تحدّث المؤلّف في مقدّمة الكتاب عن شعوره بأنّ الأُمّة قد وصلت إلى مرحلة حساسة نحو التخلّص من الاستعمار وشروره.

وأهمّ العناوين التي يتضمّنها الكتاب: التعاون بين الإسلام والمسيحيّة، اتّجاه الصليبيّة الحديثة، ثقافة مهجورة.

٢٢ـ الإسلام والطاقات المعطّلة.

يقع في ٢١٤ صفحة، نشرته دار الكتب الإسلاميّة بالقاهرة في طبعته الرابعة لعام ١٩٨٣م.

تحدّث المؤلّف في هذا الكتاب عن مستقبل الإسلام، وأنّ أُمّتنا تنتشر فوق بساط الأرض الطيّبة، وفي قبضة يدها سعادة العالم، ولو أحسنت استغلال ما تملك لما احتاجت إلى أحد، ولكان احتياج سائر الأُمم إليها، فإنّ شرايين الحياة الاقتصاديّة للقارّات تبدأ منها وتنتهي إليها.

ويبيّن المؤلّف أيضاً كيفيّة الوصول إلى هذه الغاية.

أهمّ العناوين الواردة في هذا الكتاب: تفجير الطاقة الإنسانيّة، دين المستقبل، إطار النظام الإسلامي، تحرير الأراضي الإسلاميّة.

٢٣ـ حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأُمم المتّحدة.

طبعته دار الدعوة عام ١٩٩٣م في ٢٦٦ صفحة.

قدّم الغزالي في هذا الكتاب شرحاً لإعلان حقوق الإنسان، وبيّن رؤية الإسلام في هذا المجال.

ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الفارسيّة بعنوان: «حقوق بشر مقايسة تعاليم الإسلام با منشور ملل متّحد»، بقلم: باقر الموسوي، وطبعته دار الأعلمي للنشر.

٢٤ـ هذا ديننا.

يقع الكتاب في ٢١٣ صفحة، عن مطبعة حسّان للمرّة الثالثة، عام ١٩٧٥م.

يأتي هذا الكتاب جامعاً لتعاليم الإسلام، مع اتّسامه بالإيجاز والوضوح والاستيعاب، داعماً هذه التعاليم بالأدلّة والبراهين.

من مباحثه: التوحيد، القضاء والقدر، العقل، الاجتهاد، فقه المعاملات، فقه العبادات.

٢٦ـ الجانب العاطفي في الإسلام.

يقع الكتاب في ٢٩٩ صفحة (طبعة دار الدعوة، الطبعة الأُولى، عام ١٩٩٠م).

أهمّ عناوين الكتاب: دعائم الكمال النفسي، إشارات الطريق، التوبة، الورع، الحبّ.

٢٧ـ دفاع عن العقيدة والشريعة ضدّ مطاعن المستشرقين.

يقع الكتاب في ٢٥٩ صفحة (الطبعة الخامسة لدار الكتب الإسلاميّة، عام ١٩٨٨م).

الكتاب مناقشة حرّة لما ورد في كتاب: «العقيدة والشريعة في الإسلام»

للمستشرق اليهودي «جولدزيهر»[١]، وهو كتاب مليء بالأحقاد والضغائن ضدّ الإسلام.

وقد ردّ الشيخ الغزالي في كتابه هذا على الشبهات التي وردت في الكتاب المذكور.

ترجم صدر البلاغي هذا الكتاب إلى اللغة الفارسيّة تحت عنوان: «محاكمة گلدزيهر صهيونيست»، وطبعته حسينيّة الإرشاد.

٢٨ـ ركائز الإيمان بين العقل والقلب.

طبعته دار الاعتصام لعام ١٩٧٣م في ٢٨٨ صفحة.

يدور موضوع الكتاب حول الثقافة الإسلاميّة.. وهذا الكتاب يُعتبر في الحقيقة امتداداً واستكمالاً لكتاب: «الجانب العاطفي في الإسلام».

أهمّ العناوين التي وردت فيه: العلم يدعو للايمان، وحدة الوجود خرافة، ثقافتنا التقليديّة تحتاج إلى مراجعة.

٢٩ـ حصاد الغرور.

يقع في ٢٠٧ صفحات، طبعته دار المختار الإسلامي طبعة ثانية عام ١٩٧٩م.

---

(١) إينياس جولدزيهر: مستشرق يهودي، ولد في المجر عام ١٨٥٠م، وفي عام ١٨٧٣م رحل إلى سوريا، ودرس العلوم الإسلاميّة على يد بعض العلماء، كالشيخ طاهر الجزائري، ثمّ رحل إلى مصر، ودرس على يد كبار شيوخ وأساتذة الأزهر، وانتخب عضواً في مجمع العلوم المجري وغيره، ونال لقب دكتور شرف من جامعتي أدنبرة وكمبريدج، وصنّف عدّة كتب بالألمانيّة والفرنسيّة والإنجليزيّة، منها: اليهود، آداب الجدل عند الشيعة، الإسلام، العقيدة والشريعة في الإسلام. توفّي عام ١٩٢١ م. (معجم أسماء المستشرقين: ٢٨٥ ـ ٢٨٦).

في عام ١٩٦٧م وقعت حرب ضارية بين العرب وإسرائيل، وبعد ستّة أيّام انتصرت إسرائيل واحتلّت صحراء سيناء[1]. وقد عاصر الشيخ الغزالي هذه الحرب، وكتابه هذا بمثابة رصد لأحوال الأُمّة العربيّة قبل تلك الحرب.

وقد كتب الغزالي في مقدّمة الكتاب يقول:

«إذا أحببنا أن نذوق حلاوة النصر فالطريق اليه يسير. أمّا إذا كرّرنا انقساماتنا القديمة وأساليبنا القديمة، فلن نحصد إلّا ثمرات الغرور، وما أبشعها !!».

٣٠ـ الإسلام في وجه الزحف الأحمر.

يقع الكتاب في ٢٠٦ صفحات، صدر عن مكتبة الأمل (بدون تاريخ).

كتب الغزالي كتابه هذا في ظروف صعبة شديدة، حيث إنّ عدداً من الحكومات العربيّة كانت قد تبنّت الشيوعيّة وتحالفت مع الاتّحاد السوفيتي.

يقول في مقدّمته:

«إنّني كتبت هذه المقالات بالحقائق العلميّة والتاريخيّة، وأوراقها صرخات قلب غيور على دينه شفيق على أُمّته. وأعرف أنّني بكتابتها سأتعرّض لعداوات مقيتة، ولكن بئست الحياة أن نبقى ويفنى الإسلام».

ومن عناوينه: بداية الصراع، الشيوعيّة والدين، الشيوعيّة والحرّيات، فلسطين والشيوعيّة.

٣١ـ قذائف الحقّ.

يقع الكتاب في ٢٤٢ صفحة، من منشورات المكتبة العصرية بصيدا ـ لبنان (بدون تاريخ).

---

(١) لمعرفة ملابسات نكسة حزيران أو ما يعرف بـ «حرب الأيّام الستّة» راجع موسوعة السياسة ٢: ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

وقد أعدّ المؤلّف مقدّمة الكتاب وهو في الرباط عاصمة المغرب، يستمع إلى أخبار القتال بين العرب واليهود عام ١٩٦٧م.

إنّ المؤامرة على الإسلام وأُمّته الغافلة قد أخذت أبعاداً جديدة مرعبة، وإنّ المصارحة هنا أجدى في مواجهة الخطر.

من أهمّ ما جاء فيه من عناوين: تحرّك ضدّ عقيدة التوحيد، العرب بدون الإسلام لا يساوون شيئاً، لا دين بدون حرّية.

٣٢ـ الدعوة الإسلاميّة تستقبل قرنها الخامس عشر.

يقع هذا الكتاب في ٢١٠ صفحات، طبعته مكتبة وهبة طبعة ثـالثة، وذلك عام ١٩٩٠م.

ألّف الشيخ الغزالي هذا الكتاب استجابة لطلب جامعة الإمـام مـحمّد بـن سعود[1] في الرياض، بمناسبة انتهاء القرن الهجري الرابع عشر، وقد ضمّنه وصف العلل التي تكتنف الدعوة والدعاة في شتّى الأعصار والأمصار.

وتهيّأ الشيخ الغزالي في هذا الكتاب لاستقبال القرن الخامس عشر بإلقاء نظرة على مسيرة الدعوة الإسلاميّة من خلال ذلك الماضي الطويل.

ومن أهمّ عناوينه: شبهة مردودة، الدعوة وأحوال الدولة الداخليّة، الفساد

---

(١) محمّد بن سعود بن محمّد بن مقرن بن مرخان: أوّل من لقّب بالإمام من آل سعود في نجد. كان يقيم بالدرعيّة، وولّي الإمارة بعد وفاة أبيه سنة ١١٣٩ هـ، وقويت شوكته، وكان يساعده أخوه ثنيان، وانفرد هو بعد وفاة أخيه بالحكم سنة ١١٦٠ هـ، وفي أيّامه (سنة ١١٥٧ هـ) وفد على الدرعية محمّد بن عبدالوهاب صاحب الدعوة الوهابيّة، فتعاهدا على أن يكون ابـن سعود حارساً للدين وناصراً للسنّة وأن يستمرّ ابن عبدالوهاب على الجهر بدعوته! فاتّسعت إمارته. توفّي بالدرعيّة عام ١١٧٩ هـ. (الأعلام للزركلي ٦: ١٣٨).

السياسي، الأبعاد الجديدة.

٣٣ـ فنّ الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء.

يقع الكتاب في ١٧٩ صفحة، من منشورات المكتبة العصريّة ببيروت، الطبعة الثانية، عام ١٩٨٠م.

في هذا الكتاب سياحة محدودة في جانب شريف من جوانب السيرة، ألا وهو جانب الذكر والدعاء.

ومن أهمّ عناوينه: كيف عرّفنا محمّد بالله، الحبّ أساسه والشوق مركبه، مجالس النبوّة.

٣٤ـ دستور الوحدة الثقافيّة بين المسلمين.

يقع الكتاب في ٢٣٩ صفحة، طبعته دار القلم طبعة أُولى عام ١٩٨٧م.

٣٥ـ واقع العالم الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر.

يقع هذا الكتاب في ٨٠ صفحة، صدر في القاهرة عن دار ثابت لعام ١٩٨٣م.

يتناول الكتاب قضيّة المؤامرات التي تدبّر لهذا الدين ولأتباعه، والجهود التي تبذل لصرف المسلمين عن دينهم وتراثهم وعقيدتهم، حتّى يزول ويتلاشى.

٣٦ـ مشكلات في طريق الحياة الإسلاميّة.

يقع هذا الكتاب في ١٤٣ صفحة، صدر عن دار نهضة مصر للطباعة والنشر، عام ١٩٩٦م (الطبعة الأُولى).

وهو متابعة للنشاط الإسلامي المعاصر، ودراسة شاملة لأسباب التقهقر الحضاري والعسكري للمسلمين.

وهو الكتاب الأوّل من كتب مجلّة «الأُمّة القطرية»[١].

٣٧ـ هموم داعية.

يقع هذا الكتاب في ١٧٣ صفحة، من منشورات دار البشير في القاهرة، الطبعة الثانية لعام ١٩٨٥م.

موضوع هذا الكتاب نماذج محدودة لمثار الشكوى ومصدر هموم الداعية.

٣٨ـ مائة سؤال عن الإسلام.

يقع هذا الكتاب في مجلّدين، وهو من منشورات دار ثابت للنشر والتوزيع، عام ١٩٨٤م.

يتضمّن الكتاب مائة سؤال عن نواحي الإسلام المختلفة، حيث يقوم الشيخ الغزالي بالجواب عنها.

ومن الموضوعات التي وردت الاستفسارات عنها: ما موقف الإسلام من تحديد النسل؟ وما حكم النقاب في الإسلام؟

٣٩ـ علل وأدوية.

يقع الكتاب في ٢٨٣ صفحة، الطبعة الأُولى من منشورات دار الدعوة بالقاهرة، عام ١٩٩١م.

موضوعه دراسات في أمراض أُمّتنا ووسائل الاستشفاء منها.

ومن أهمّ عناوينه: الإنسان في القرآن، كيف غيّر الإسلام مسار العالم، وظيفتنا العالميّة، الأمانة في نقل التراث.

٤٠ـ مستقبل الإسلام خارج أرضه، كيف نفكّر فيه؟

يقع الكتاب في ٢٠٢ صفحة، بنشر دار الشروق، الطبعة الأُولى لعام ١٩٨٤م.

يحاول الكتاب أن يجيب عن أسئلة مهمّة حول مستقبل الإسلام.

---

(١) الشيخ الغزالي كما عرفته: ٢٣.

من عناوين الكتاب: غربلة المعارف قبل تقديمها إلى الناس، شخصيّة المسلم المعاصر، هل يفيد التبليغ؟

٤١ـ قصّة حياة.

وهذا الكتاب مخطوط، لم يطبع.

يتناول السيرة الذاتيّة للشيخ الغزالي.

من عناوين الكتاب: ذكريات الطفولة، التعليم الديني والمدني، من السجن إلى المعتقل، جماعة الإخوان المسلمين.

٤٢ـ سرّ تأخّر العرب المسلمين.

طبعته دار الريّان للتراث عام ١٩٨٧م في ١٨٧ صفحة.

كما يتّضح من عنوان الكتاب فإنّ الشيخ الغزالي بحث فيه علل تخلّف العرب والمسلمين.

ومن عناوين هذا الكتاب: أحوال اليوم وآمال الغد، الوحدة الإسلاميّة طريق طويل لكنّه ضرورة حياة.

٤٣ـ الطريق من هنا.

يقع الكتاب في ١٦٠ صفحة، وهو من منشورات دار الشروق، الطبعة الثالثة، عام ١٩٩٢م.

في هذا الكتاب صور متنوّعة لمفارقات بين واقعنا وديننا في الماضي والحاضر، يدعو الشيخ إلى أن تجد حظّها من التدبّر والوعي.

ومن أهمّ العناوين فيه: دعوات تائهة في أُمّة مهدّدة بالضياع، الحكم الإسلامي لا ينطلق من فراغ.

٤٤ـ جهاد الدعوة بين عجز ابنائه وكيد الاعداء.

يقع هذا الكتاب في ١٩٢ صفحة، صدر عن دار الصحوة (بدون تاريخ).

يصوّر الكتاب أنّ الجهاد الإسلامي هو دفاع عن الأرض والعرض،

والحاضر والمستقبل، والتاريخ والشخصيّة، والدين والدنيا، ولا يقتصر الإسلام على الطبيعة العسكريّة؛ فالانتصار لله ورسوله يكون في ميدان الإعلام، وفي ميدان المال والعلم، مدنيّاً كان أو عسكريّاً، وفي ميدان السياحة والاكتشافات، وفي ميدان المساعدات والخدمات الاجتماعيّة.

ومن أهمّ عناوينه: واقع لا نتجاوزه، أوهام سيّئة، تأويلات الجاهلين.

٤٥ـ الحق المرّ.

صدر للمؤلّف بهذا العنوان خمسة أجزاء عن دور نشر مختلفة وبطبعات عديدة.

٤٦ـ الغزو الثقافي يمتدّ في فراغنا.

يقع هذا الكتاب في ٤٢٤ صفحة، الطبعة الثالثة لدار الشروق، عام ١٩٨٥م.

والكتاب يصارح المسلمين بما هم عليه من قصور في الفهم يسهم في تسهيل الغزو الثقافي الخارجي.

ومن موضوعات الكتاب: الإسلام دين المفكّرين، التحدّي الثقافي، تناقضات مهلكة.

٤٧ـ المحاور الخمسة للقرآن الكريم.

يقع الكتاب في ٢٤٤ صفحة، نشر دار الصحوة، الطبعة الثانية، عام ١٩٨٩م.

يعالج الكتاب المحاور الخمسة التي أفاض القرآن بذكرها، وانتهى المؤلّف إلى أنّها أُمّهات لمسائل أُخرى كثيرة تندرج تحتها، وهذه المحاور هي: الله الواحد، الكون الدالّ على خالقه، القصص القرآني، قصّة العلم والحكم في تاريخنا، ميدان التربيّة والتشريع.

٤٨ـ السنّة النبويّة بين أهل الفقه وأهل الحديث.

يقع الكتاب في ١٦٠ صفحة، الطبعة الأُولى لدار الشروق، عام ١٩٨٩م.

وهو من الكتب التي كلّف الشيخ محمّد الغزالي رحمه الله بتأليفها من قبل المعهد

العالمي للفكر الإسلامي، وذلك طلباً لفهم السنّة النبويّة الشريفة بما يتناسب وأهميّتها.

٤٩ـ قضايا المرأة بين التقاليد البالية والوافدة.

يقع الكتاب في ٢١٨ صفحة، بنشر دار الشروق، الطبعة الخامسة، عام ١٩٩٤م.

في هذا الكتاب خواطر منثورة جمعت بين العلم والأدب والأُسرة والمجتمع الصغير.

٥٠ـ تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل.

يقع هذا الكتاب في ٢٢٤ صفحة، الطبعة الثانية، من منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عام ١٩٩١م.

والكتاب حديث حول العلوم النقليّة الإسلاميّة، وطرائق تدريسها، ووجوب النظر في إعادة برامجها، وإصلاح مختلف الجوانب العمليّة والتعليميّة المتعلّقة بها.

أهمّ عناوينه: إسلاميّة المعرفة أو المعرفة الإسلاميّة، أبعاد الوحي الأعلى، حقائق في التربية.

٥١ـ كيف نتعامل مع القرآن الكريم؟

يقع الكتاب في ٢٣٦ صفحة، الطبعة الثالثة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، عام ١٩٩٢م.

وموضوع الكتاب: تقرير أبحاث الأُستاذ عمر عبيد حسنة، أُستاذ الشيخ الغزالي في علم التفسير.

٥٢ـ صيحة تحذير من دعاة التنصير.

يقع الكتاب في ١٥٥ صفحة، نشر دار الصحوة، الطبعة الأُولى، عام ١٩٩١م.

ألّف الشيخ الغزالي هذا الكتاب بعد أن اطّلع على كتاب: «التنصير» الذي

يمثّل سجّلاً للممارسات والمحاورات والمقترحات والنتائج التي انتهت إليها إحدى المؤتمرات التبشيريّة في أمريكا[١]، وهو المؤتمر الذي انعقد من اجل قضيّة تنصير المسلمين في العالم، وجمع لهذه الغاية ألف مليون دولار.

يدين المؤلّف هذا المؤتمر باهدافه ووسائله التبشرية، والكتاب محاولة لمناقشة مواقف المؤتمر، وبيان أسباب الحروب المتعددة التي اشتعلت بين الإسلام والنصرانيّة.

أهمّ عناوين الكتاب: مبادئ تسبق النقاش، عيسى ليس إلهاً، واقع المرأة في أُوربا وأمريكا.

٥٣ـ نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم.

طبعة دار الشروق الثانية لعام ١٩٩٦م في ٥٦٠ صفحة.

دراسة جديدة للقرآن الكريم، تهدف إلى تقديم تفسير موضوعي لكلّ سورة من الكتاب العزيز، فيتناول السورة كلّها، ثمّ يحاول رسم صورة لها[٢].

وقد تُرجم هذا الكتاب إلى اللغة الفارسيّة من قبل علي أصغر محمّدي بعنوان: «گامى به سوى تفسير موضوعى سوره‌هاى قرآن كريم»، وطبعه مكتب نشر الثقافة الإسلاميّة في عام ١٩٩٨م.

٥٤ـ من كنوز السنّة.

وهو من الكتب المخطوطة للشيخ الغزالي[٣].

٥٥ـ حقيقة القوميّة العربيّة.

طبع هذا الكتاب في دار العروبة بالقاهرة.

---

(١) عُقد هذا المؤتمر التبشيري في مدينة جلين آيري بولاية كولورادو في الولايات المتّحدة الأمريكيّة سنة ١٩٧٨ م، ونشرته دار MARC للنشر بعنوان:
«The Gospel and Islam: A 1978 Compendium»

(٢) العطاء الفكري للشيخ محمّد الغزالي: ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

(٣) دانشنامهٔ قرآن وقرآن پژوهش (كتاب علم القرآن وبحوثه) ٢: ٢٢١٩.

وفاته

بعد سبعة عقود قضاها الشيخ محمّد الغزالي بالبركة والعمل الدؤوب في طريق رفعة الإسلام، كانت نهاية عمره الشريف.. لقد سعى لأجل وحدة المسلمين، وخاض معارك النضال ضدّ المستعمر.

وجّهت إليه دعوى الحضور ندوة «الإسلام والغرب» الذي عُقد في الرياض، وكان عمره الشريف آنذاك ٧٩ سنة، وفي تاريخ ١٩ / شوّال / ١٤١٦ هـ توجّه إلى الرياض بنيّة حضور تلك الندوة، ففاجئته السكتة القلبيّة التي أودت بحياته الشريفة.. وبعد تشييعه دفن في مقبرة البقيع، تلك المقبرة التي دفن فيها سبط الرسول الأعظم ﷺ، وكذلك زوجات الرسول ﷺ، وأصحابه.

وقد حضر الحفل التأبيني الذي أُقيم على روحه الطاهرة الكثير من الشخصيّات الإسلاميّة، وصدرت عدّة خطابات تأبينيّة في هذا الصدد من عدّة جهات، منها منظّمة الثقافة والعلاقات الإسلاميّة، ونذكر هنا متن الخطاب:

«إنّا لله وإنّا إليه راجعون

إنّ رحيل العلّامة الكبير الشيخ محمّد الغزالي (رحمة الله تعالى عليه) ـ والذي يعدّ أحد العلماء الكبار في مصر ومن المفكّرين المعاصرين ـ كان له الأثر البالغ والحزن الشديد في كافّة أرجاء العالم الإسلامي.

إنّه العالم الجليل الذي قضى عمره الشريف في السعي المتواصل، لأجل تطوير الثقافة الإسلاميّة والدفاع عنها، والذي خطّ هذه الأحرف المضيئة في مسيرته المباركة.

المرحوم الغزالي كان أحد روّاد التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، وأحد المنادين بالوحدة، فقد بذل جهوداً جبّارة في هذا المجال..

إنّ قلم هذا الرجل العظيم وآثاره الفكريّة لا ينكر دورهما الكبير في تقريب

آراء وأفكار العلماء والمفكّرين الإسلاميّين.

نسأل الباري تعالى أن يشمل هذه الشخصيّة المحترمة ـ والتي كانت بحقّ إحدى الشخصيّات المرموقة في العالم الإسلامي ـ بلطفه وعنايته ومغفرته..

وبهذا المصاب الجلل نتقدّم بأحرّ التعازي لولي أمر المسلمين سماحة آية الله السيّد الخامنئي، وكافّة علماء الأُمّة الإسلاميّة، وعموم المسلمين، وأخصّ بالذكر ذوي ذلك الفقيد السعيد، ونسأل الله أن يلهمهم الصبر والسلوان على هذا المصاب الأليم.

محمّد علي التسخيري
رئيس منظّمة الثقافة والعلاقات الإسلاميّة»[١].

(١) روزنامه اطّلاعات (صحيفة الأخبار) (١٣٧٣/١٢/٢١ هـ ش).

فهرس المصادر

فهرس المصادر

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ إخوان المسلمين (حركة الإخوان المسلمين).

تأليف: د. بهمن آقائي وخسرو صفوي / نشر: إيران.

٣ ـ الأزهر في ألف عام.

تأليف: د. محمّد عبدالمنعم الخفّاجي / نشر: عالم الكتب ـ بيروت ومكتبة الكلّيات الأزهرية ـ القاهرة / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨ هـ.

٤ ـ الاستعمار أحقاد وأطماع.

تأليف: محمّد الغزالي المتوفّى سنة ١٤١٦ هـ / نشر: الدار السعوديّة ـ جدّة / الطبعة الثانية ـ ١٣٨٩ هـ.

٥ ـ الاستيعاب: الاستيعاب في معرفة الأصحاب.

تأليف: أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البرّ النمري القرطبي المالكي المتوفّىٰ سنة ٤٦٣ هـ / تحقيق: علي محمّد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٥ هـ.

٦ ـ الأعلام للزركلي: الأعلام.

تأليف: أبي الغيث خير الدين الزِركْلي المتوفّىٰ سنة ١٣٩٦ هـ / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الثامنة ـ ١٩٨٩ م.

٧ ـ البداية والنهاية.

تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفّىٰ سنة ٧٧٤هـ / نشر: مكتبة المعارف ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤١٣ هـ.

٨ ـ تأمّلات في الدين والحياة.

تأليف: محمّد الغزالي المتوفّى سنة ١٤١٦ هـ / نشر: دار الكتاب العربي ـ القاهرة / الطبعة الثانية ـ ١٩٩٢ م.

٩ ـ تهذيب التهذيب .

تأليف: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني المتوفّىٰ سنة ٨٥٢ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٤ هـ.

١٠ ـ تهذيب اللغة.

تأليف: أبي منصور محمّد بن أحمد الأزهري المتوفّىٰ سنة ٣٧٠ هـ / تحقيق: عمر سلامي وعبد الكريم حامد / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢١ هـ.

١١ ـ حقوق بشر، مقايسة تعاليم إسلام با منشور ملل متّحد (حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأُمم المتّحدة).

تأليف: محمّد الغزالي المتوفّى سنة ١٤١٦ هـ / ترجمة: باقر موسوي / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ طهران.

١٢ ـ دائرة المعارف بزرگ إسلامي (دائرة المعارف الإسلاميّة الكبرى).

إعداد: مجموعة من الباحثين / نشر: مركز دائرة المعارف بزرگ إسلامي ـ طهران / الطبعة الثانية ـ ١٣٧٤ هـ. ش.

١٣ ـ الدارس: الدارس في تاريخ المدارس .

تأليف: عبد القادر بن محمّد النعيمي الدمشقي المتوفّىٰ سنة ٩٧٨ هـ / اعتناء: إبراهيم شمس الدين / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٠ هـ

١٤ ـ دانشنامه قرآن و قرآن پژوهي (كتاب علم القرآن وبحوثه).

تأليف: بهاء الدين خرّمشاهي / نشر: دوستان / الطبعة الأُولى ـ ١٣٧٧ هـ. ش.

١٥ ـ دفاع عن العقيدة والشريعة ضدّ مطاعن المستشرقين.

تأليف: محمّد الغزالي المتوفّى سنة ١٤١٦ هـ / نشر: دار الكتب الإسلاميّة / الطبعة الخامسة ـ ١٩٨٨ م.

١٦ ـ **روزنامه اطّلاعات (صحيفة الأخبار).**

نشر: إيران.

١٧ ـ **روزنامه جمهوري إسلامي (صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة).**

نشر: إيران.

١٨ ـ **روزنامه رسالت (صحيفة الرسالة).**

نشر: إيران.

١٩ ـ **رويا روي مسلكها و جنبشهاي سياسي در خاورميانه عربي تا سال ١٩٦٧ م (المواجهة فيما بين الأحزاب والحركات السياسيّة في الشرق الأوسط العربي حتّى سنة ١٩٦٧ م).**

تأليف: علي السمّان / ترجمة ونشر: إحدى المؤسّسات في إيران.

٢٠ ـ **شذرات الذهب: شذرات الذهب في أخبار من ذهب .**

تأليف: أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمّد المعروف بابن العماد الحنبلي المتوفّىٰ سنة ١٠٨٩ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٤ هـ.

٢١ ـ **الشيخ الغزالي كما عرفته: الشيخ الغزالي كما عرفته (رحلة نصف قرن).**

تأليف: د. يوسف القرضاوي / نشر: دار الشروق ـ القاهرة / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٠ هـ.

٢٢ ـ **صحاح اللغة: تاج اللغة وصحاح العربية.**

تأليف: أبي نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري المتوفّىٰ سنة ٣٩٣ هـ / تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٧ هـ.

٢٣ ـ **طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية .**

تأليف: تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن محمّد بن عمر بن محمّد الدمشقي المعروف بابن قاضي شهبة المتوفّىٰ سنة ٨٥١ هـ / تحقيق: د. عبد العليم خان / فهرسة: د. عبد الله أنيس الطبّاع / نشر: عالم الكتب ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٧ هـ.

٢٤ ـ **ظلام من الغرب.**

تأليف: محمّد الغزالي المتوفّى سنة ١٤١٦ هـ / نشر: دار الكتب الحديثة / الطبعة الثانية ـ ١٩٦٥ م.

٢٥ ـ العطاء الفكري للشيخ محمّد الغزالي.

تأليف: فتحي حسن ملكاوي / نشر: القاهرة.

٢٦ ـ عظماء الإسلام: عظماء الإسلام عبر أربعة عشر قرناً من الزمان.

تأليف: محمّد سعيد مرسي / نشر: مؤسّسة اقرأ ـ مصر / ١٤٢٣ هـ.

٢٧ ـ فرهنگ جامع سياسي (القاموس السياسي الشامل).

تأليف: محمود طلوعي / نشر: علم / الطبعة الأُولى ـ ١٣٧٢ هـ. ش.

٢٨ ـ القاموس المحيط: القاموس المحيط والقابوس الوسيط .

تأليف: مجد الدين أبي طاهر محمّد بن يعقوب بن محمّد بن إبراهيم الفيروز آبادي الشيرازي الشافعي المتوفّىٰ سنة ٨١٧ هـ / نشر: دار الجيل ـ بيروت.

٢٩ ـ گامي به سوي تفسير موضوعي سورهاي قرآن كريم (نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم).

تأليف: محمّد الغزالي المتوفّى سنة ١٤١٦ هـ / ترجمة:علي أصغرمحمّدي / نشر: مكتب نشر الثقافة الإسلاميّة / الطبعة الأولى ـ ١٣٧٧ هـ. ش.

٣٠ ـ كشف الخفاء: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث علىٰ ألسنة الناس .

تأليف: إسماعيل بن محمّد عبد الهادي بن الغني العجلوني الدمشقي الشافعي المتوفّىٰ سنة ١١٦٢ هـ / تحقيق: أحمد القلاش / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة السابعة ـ ١٤١٨ هـ.

٣١ ـ كنز العمّال: كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال .

تأليف: علاء الدين علي المتّقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري المتوفّىٰ سنة ٩٧٥ هـ / ضبط وتفسير الغريب من الكتاب: بكري حيّاني / تصحيح وفهرسة: صفوة السقا / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / ١٤٠٩ هـ.

٣٢ ـ لسان العرب: لسان العرب في اللغة والأدب.

تأليف : جمال الدين أبي الفضل محمّد بن مكرّم بن علي بن أحمد الرويفعي الأنصاري المصري المعروف بابن منظور المتوفّىٰ سنة ٧٧١هـ / تصحيح: أمين محمّد عبد

الوهاب ومحمّد الصادق العبيدي / نشر: دار إحياء التراث العربي ومؤسّسة التاريخ العربي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤١٩ هـ.

٣٣ ـ ماهنامه پاسدار إسلام (مجلّة حارس الإسلام الشهريّة).

نشر: إيران / ١٣٦٠ هـ. ش.

٣٤ ـ ماهنامه مكتب إسلام (مجلّة مدرسة الإسلام الشهريّة).

نشر: قم ـ (ناصر مكارم الشيرازي).

٣٥ ـ مجلّة آينه پژوهش (مجلّة مرآة التحقيق).

نشر: مكتبة الإعلام الإسلامي في الحوزة العلميّة ـ قم.

٣٦ ـ مجلّة ميقات حجّ (مجلّة ميقات الحجّ).

نشر: مركز تحقيقات الحجّ (علي قاضي عسكر) / إشراف: منظّمة الحجّ والزيارة ـ طهران / ١٣٧٧ هـ. ش.

٣٧ ـ مجلّة نامه فرهنگ (مجلّة رسالة الثقافة).

نشر: إيران.

٣٨ ـ مشكاة المصابيح .

تأليف: أبي عبد الله محمّد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفّىٰ سنة ٧٤١ هـ / تحقيق: سعيد محمّد اللحّام / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤٢١ هـ.

٣٩ ـ المعارف .

تأليف: أبي محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفّىٰ سنة ٢٧٦ هـ / تحقيق: ثروت عكاشة / نشر: مطبعة دار الكتب / ١٩٦٠ م.

٤٠ ـ معجم أسماء المستشرقين.

إعداد: د. يحيى مراد / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٤ م.

٤١ ـ ملحق موسوعة السياسة.

تأليف: د. خليل أحمد خليل / نشر: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٤ م.

٤٢ ـ المنجد في الأعلام.

تأليف: جماعة من المتخصّصين / نشر: دار المشرق ـ بيروت / الطبعة الحادية والعشرون ـ ١٩٩٦م.

٤٣ ـ الموجز في الأدب العربي وتاريخه.

تأليف: حنّا الفاخوري / نشر: دار الجيل ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١١هـ.

٤٤ ـ موسوعة السياسة.

تأليف: د. عبدالوهاب الكيّالي بمشاركة جماعة من الاختصاصيّين / نشر: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٩٩٩م.

٤٥ ـ موسوعة المورد.

تأليف: منير البعلبكي / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٩٨٠م.

٤٦ ـ نظرات في القرآن.

تأليف: محمّد الغزالي المتوفّى سنة ١٤١٦هـ / نشر: مؤسّسة الخانجي ـ القاهرة / ١٩٨٦م.

٤٧ ـ نهج البلاغة.

جمع: الشريف الرضي المتوفّى سنة ٤٠٦هـ / اعتناء: د. صبحي الصالح / نشر: مؤسّسة الهجرة ـ قم / الطبعة الخامسة ـ ١٤١٢هـ.

٤٨ ـ وفيات الأعيان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.

تأليف. شمس الدين أبي العبّاس أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلّكان الأربلي المتوفّى سنة ٦٨١هـ / تحقيق: د. إحسان عبّاس / نشر: مكتبة الشريف الرضي ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٣٦٤هـ ش / أُفست عن دار صادر ـ بيروت / ١٩٦٨م.

٤٩ ـ يوسف القرضاوي.

تأليف: عصام تليمة / نشر: دار القلم ـ دمشق / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢هـ.



فهرس العناوين

فهرس العناوين

الفصل الرابع
مواقف الغزالي

الفصل الخامس
رحلات الغزالي

الفصل السادس
الوحدة من وجهة نظر الغزالي

الفصل السابع
آراء الغزالي

الفصل الثامن
مؤلّفات الغزالي